

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الديوان الغربي للشاعر العربي

الجزء الأول

د. محمد مصطفى أبوشوارب
د. إيهاب النجدي



الديوان الغربي للشاعر العربي

الجزء الأول

أ.د. محمد مصطفى أبوشوارب　　　د. إيهاب النجدي

الكويت

2011

المراجعة والتدقيق الطباعي

إسلام هجرس

الصف والتنفيذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

إخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 - فاكس: 22455039 (965+)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصدير

صار حوار الثقافات والحضارات موضوع الساعة الراهنة وبالتالي الموضوع الحيوي للمستقبل برمته لاستمرارية بناء هذا الكوكب وسلامة من يعيشون عليه، ولم يكن هذا الحوار غائبًا في الماضي بل إنه كان يطفو على سطح العلاقات الدولية أحيانًا، ويغور إلى القيعان أحيانًا أخرى. لكن في كل الأحوال لم ينقطع التأثر والتأثير بين الثقافات والحضارات بأشكال ومظاهر عديدة.

وكان الشعر في مقدمة عوامل التأثر والتأثير، إذ لم نعدم في معظم الأوقات نفرًا من الشعراء في الغرب تنبهوا للشرق وفضائله الإبداعية وتراثه الأدبي والحضاري الواسع فنهلوا منه وأبرزوه في ثنايا إبداعاتهم.

وبالمقابل كانت هناك نخبة من مبدعي الشرق - والعرب في المقدمة منهم - قد تأثروا بمعطيات الغرب الحضارية الجديدة التي دفعت العالم إلى الأمام، فكتبوا عنها وأبرزوها في ثنايا إبداعاتهم، وكانت هذه النخبة قد خبرت الغرب/ الآخر عن قرب من خلال الزيارات الميدانية أو تلقي العلم أو ممارسة العمل في الغرب، فكتبت إبداعاتها عن قرب وتجربة وخبرة، ومثلما كتب المبدعون العرب بإعجاب عن تجربة التقدم الغربي الحضارية، فإنهم لم يغفلوا انتقادها وإبداء الرأي فيها من منظورهم، وكان أشد ما لاقاه الشرق من الغرب تلك الحملات الاستعمارية التي وجدت صداها المرير في حلوق الشعراء وعلى لهواتهم كونها اعتداءً مباشرًا على شعوبهم وأوطانهم، فرسموا من خلال تلك الإبداعات صورة أُمم الغرب في آداب أمم الشرق، وكانت تلك الإبداعات بمثابة سجل لأحداث تاريخية كثيرة.

إن ما كتبه شعراء العرب عن الغرب في شتى المجالات والمناسبات هو الجانب الذي يهمنا في هذا الكتاب، وكانت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري قد أصدرت كتابًا في العام ٢٠٠٨ عن (صورة الغرب في الشعر العربي الحديث) للدكتور إيهاب النجدي، ولكنه كان دراسة أكاديمية، أما هذا الكتاب وعنوانه (الديوان الغربي للشاعر العربي) ففيه رصد لقصائد عربية كاملة في هذا المضمار للشعراء العرب الراحلين والأحياء، تحدثت عن الغرب في كل مناحي الحياة ورصدت منعرجات الأحداث بدقة مشاهد العيان وبنفسية المُعاني المتعرض للأحداث مباشرة، فرأت المؤسسة إصداره بمناسبة انعقاد (ملتقى الشعر من أجل التعايش السلمي) في دبي، ليكون في أيدي الباحثين والدارسين.

عزيزي القارئ..

غني عن القول أنه كان من العسير التقصي التام لنتاجات الشعراء العرب الذين كتبوا عن الغرب، ولكن في رأيي أن الكتاب قد ألمَّ إلمامة واسعة بمعظم الشعراء العرب المعنيين وبقسم كبير من كتاباتهم، وحسبنا وضع لبنة في صرح هذا البناء الكبير إلى حين تصدي آخرين لهذا الموضوع وإعطائه حقه من البحث سواء في جانب الدراسة واستخلاص النتائج أو جمع المختارات التي تعنى بموضوع الحوار والتثاقف.

ختامًا أرجو لك عزيزي القارئ متعة القراءة المقرونة بالفائدة واستخلاص العبر من إبداعات شعرائنا، ويسعدني تقديم جزيل الشكر لمعدي هذا الكتاب الدكتور محمد مصطفى أبوشوارب والدكتور إيهاب النجدي، منوهًا بما بذلاه من جهود في الجمع والتبويب والدراسة.

والله الأمر من قبل ومن بعد

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت ١٧ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ

الموافق ٥ من أكتوبر ٢٠١١ م

****

مقدمة

في حقبة فارقة، من حياة أوربا، عصف بها الاضطراب، وارتوى أديمها بدماء الألوف من القتلى والجرحى، وازدحمت أجواؤها بدخان الصراعات والحروب، ثم كانت القاصمة حين اجتمعت عروش وشعوب على نسر أوروبا المهيض «نابليون» وهزمته في واترلو (١٨١٥م)، هنالك يزمع شاعر الألمان الأكبر « يوهان ولفجانج جوته» (١٨٣٢م) – بعد سقوط نجمة نابليون – على الهجرة إلى الشرق، ولم تكن هجرته مادية، ينتقل فيها الجسد من مكان إلى آخر، وإنما كانت هجرته روحية خيالية، وإن مازجتها رحلة قام بها الشاعر إلى منطقة الرين الجنوبية، حيث دفء الشمس، وجهارة الضوء، يهيئان الأرجاء لتغريد الطيور، وتبزغ الفرصة الأخيرة للشاعر الشيخ لعود الشباب وفورته، حين تأتي «مريان» أو «زليخا» – وهو الاسم الذي اختاره لبطلة غزلياته – لتعصب جبهته بعمامة شرقية «ناصعة البياض، فضفاضة الأطراف»، ليعزف الحب لحنه الشجي في قلب جوته أو «حاتم» – كما أحب أن يسمى في أشعاره – ويولد «الحنين السعيد» إلى موطن الإنسانية الأولى أو الشرق.

آبَ الشاعرُ من رحلته الروحية والمادية – بعد أن بلغ من القصة الشائقة غايتها – بحصاد فريد، تمثل في رائعة إبداعاته الشعرية ، وهو ديوانه الموسوم «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي»، كما سماه هو بهذه الصيغة العربية، يتصدره «نشيد الهجرة»، وفيه يتخلى عن أهوال واقعه، ليذوب نَفْسًا وحسًّا، في عوالم الشرق الساحرة، وترجيع الألحان في لياليه المقمرة، وتضوع المسك والبخور من

ردهات قصوره، وانتشاء الطبيعة بألوان الحياة، معلنًا رغبته الأكيدة في الرحيل إلى عصور الفطرة بآفاقها الرّحبة، حيث الإيمان الواسع، والرضا القانع، والحب والشباب الذي يود أن يعود، يقول:

«الشمال والغرب والجنوب، أقطارها تتناثر بددًا، وعروشها وممالكها تنهار. فهاجرْ وامضِ إلى الشرق الطهور تستروح الطيب من الآباء الأوائل الطيبين، وبالحبّ والنشوة والغناء يردّ عليك «الخضر عليه السلام» القائم على عين الحياة، ريعان صباك.

هناك في ظل النقاء والصدق تطيب لي الرجعى إلى نشأة الإنسانية الأولى، إلى الأزمان التي تلّقى فيها بنو الإنسان كلمة الحقّ منزّلة من الله بلسان أهل الأرض، فلم يقدحوا فكرًا ولم يكدّوا ذهنًا إلى تلك الأزمان التي كانوا فيها يبجِّلون السّلف، وينهون عن كل دين غير دينهم.

أريد معاشرة الرعاة في المنتجعات، والاسترواح في ظلال الواحات، والارتحال مع القوافل متجرًا في الشيلان والبن والمسك، طارقًا كل درب من البوادي إلى الحضر.

وهناك في الشرق في ردهات حماماته وبين جدران حاناته، أريد أن أذكرك يا مولاي حافظ. وقد رفعت حبيبتي خمارها، وتضوع الطيب من غدائرها المهدلة المضمّخة بالعنبر».(١)

---

(١) عبدالرحمن صدقي، الشرق والإسلام في ادب جوته، كتاب الهلال، العدد ١٩٥، يونية ١٩٦٧م، ص ٩٨ - ٩٩.
وهذا الحضور الشرقي لم يكن قاصرًا في الحقيقة على ادب جوته، فقد كانت الدعوة إلى الهجرة الروحية إلى الشرق، وكشف أسراره ظاهرة ماثلة لدى أصحاب الاتجاه الرومانتيكي عامة، في القرن التاسع عشر، وتجلت أكثر ما تجلت عند الفرنسيين، امثال شاتوبريان في كتابه «عبقرية المسيحية»، ولامارتين في «رحلة في الشرق»، وفيكتور هيجو في «المشرقيات». راجع؛ عبدالرحمن بدوي، مقدمة ترجمته للديوان الشرقي للمؤلف الغربي. ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
والمقصود بمولاي حافظ في نص جوته هو حافظ الشيرازي (ت ٧٩١ هـ = ١٣٨٩ م) جمع في غزله الحسية والروحية ، لقب بـ «لسان الغيب وترجمان الأسرار» .

وهكذا استلهم جوته «الديوان الشرقي» من تلك الأجواء الشرقية الخالصة، يستحضرها خياله الخصيب، ويستغرق فيها كالعاشق القديم، وهو خيالٌ دعائمُهُ الدرس والإحاطة بموضوعه والتأمل الطويل والملاحظة الحصيفة، والناظر في أسفار الديوان الاثني عشر، وقد سميت بأسماء شرقية مثل كتاب المغني وكتاب حافظ وكتاب زليخا - يدرك إلى أي مدى كان الشرق حاضرًا بثقافته الأدبية والتاريخية والروحية، وعطائه الحضاري في أدب جوته، وهو الأمر نفسه الذي يمكن أن نجده في دراساته وقصصه ومسرحياته وأشعاره. ولعل مرجع الأهمية في ذلك ومبلغها، يعود إلى أنه أحد ثلاثة تفخر بهم أوربا وتزهو: دانتي الإيطالي، وشكسبير الإنجليزي، وجوته الألماني.

ولم يكن ديوان شاعر الألمان العظيم غائبًا؛ عنوانًا ومحتوًى، عند تخلُّق «الديوان الغربي للشاعر العربي»، فكرة وإعدادًا. وإذا كان الديوان الألماني صنعة شاعر واحد ذي موهبة فذّة؛ فإن «الديوان الغربي» ثمرة قرائح عديدة لشعراء وشواعر يمثلون أجيالًا متعاصرة ومتعاقبة، بقدر ما يمثلون روافد وفيرة لنهر شعري متدفق، تجانست أجزاؤه، وتآلفت تياراته. فكانت هذه المختارات - عزيزي القارئ - بنت عصرها، عصر القرية الكونية الصغيرة، جدة في الموضوع، وثراء في أساليب التعبير. ولا يعني ذلك أن الآخر الغربي جديد تمامًا على الشعر العربي، فالشواهد تدل على أن وجوده كان أسبق في الواقع من وجود الشرق في أدب الغربيين، وإن اتشح في بادئ الأمر بوشاح الطرافة والمغايرة والتصوير العابر لمعالم خارجية وأوضاع اجتماعية، لا تنفذ إلى بواطن نفسية عميقة. وحسبنا من الشعر القديم صورة تغني عن كلام كثير، فقد كانت بغداد العباسية ترفل في ثوب الحضارة القشيب، وتأتي إليها وفود الإفرنج لتجديد الولاء ودفع الجزية وتقديم الهدايا للخلفاء، ومنهم الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ) الذي جاءه وفد من الروم (أو الإفرنج) سنة ٢٤١ هـ حيث كان الفداء فيها بين المسلمين والروم،

فأمر باستقبالهم في بلاطه وإكرامهم، ورأى شاعره - حينئذٍ - البحتري أن يهديه تفصيلًا من تفاصيل تلك الزيارة، فقال :

ورأيـــت وفْـدَ الـروم بَـعدَ عنادهـمْ
عـرفـوا فضـائـلَـكَ الـتـي لا تُجْـهَـلُ
لَـحظُوكَ أوَّلَ لحظةٍ فاسْتَصغروا
مـن كـان يُـعْـظَـمُ فيـهِـمْ ويُـبَجَّـل
حضروا السِّماطَ فكلما رامُـوا القِرَى
مـالَـت بـأيـديـهـمْ عـقـولٌ ذُهَّـل
تَـهْـوي أكُـفُّـهـمُ إلـى أفـواهِـهِـمْ
فَـتَجـورُ عـن قصدِ السَّبيلِ وتَـعْـدِل
مُـتـحـيِّـرونَ فـبـاهِـتٌ مُـتـعـجِّـبٌ
ممَّـا يَـرَى أو نـاظـرٌ مُـتـأمِّـل
ويـودُّ قـومـهُـمُ الأُلـى بعثـوا بـهِمْ
لـو ضمَّـهُـم بـالأمـس ذاك المحْـفِـل[1]

إن الصورة التي رسمها البحتري بالغة الدلالة، وإن مازجتها الدعابة اللطيفة، والإشفاق الحضاري، إن جاز التعبير، فالدهشة التي أصابت رجال «الإفرنج»، والذهول الذي أخذ بعقولهم من جراء ما شاهدوه في بلاط الخليفة من فخامة وروائع فنية، ثم السماط الذي وضع أمامهم عامرًا بألوان الطعام، جعلهم لا يحسنون التصرف، وظهر افتقارهم الواضح لآداب المائدة (الإتيكيت)، فأي بون حضاري كان بين شرق ذلك الزمان وغربه !

وربما ذلك - البون - ما جعل شاعرًا بحجم ابن الرومي (وهو الأعجمي أصلًا - أب رومي وأم فارسية) يعود إلى الماضي، فيتكئ على تاريخ أجداده اليونان، ليتطاول بهم، ويستمد منهم عناصر الفخر، وإن حاول الإباء، يقول :

(١) ديوان البحتري، عني بتحقيقه و شرحه: حسن كامل الصيرفي، ط٣ دار المعارف، ١٩٧٧م: م٣ ص١٥٩٥-١٥٩٨.

ونحن بنو اليونانِ قومٌ لنا حجًا
ومجدٌ وعيدانٌ صِلابُ المعاجمِ
وحلمٌ كأركانِ الجبال رزانةً
وجهلٌ تفادى منه جنُّ الصَّرائمِ[1]

لقد ظلت الحلقات بين الشرق والغرب متصلة، عبر حقب التاريخ المتطاولة، وتعددت لقاءات النضال والفكر، منذ لقاء المسلمين بالروم في تبوك واليرموك، وفتوح العرب في صقلية والأندلس وجنوب فرنسا، ثم الاصطدام العنيف بين أوروبا المتحدة وبين الإسلام تحت شعار الحروب الصليبية، وسقوط القسطنطينية في يد الأتراك، وبسقوطها فتح باب أوربا للزحف الإسلامي، إلى أن جاء القرنان التاسع عشر والعشرون الميلاديان، فاتسع الاتصال، وقويت أسباب الاحتكاك، وتنوعت طرق التواصل الحيوي بين شرق منهك يتلمس طريق النهضة من خلال البعثات والرحلات، وبين غرب متحفز يفرض وجوده من خلال الاحتلال والاستبداد بالمقدرات، وتقدم علمي غير محدود.

والوقوف على صورة شعب في أدب شعب آخر، من الأهمية بمكان حيث لا يتم «التعارف» الواجب والضروري بين الذات والآخر إلا به، وربما على أساسه تتشكل طبيعة الاتصال، في الحاضر والمستقبل، وقد بيّن غنيمي هلال دور هذا اللون من الأدب في حياة الأمم، فقال: «إن للصور الأدبية للشعوب - كما تنعكس في مرآة آدابها - تأثيرًا عميقًا في علاقاتها بعضها ببعض، أيًّا كان نوع تلك العلاقات، ولها كذلك تأثير على عقول قادة الأمة من الساسة والمفكرين في تكوين رأي عام قد ينتج عنه اتجاه خاص في علاقاتها مع غيرها. وكل هذا من نواحي النشاط الأدبي في الميادين الدولية...» وبهذا يمهد هذا الأدب «لكل أمة أن تعرف مكانتها لدى غيرها من الأمم، وأن ترى صورتها في مرآة غيرها من آداب الشعوب، ويتاح بذلك لها

(١) ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٣م: جـ٦ ص٢٢٧٢.

أن تعرف نفسها حق المعرفة، وأن تحاول تصحيح وضعها أو الدفاع عن نفسها، وبذلك تتهيأ الفرصة للتفاهم الحق والتعاون الصادق بين الشعوب».[1]

وإذا كانت كلمة الغرب ليست أمرًا متفقًا عليه، وتنتج دوائر دلالية عديدة، فإن مقصد هذه المختارات هو الغرب الأوروبي في جغرافيته السياسية والطبيعية والبشرية والطابع الثقافي لمجموعة الدول التي تكونه، وتسعى إلى رصد تجليات حضوره في ديوان الشعر العربي الحديث والمعاصر. وقد شكلت علاقة الشرق بالغرب نسيجًا فكريًّا وأدبيًّا، بدأ مع بواكير النهضة العربية الحديثة، ومازالت خيوطه لم تعقد حتى الآن، وجسدت الملامح الفارقة بين الشرق والغرب أو «نحن» و«الآخر» لحمة هذا النسيج وسداه، وعلى أساسها رسمت الأبعاد وتحددت الزوايا والظلال، وكما فرض الغرب نفسه على الشرق، عندما جاءه في صور شتى: محتلًّا للأرض، ورحالة يتفرس الوجوه والأشياء، ومستشرقًا يتفحص الدفاتر ويرتاد المكتبات العتيقة، ومقيمًا بين ظهراني الناس يخالطهم ويخالقهم بصنوف الأخلاق، فضلًا عن الإرساليات التبشيرية والتعليمية – استطاع الشاعر العربي بفضل منجزات الحضارة الحديثة العبور إلى الشاطئ الآخر، دارسًا وسائحًا ومهاجرًا ومنفيًّا، ولم يدخر جهدًا في التعرف والتعارف، والاكتشاف والتعلم، والنظر والتحليل، والوصول إلى نهاية الشوط من المغامرة، ووطئت قدماه الأقصى من خريطة المعمورة، وسكنت موسيقى قصائده في شكليها المحافظ والمجدد أسماء غربية مثل: باريس وسِدّان، وجنيف، وبرلين، ومدريد، ولندن، ويمتد التفصيل على سبيل المثال إلى اليونان ومدينتها أثينا وجبالها: الألب، وفلاسفتها: سقراط، أرسطو (أرسطاليس)، وآلهتها القديمة: باخوس، أفروديت، أبوللو. وهناك إيطاليا ومدنها: روما ونابولي وفلورنسا وجنوا والبندقية (فينيسيا) وما تضم من معابد: البانثيون،

---

(١) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ط٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت: ص٤١٠.

وجبال التيرول، وبحيرة كومو، وبركان فيزوف، وموسيقارها فردي، وأديبها دانتي، وأشهر قادتها: يوليوس قيصر ونيرون...

وتحول الموضوع من مجرد مقاربة تقصد المغايرة أو الطرافة إلى تداخل حميم واشتباك فكري دؤوب مع الآخر، وكادت الصورة العابرة تتحول إلى «صورة مهيمنة» Controlling image ، تواصل وجودها عبر معظم أعمال الشاعر الواحد.

نبتت قصائد هذه المختارات على أرض فكرية وأدبية، زاخرة بحوار واسع ومستمر، حول قضية العصر، وهي علاقة الشرق بالغرب، بدأ مع بواكير النهضة العربية، ولما ينته، خاصة عندما يشتبك بجدليات لا تنفصل عنه في كثير من الأحوال، مثل التراث والمعاصرة، المادية والروحية، العقل والنقل، الصراع والتحالف. إن من أبرز ملامح العصر أنه «عصر معنويات ومثاليات وثنائيات فكرية، هو عصر «القيم الروحية» المضادة «لصراعات المادة» و«الروح الشرقية» المغايرة «للروح الغربية» والثقافة بين «الشرق والغرب» أو بين الفطرة والعلم و «هل يوجد اليوم شرق؟» (كما يتساءل توفيق الحكيم في مقال له بهذا العنوان عام ١٩٣٨)، كما هو عصر الجديد والقديم و «الأدب الحي» المعارض «لأدب الصنعة» الذي يجتر القديم الغابر و «أدب الروح» المناهض «لأدب المعدة» و«أدب الضعف»[١].

وإذا كان «محسن» توفيق الحكيم ينتهي في «عصفور من الشرق» بعد حديث مطول عن الشرق الروحاني الآدمي، والأوروبي المادي الآلة: «نعم... اليوم لا يوجد شرق!.. وإنما هي غابة على أشجارها قردة ، تلبس زي الغرب، على غير نظام ولا ترتيب ولا إدراك»[٢] فإن أحمد حسن الزيات ميّز من قبل بين حضارة الغرب وحضارة الشرق: «هذه تقوم على الروح، وتلك تقوم على الآلة، وهذه تصدر عن

---

(١) ناجي نجيب، توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة، ط دار الهلال، ١٩٨٧م: ص٤٤-٤٥ .

(٢) توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، ط مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٨٤م: ص٢٠٤.

العاطفة والإيثار، وتلك تصدر عن المنفعة والأثرة، والميزة التي ينبغي أن تكون لحضارة على حضارة إنما هي ضمان السعادة للناس وتحقيق السلام العالمي»[1].

تبرز المقابلة بين الغرب الأوروبي والشرق العربي، أو المقارنة بين حالتين متباعدتين في مثل قصيدة «رحلة حافظ إلى إيطاليا»، وقد راعى فيها حافظ إبراهيم تقاليد الرحلة في الأدب العربي: وصف البحر، السفينة، المخاطر، المعالم والآثار، لكن عين الشاعر/ السائح العابر؛ تقع على كل ما يفارق العالم الذي غادره - بعد رحلة عاصفة - ويباينه من كل وجه، في المظاهر الطبيعية حيث شمسهم مثل فتاة شرقية محجبة من الضباب والغيم، وشمسنا مثل غربية سافرة من الصحو والصفاء؛ وحيث التصوير المكرور، الذي يتوقف عند السطح، وفي الأخلاق والسلوك يستمر حافظ في أدائه الساخر المتهكم، فيقارن بين الأخلاق الشرقية والأخلاق الغربية، ولا يخفي إعجابه ولا «دهشته» من ولع الغربيين وجمعهم في صعيد واحد بين قيم الجد والمتعة: احترام الوقت والعمل، وتسخير العلم مع النظام والنظافة والاخضرار والمسرّات. وعندما تستبد به الحسرة والمرارة والغيرة، فإنه يمدحهم بالنفي «لا ترى في الصباح لاعب نرد» ، ولا مترددًا على «القهاوي» و « لا يبالون بالطبيعة»، كي يثبت - آسفًا - كل ما نفاه عنهم للشرق وأهله:

قسموا الوقتَ بين لهوٍ وجِدٍّ
في مدى اليوم قسمةً لا تَجورُ

كلّهم كادحٌ بَكورٌ إلى الرزْ
قِ، ولاهٍ إذا دعاهُ السُّرور

لا ترى في الصّباح لاعبَ نرْدٍ
حولَهُ للرِّهان جَمٌّ غفير

نضّروا الصّخرَ في رؤوس الرّواسي
ولدينا في مَوْطنِ الخِصْبِ بُور

---

(١) أحمد حسن الزيات، الراديو والشاعر، مجلة الرسالة، السنة الثانية العدد ٧٨ بتاريخ٣١/١٢/ ١٩٣٤م: ص٢١٢٢.

قد وقفنا عندَ القديم وساروا
حيثُ تَسري إلى الكمال البُدور

ويحاول في نهاية الأمر، أن يكون موضوعيًّا، فيدلي برأي إجمالي في الحياة الأوربية (حيث كثرة القوانين والنظم المقيدة للأفراد) لكنه «قول شاعر لا يضير»:

فإذا ما سَألْتَني قلتُ عنهمْ
أمةٌ حُرّةٌ وفردٌ أسيرُ[1]

إن صدمة اللقاء المباشر بالحضارة الغربية على أرضها، أنتجت كثيرًا من المقابلات التي تمتح من المباشرة أحيانًا، لكنها صنعت من بعضهم شاعر رحلة، و«إثنوجرافي» يُعنى بوصف «المشاهد والمحسوس لواقع الحياة اليومية لمجتمع ما خلال فترة زمنية معينة، متضمنًا ذلك مجموعة القيم والتقاليد والعادات والآداب والفنون، وكل ما يندرج تحت ذلك الكل المركب الذي اصطلح على الإشارة إليه بكلمة (ثقافة)»[2].

في مقابل ذلك أيضًا، كان رفض الشاعر العربي للوجه السياسي للغرب واضحًا، وشغل مساحة عريضة لديه، مستندًا إلى تفاصيل مريرة ، وإلى كون الغرب المحتل الأبرز لخريطة العالم في العصر الحديث، وكانت الآلة الحربية الرهيبة هي المكون الأساسي لخطوطه وظلاله. وكان الشرق العربي خلال العصر الحديث مفعولًا به في كثير من الأحوال، وكان الغرب فاعلًا باحتلال الأرض والبطش بالناس والاستبداد بمقدراتهم، يقول جمال حمدان: «إن الاستعمار كله ما تم إلا على يد أوروبا وما تم إلا خارجها، ولم يحدث في التاريخ الحديث أن استعمر جزء من أوروبا باستثناء نقاط من الاستعمار الاستراتيجي في جبل طارق ومالطة وقبرص..

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم: جـ١/ ٢٣٠- ٢٣٢.

(٢) حسين محمد فهيم، أدب الرحلات: ص١٦٥.

لقد كان الاستعمار - بوضوح - صناعة أوروبية مسجلة ولكنها للتصدير إلى خارج أوروبا فقط وغير قابلة للاستهلاك المحلي بحال»[1].

وقد واكب الشاعر العربي الأحداث، وعبّر عن روح النضال والمقاومة من أجل الاستقلال، ولم يغفل عن الهزات والقضايا المصيرية أو الأزمات والمحن التي أصابت الأمة والعالم. ولأن التفاصيل كثيرة، ومن الصعوبة بمكان الإلمام بها جميعًا، والتلبث عند وجودها في الشعر، فإن ما أمكن انتخابه في هذه المختارات هو ما وضحت آثاره الفنية، وأسهم في تشكيل الوجه السياسي للغرب، وموقف الشعراء منه، وربما تقاطعت - في هذه السبيل - الرؤى الشعرية لهذا الجانب مع تجليات شعر الوطنية والمقاومة.

لقد أظهرت الحروب المتوالية تناقضًا ضخمًا تجاه الحضارة الغربية، فالإنسان الذي نفذ إلى قلب الذرة، وتمكنّ من إطلاق الطاقة الكامنة بين جسيماتها، وسخّر الأثير وتحكم بالكهرباء وصنع الطائرات - هو الإنسان الذي يسخّر العلم من أجل الدمار ويعرض مفاخر البشرية للخراب، إنه - باختصار وفي تقدير الشاعر محمد عبد الغني حسن - عالم مجنون، يتحكّم فيه عقل صحيح وقلب مريض، وتفتك به التناقضات، من وحي الحرب العالمية الثاني يقول:

أرى العالَمَ المجنونَ تُبْرِمُ أمْرَهُ
عقولٌ صحيحاتٌ وأفئدةٌ مرضى
لقد سوَّدَ الناسُ السّماءَ وقائعًا
كما زَلزلوا بالخيل والغارةِ الأرضَا
تَغَنَّوْا بألحانِ السلامِ جميلةً
ولم يُمْهلونا نَجْتني زهرَها الغضَّا

(١) جمال حمدان، استراتيجية الاستعمار والتحرير، ط دار الهلال، د.ت: ص١٥٠-١٥١.

عجبتُ لهم قد حرَّموا القتلَ مُفردًا

ويَقتلُ في الهيجاءِ بعضهُمو بعضا[1]

وإذا ما انتهت الحرب ظلت الأسئلة مشرعة في أفق الإنسانية، تبحث عن الاستحقاقات الواجبة، فهل تحققت الوعود؟ أم بقي الحصاد مريرًا، مرارة الفقد، لأن الغرس لم يكن سوى الدمار والموت، يقول ميخائيل نعيمة في قصيدته الشهيرة «أخي»:

أخي! إن ضجَّ بعدَ الحرب غربيٌّ بأعمالِهْ

وقدَّسَ ذكرَ من ماتوا، وعظَّم بطشَ أبطالِه

فلا تهزجْ لمن سادوا، ولا تشمتْ بمن دانا

بَلِ اركَعْ صامتا مثلي بقلبٍ خاشعٍ دامِ

لنبكي حظَّ موتانا[2]

من زاوية أخرى، ظهر وجه جمالي للغرب، متعدد العناصر، تشكل عبر التجربة الشخصية والمشاهدة والعيان، فوقف الشاعر على مشاهد من الطبيعة الأوروبية ، وظواهرها وأجوائها الباردة، وتجول في المدن مستوعبًا ما استحدثه إنسانها من بدائع ومخترعات، وبالإجمال ما اشتملت عليه أرض الغرب وسماؤه وما بينهما. وحظيت – على سبيل المثال – مدينة باريس، بنصيب وافر من العناية الأدبية، من وفودها من الشعراء، لأن باريس لم تكن مجرد مدينة ذات صفات جغرافية بل عالمًا من الدهشة والألفة، وكذلك مرتعًا للغرائب والمتناقضات، عند الرحالة والأدباء العرب منذ زمن رفاعة الطهطاوي وربما حتى الآن. ومن هذا التصوّر نبتت كل

---

(١) الرسالة، العدد ٣٩١ بتاريخ٣٠/١٢/١٩٤٠م. قصيدة: القلوب المرضى.

(٢) محمد عبد الغني حسن، أشعار وشعراء من المهجر، ط كتاب الهلال، العدد ٢٦٦ سنة ١٩٧٣م: ص٣٤.

صور الإعجاب والمدح والتفضيل على العواصم الأوروبية الأخرى. فشاعر مثل أحمد شوقي، يحتفي بباريس على نحو لم يتكرر مع مدينة أوروبية أخرى، فكتب عن ذكرى «غاب بولونيا» ووصف «قسم الأزهار» و «ميدان الكونكورد» ثم كانت قصيدة «باريس»[1]، ويظهر فيها جميعًا التجربة الشخصية والعلاقة الخاصة التي نشأت من إقامته بها دارسًا (١٨٩٠ - ١٨٩٣م). وكما يلاحظ غلبة ماضي بعض المدن الأوربية على حاضرها في تصوير الشعراء العرب لها، فتحضر الأندلس ومدنها (قرطبة، إشبيلية، غرناطة..)، ويخفت ظهور الحاضر الإسباني وإيقاع الحياة فيه، خاصة لدى شعراء النهضة، أما إسبانيا المعاصرة فنجد تجلياتها لدى شعراء الأجيال التالية مثل الشاعر عبد الوهاب البياتي في ديوانه « بستان عائشة»، والشاعر عبد اللطيف عبدالحليم في مثل قصائده: كارمن إشبيلية، وكارمن قرطبة، وسنيور خوستو، وماريسا عباد[2].

ومن الظواهر اللافتة للنظر، بروز النزعة الإنسانية لدى الشاعر العربي، واتساع تجاربه وأدواته التعبيرية عنها، وذلك من خلال المواقف الإنسانية والأحداث العالمية التي اهتز لها وجدانه، ومن خلال تقدير عظماء الغرب ومبدعيه، والاعتراف بفضلهم ودورهم الأدبي والتاريخي بغض النظر عن جنسياتهم وقومياتهم ومعتقداتهم، كما تجسّد التفاعل الإنساني بين رجل من الشرق وامرأة من الغرب. ومضى الشعراء إلى أبعد من ذلك، فعبروا حواجز عديدة من الاختلاف الجنسي والديني والحضاري والتاريخي، ليدعوا إلى وحدة إنسانية، تنبذ الاختلاف الهدام والعداء، وتؤسس للتسامح والإخاء، يقول شوقي:

---

(١) انظر ديوان شوقي جـ١/ ص٧٤-٧٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٦-١٢٨. هذا فضلًا عن وقفته المطولة «على قبر نابليون» جـ٢/٥٦٤-٥٧٠، و«ذكرى هيجو» جـ٢/٤٦١-٤٦٢.

(٢) راجع، عبداللطيف عبدالحليم (أبوهمام)، أغاني العاشق الأندلسي، ط١ الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩١م.

مـا كــان مُـخْـتَـلـفُ الأديـــان داعـيـةً

إلـى اخـتـلاف الـبَـرايـا أو تَـعـاديـهـا

الـكُـتْـبُ والـرُّسـلُ والأديـــانُ قـاطـبـةً

خـزائـنُ الـحـكـمـةِ الـكـبـرى لِـواعـيـهـا

مـحـبـةُ الـلـهِ أصـلٌ فـي مـراشـدِهـا

وخـشـيـةُ الـلـه أُسٌّ فـي مـبـانـيـهـا

تَـسـامُـحُ الـنَّـفـسِ مـعـنـىً مـن مُـروءَتِـهـا

بـلِ المـروءةُ فـي أسـمـى مـعـانـيـهـا[1]

وعلى كل، فليس من وكد هذه السطور إنجاز قراءة مفصلةٍ للظواهر الأدبية التي شكّلت رؤية الشاعر العربي للآخر الغربي[2]؛ لكن ما يمكن ملاحظته بجلاء هو أن تلك الرؤية لم تعمل على رسم صورة ثابتة وحيدة للغرب، بل تعددت الصور بتعدد زوايا النظر، وتنوّعت حتى لتتفاوت عند الشاعر الواحد في كثير من الأحيان، وليس ثمّة تناقض في ذلك، فالتناقض يولد من اختلاف وجوه الغرب ذاته، ومن ثَمَّ لم يخلق الشاعر العربي «صورة نمطية» mode image للغرب، ولم يسع إلى «تنميط الآخر» وإنما تطلّع ببصره - أكثر ما تطلع - إلى مدنية الغرب الحديثة، كما بدت مظاهرها في تقدم العلوم، والصناعات، وفي النهضة العمرانية، والأخلاق العملية، وكان الإعراض من نصيب ما يتعارض مع دينه ومعتقداته، وسعى في كل ذلك

---

(١) ديوان شوقي جـ١/ ص٤١٥-٤١٦ قصيدة: الدستور العثماني.

(٢) سعت إلى تحقيق ذلك بعض الدراسات الأدبية منها على سبيل المثال: سمية الأيوبي، صورة الغرب في الشعر العربي الحديث ١٩٤٥-١٩٧٠م، رسالة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب ٢٠٠١م. فوزي عيسى، صورة الغرب في شعر شوقي، ضمن أبحاث الدورة العاشرة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري (دورة شوقي - لامارتين)، الندوة الأدبية، باريس ٢٠٠٦م. إيهاب النجدي، صورة الغرب في الشعر العربي الحديث، ط مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م.

إلى استثارة الهمم الشرقية الكليلة والنفوس الخاملة، وبث روح الغيرة والعلم في الأجيال الصاعدة، والنهوض بالأمة من وهدتها وكبوتها التاريخية، دون أن يمنعه ذلك الإعجاب بالحضارة الغربية وإكبار رقيها وتقدمها من كشف عوار وجهها الاستعماري الطامع، وفضح وحشيتها ونزقها واستبدادها وسعيها إلى التحكم في مصائر الشعوب.

وليس من شكٍّ في أن هذه المواقف التي مَرَّت بنا، وغيرها؛ قد شكلت في تعارضها وتدافعها حينًا، وفي انسجامها وتكاملها حينًا آخر - جماع رؤية الشاعر العربي وتصوراته للغرب، وهي في إجمالها رؤية متفاوتة يسعى هذا الكتاب الذي بين أيديكم إلى انتخاب جملة ما يمثلها من نصوص الشعر العربيِّ الحديث، ويعرض تجلياتها؛ كاشفًا عن منابعها وسياقاتها وتوجهاتها من جهة، ومبينًا ظلالها الفنية وطاقاتها الإبداعية من جهة أخرى، وهو ما اقتضى، أمام هذا الفيض الواسع من النصوص التي تدخل في أشراط هذا الكتاب تحديد أطر المجال الأنطولوجي للعمل على نحو يحصر دوائره، ويرسم أبعاده، وهو ما أفضى بدوره إلى التواضع على بعض الملامح المرشِّحة لتلك الوفرة الهائلة من قصائد الشعر العربي التي يحضر الغربي فيها بصورة من الصور؛ مع الاعتداد بأربعة حدود رئيسة:

أولها - اتخاذ مطلع القرن التاسع عشر؛ بوصفه مفتتحًا مستقرًّا عليه للعصر الحديث في الفكر العربي؛ حدًّا نهائيًّا لا ترجع النصوص المختارة إلى ما وراءه.

وثانيها - أن يكون التماس الواقعي مع الغرب/ أوروبا ركيزة أساسية للاختيار، على نحو يحصر حدوده في نطاق نصوص الشعراء الذين لامست حواسهم الآخر فعليًّا، وعايشت بيئته وتفاعلت معها تفاعلًا مباشرًا، لفترة زمنية ما، طالت أو قصرت.

وثالثها - أن يكون حضور الآخر الغربي/ الأوروبي في النصوص المختارة حضورًا فاعلًا، غير هامشي، بل روعي في أغلب النصوص المختارة، أن تؤسس تجربة النص الفنية في وجه من وجوهها على ذلك الحضور، وأن تكون الكتابة الشعرية ذاتها أثرًا من آثاره وثمرة من ثماره.

ورابعها - الالتزام بالبنى الإيقاعية الإطارية خيارًا مائزًا بوصفها مكوِّنًا فنيًّا أصيلًا، تفقد الشعرية هويتها حال نفيه والاستغناء عنه.

وقد أسلمتنا محاولة التركيز في إطار هذه الحدود إلى قراءة إنتاج واحد وثلاثين وتسعمائة شاعر وشاعرة (٩٣١) ممن تدخل حيواتهم حيز المجال الأنطولوجي زمنيًّا (١٩٠١-٢٠١١م)، ومكانيًّا (الغرب الأوروبي). فانصرفت فعالية الاختيار، بما هو عمل نقدي يتفاعل مع النصوص ساعيًا إلى استكشاف رؤيتها وشعريتها ومعايشتها والمفاضلة بينها، عبر رحلة طويلة من البحث والجمع، والقراءة والانتقاء انتهت بنا إلى انتخاب عشرين ومائتي نصٍّ شعريٍّ (٢٢٠) لخمسة وثمانين شاعرًا وشاعرة (٨٥)؛ ارتأت الذات المتخيرة قدرتها على تمثيل موقف الشاعر العربي من الآخر الغربي، في تحققاته المختلفة وتجلياته المتعددة.

وقد رأينا أن تتوالى هذه النصوص على أساس زمني تنازلي من الأقدم إلى الأحدث، بما يكشف عن تطور صورة الغرب، وتبدّل أشكال حضوره في الشعر العربي الحديث بين فترة وأخرى، معتمدين سني وفاة الشعراء الراحلين وسني ميلاد الشعراء الأحياء أساسًا لتراتبهم وتتابع قصائدهم.

وفي سبيل السعي إلى اكتمال الفائدة من هذا العمل، حاولنا إنارة ما قد يغمض من اشارات وإحالات في بعض النصوص المختارة، على أشخاص، وأمكنة،

وأزمنة، وأحداث تبدو أقل ذيوعًا واشتهارًا. كما زودنا الكتاب بما يلزم من فهارس وكشّافات؛ فإضافة إلى فهرس الموضوعات الذي وردت فيه القصائد على أساس من تتابع إيرادها في الكتاب - ذيِّل الكتاب بأربعة فهارس هجائية؛ اشتملت على: عناوين القصائد، وأسماء الشعراء مع عناوين قصائد كل واحد منهم ومقطّعاته؛ وأسماء الأعلام، وأسماء الأماكن؛ آملين أن يفتح ذلك العمل، بما اشتمل عليه من مواد خصبة ثرية الباب واسعًا أمام مزيد من الدراسات التي تكشف عن جوانب حضور الغرب وملامح صورته في شعرنا العربي الحديث.

والله عزَّ وجلَّ نسأل أن يكون عملنا مُخلَصًا لوجهه الكريم سبحانه نعم المولى ونعم النصير، عليه توكلنا وإليه المصير.

أ.د. محمد مصطفى أبوشوارب

د. إيهاب النجدي

الكويت في ١٣/٩/٢٠١١م

****

نـــصـــوص

الديوان الغربـي للشاعر العربي

حفني ناصف[1]

عيون وعيون[2]

أرجعوا لي يا غيدَ ماريمبادِ[3]
مهجتي قبل عودتي لبلادي

إنني قد شددتُ رحلي وأهلي
في انتظاري فأطلقوا لي فؤادي

ليتني لم أزر جِماكم فإني
في هواكم أضعت كل رشادي

وبراني الضَّنا فصارت ثيابي
فوق جسمي كمضربٍ ذي عماد

وأتاني السقامُ من حيث أبغي
صحةً وانهزمْتُ قبل الجِلادِ

(١) حفني ناصف (١٢٧٢ - ١٣٣٧هـ = ١٨٥٥ - ١٩١٩م)، كاتب وعالم وشاعر مصري مشهور، تقلد عددًا من المناصب الإدارية، وراس الجامعة المصرية الأهلية عند تاسيسها سنة ١٩٠٨م. كان عضوًا بمؤتمر المستشرقين وزار بعض البلدان الأوروبية للمشاركة في أعماله، كما شارك في تاسيس المجمع اللغوي الأول. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٧/ ٥٤.

(٢) مجلة الزهور، الجزء الخامس، السنة الأولى، تاريخ ١ يوليو ١٩١٠م، ص ٢١١.

(٣) مدينة نمساوية لها شهرة بمياهها المعدنية.

حـدَّثـوا أن فـي حـمـاكُـمْ عـيـونًـا[1]

تــذرُ الــنــاسَ ضــامــري الأجــســاد

صــدّقــوا أنــهــا عــيــونٌ ولــكــن

كُــحِّــلَــتْ مــنــذ خـلـقـهـا بــســواد

جـنـبـونـي ذكــر الــعـيـون فـقـلـبـي

فــي ارتــعــاش مِــن فـعـلـهـا وارتـعـاد

فـهـي كـالـكـهـربـاء تـومــي بـلـحـظٍ

فَــتَــدُقُّ الأجــــراسَ فــي الأكــبــادِ

****

(١) إشارة إلى عيون حارة للاستحمام تنتشر في المدينة.

باريز[1]

ودعتُ باريزَ، وقلبي بها
عند فتاةٍ حسنُها يفتنُ
ترنو بمغناطيس أحداقها
فتَجذبُ الأرواحُ والأعينُ
الدُّرُّ من مبسمها يستحي
وإن تثنت تخجل الأغصن
الشيخ يغدو في هواها فتًى
وفي حلاها يُفْصِحُ الألكن
يروقني في طبعها أنها
صريحة تُظهر ما تبطن
مرآة ما في قلبِها وجهُها
فكل شيء عندها معلن
سكنْتُ في منزلها برهةً
مِن بعدها قلبيَ لا يَسكن
كم في ربا باريز من غادةٍ
حسناء، لكن هذه أحسن

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين. ط١ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٨م: ج٢ ص ٥٧.

صـــورتُــهـــا تـنـطـق أن الـــذي

صـــوَّرَهَـــا فـــي صـنـعـةٍ متـقِـن

(لـــويـــزُ) نـــورُ الــلــهِ فـــي أرضــه

فـــكـــل مـــن أبـــصـــرهـــا مـؤمــن

****

جنيف[1]

سل المها بين إڤيانٍ ولوزانِ[2]
ماذا فعلن بقلب المغرم العاني
إذ كُنَّ في الفُلْكِ كالأقمار في فَلَكٍ
يشرفن فيه على ألعاب نيران
فكم من الأرض سهمٍ للسماء، وكم
سهمٍ تسدد لي من تحت أجفان
يعلو البحيرةَ من نيرانها شررٌ
كزفرتي حين يجري مدمعي القاني
يذهبن بالفلك أيمانًا وميسرةً
منها ويطربن من توقيع ألحان
سرب يغنين بالأفواه مطربة
وثُلَّةٌ بِرَبَابَاتٍ وعيدان
والورق في الشاطئ الأدنى تجاوبها
تبدي أفانين شدوٍ بين أفنان

****

---

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ج٧ ص ٥٧.

(٢) مدينتان سويسريتان معروفتان، تشتهر أولاهما بمياهها المعدنية، على حين تشتهر ثانتاهما بمتحفها الأوليمبي.

ولي الدين يكن[1]

إلى تومي اتكنس[2]

صديق الحرية وحاميها سنة ١٩١٤م

إذا بـــان سـيـفـك عـــن غـمـدِهِ
فـقـد بـــان بـأسـك فـــي حـــدِّهِ

فـأنـت وذا الـسـيـف مـــن جوهـر
وطـبـعـك مـــن طـبـع إفـرنـده

فـــإن يـفـتـخـر فـــي الـوغــى مــاجــدٌ
فـمـجـدك أقـــدم مـــن مـجـده

وعـــزمـك أصـــدق مـــن عـزمـه
وقـصـدك أشـــرف مـــن قـصـده

---

(١) ولي الدين يكن (١٢٩٠ - ١٣٤١هـ = ١٨٧٣ - ١٩٢١ م) شاعر مصري قضى معظم حياته متنقلًا بين مصر وتركيا تقلد عددًا من المناصب الإدارية في القاهرة والأستانة، نشر قصائده ومقالاته في كبريات صحف عصره كالأهرام والمؤيد والمقطم والزهور وغيرها. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ٥٩٨/٢١.

(٢) ولي الدين يكن، ديوانه، تبويب وضبط وشرح أنطوان القوال، ط١ دار الفكر العربي، بيروت ٢٠٠١م: ص ٧١ - ٧٣. وتومي اتكنز: اسم جمعي، اتخذ اسمًا عامًا للجنود الإنجليز في الحرب العالمية الأولى على وجه الخصوص، وغالبًا ما يستخدم تومي فحسب، وكثيرًا ما أشير إلى الجنود الإنجليز بوجه عام بلفظ Tommies، ويردها بعضهم إلى القديس توماس بيكيت الذي قتل في القرن الثاني عشر الميلادي أما لفظ Atkins فهي إشارة إلى الجنود في الستر الحمراء.

إذا ما أغار على عاجز
قديرٍ قدرتَ على رده
فكنت الأمين على قربه
وكنت الوفيَّ على بعده

☆☆☆☆

رددت لغليومَ[1] سهمًا رماه
فردَّ ولكن إلى كبْده
وكان قضى العمر في بَزّيِهِ
فجربه اليوم في جلده
أحب الوغى فهو محبوبه
على عطفه وعلى صده
قضى الأربعين يصب الحديد
على جنده وسوى جنده
وكم خَادَعَ الناس عن حقده
فلم يُخدع الناس عن حقده
هُمُ عرفوهُ على بغضه
كما عرفوه على وده
ولكنهم حفظوا عهده
إلى أن تبرأ من عهده
فخيب عدوانه جيشه
وخيبَةُ الله من بعده
ولو كان يعلم هذا المصير
لما ضل غليوم عن رشده

(١) هو غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا (١٨٨٨ - ١٩١٨م)، صاحب اليد الطولي في أحداث الحرب العالمية الأولى.

لقد بات يضحك في هزله
فأصبح ينحب في جده
وربُّ المغرورِ بعزٍّ بناه
يلاقي المذلة في هده
وحسب المعذب في نحسه
تذكر ما مر من سعده
وكم من مُجِدٍّ إلى مأمل
مساعيه أدت إلى ضده
ومن جاهد الحق في ملكِهِ
تقاصرَ عجزًا مدى جهده
ولو جاءت الزهر من أفقها
لتجديَةُ الفوز لم تجده

☆☆☆☆☆

إلى (تومي اتكنس) مني ثناء
يزيد على الرمل في عده
يفيد الربيع إذا فاض فيه
ندى زهره وشذا ورده
لقد ذاع في (مونس) من حمده
كما ذاع في الهند من حمده
وطاب مخائلَ في مهده
وطاب أحاديث في لحده
فلا يعرف السلم ندًّا له
ولا يقطع الحرب في لدِّه

يظلُّلُه عَلَمٌ ظافرٌ
بوارفه وبممتده
فيهجع ذو الخوف في أمنه
ويرتع ذو البؤس في رغده
وثم عرين إذا قاربتْهُ
ذئابٌ غدت في شبا أسده
فلا يَغزبُ الخفضُ عن حزنه
ولا يَغْرُبُ العزُّ عن نجده

☆☆☆☆

تقدَّمْ تقدَّمْ أمامك نصر
وخصمك إن ترمه تُزْدِهِ
وهذا هشيمٌ وهذا أوان الـ
ـحصاد فبادر إلى حصده
ولا تحذرن بارقًا فوقه
فلا رعد أكذب من رعده
ولا أنت تشقى بإبعاده
ولا أنت تسعد من وعده
لقد كان ينفق من جزله
فقد صار ينفق من ثمده
إذا شهد الناس أنك شهمٌ
فماذا يضرك من جحده
وليس يقاس إليك بشيء
لدى لينه ولدى شده

فقلبك أثبت من قلبه

وزندك أفتل من زنده

وقد زاد عندك خير الإله

وقد نفد الخير من عنده

فأدِّ الثناء لربك واهنأْ

وقل رضيَ الله عن عبده

****

حرب طرابلس الغرب ١٩١١م(١)

من أين جد اليوم هذا الخصامْ
يا أمم الغرب نقضتِ الذِّمامْ
كنا استعدنا أمسِ عهد الصفا
فلم يدم أمس ولا العهد دام
كنا نسينا ما جرى بيننا
وكاد يبدو في الجراح الْتيام
واستجمعت في الصفو أهواؤنا
وعادت الوصلة بعد انصرام
أريتِنَا في الود معنى الجفا
وجئتنا بالحرب تحت السلام
اختلف التسليم ما بيننا
يدٌ تحيِّي ويد في الحسام
لا تبسمي من بعد هذا لنا
قد غَرَّنا فيما مضى الابتسام

☆☆☆☆

وأمة ما أشبهَتْ أمة
تفرَّدَتْ بالغدر بين الأنام

---

(١) ولي الدين يكن، ديوانه: ص ١٤٢ - ١٤٣. اندلعت هذه الحرب ما بين عامي ١٩١١ و١٩١٣م بين إيطاليا من جهة والدولة العثمانية يساندها الشعب الليبي من جهة أخرى.

تسومنا الضيم بلا علة

يا بنت روما إننا لن نضام

هذي قلوب لا تهاب الحمام

هذي صدور لا تبالي الصدام

فأضرمي بين الثرى والسما

نارًا تلغ ما بين ذاك الضرام

هل تستبى أم أسود الشرى

والأسد ما بين يديها قيام

أم يستباح اليوم ذاك الحمى

وفيه أمثال [طغوردٍ] نيام

أم جندنا أضحوا كسرب المها

أم أصبح الغُرْبُ كخيط النعام

مهلاً، فلا تستقدمن خطوة

قد يرغمُ الآناف هذا الرغام

☆☆☆☆

يا رُبَّ همٍّ أصله من هيام

ورب غرم فادح من غرام

يشوي الفراش النور في ناره

وقد تميت الكأس صب المدام

وهذه الأقدار مجهولة

والكون لا يبقى عليه انتظام

☆☆☆☆

ما يبلغ الأسطول من معشر

أسطولهم في البر شم الأكام

منيفة، ثابتة، صلبة،
منيعة، جانبها لا يرام
تهوي عوالي الطير من دونها
وينثني عن مرتقاها الغمام
يا عَلَمُ اخْفقْ، يا طبولُ ارعدي
ويا أسودُ استقدمي للأمام
والله لا نتركها للعدا
تدوس بالأرجل تلك العظام
حتى تُرَوِّي أرضُها من دمٍ
وتختفي بطاحها في الرمام
وتصبح الدأماء في حمرة
وتغتدي آفاقها في ظلام
فلا يَلُمْنا بعدَها لائمٌ
من أيقظ الشرّ عليه الملام
صاحت [طرابُلُسُ] بأبنائها
لبيكِ أماهُ دعوتِ الكرام

****

حافظ إبراهيم[1]

زلزال مِسِّينا سنة ١٩٠٨م[2]

نـبـئـانـي إن كـنـتـمـا تـعـلـمـان
مـا دهـى الـكـون أيـهـا الـفـرقـدان
غـضـبَ الـلـهُ أم تمـردت الأر
ض فـأنْـحَـتْ عـلـى بـنـي الإنـسـان؟
لـيـس هـذا سـبـحـان ربـي ولا ذا
ك ولـكـن طـبـيـعـة الأكـوان
غـلـيـان فـي الأرض نَـفَّـسَ عنه
ثـوران فـي الـبـحـر و(الـبـركـان)
ربِّ، أيـن المـفـر والـبـحـر والـبـرْ
ـرُ عـلـى الـكـيـد لـلـورى عـامـلان؟
كـنـت أخـشـى الـبـحـار والمـوت فيها
راصـدٌ غـفـلـةً مـن الـربـان

---

(١) حافظ إبراهيم (١٢٨٨ - ١٣٥١هـ = ١٨٧١ - ١٩٣٢م) شاعر النيل، وأحد أبرز شعراء عصره، اقترن ذكره بذكر أمير الشعراء أحمد شوقي، وتميز شعره بجزالة إيقاعية مميزة، واستقلت بأكثره قضايا وطنه وأمته. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٨٥/٦.

(٢) حافظ إبراهيم، ديوانه، تحقيق أحمد أمين/ أحمد الزين/ إبراهيم الإبياري، ط دار العودة، بيروت ١٩٨٠م: ج١ ص ٢١٥- ٢٢٠. ومسينا ثالث أكبر مدن جزيرة صقلية بجنوب إيطاليا.

سابح تحتنا، مطل علينا
حائم حولنا، مناءٍ مداني
فإذا الأرض والبحار سواء
في خلاقٍ كلاهما غادران
ما (لمِسِّينَ)؟ عوجلت في صباها
ودعاها من الردى داعيان
ومحت تلكم المحاسن منها
حين نمت آياتها آيتان
خسفت، ثم أغرقت، ثم بادت
قُضي الأمر كله في ثوان
وأتى أمرها فأضحت كأن لم
تك بالأمس زينة البلدان
ليتها أمهلت فتقضي حقوقًا
من وداع اللِّدات والجيران
لحة يسعد الصديقان فيها
باجتماع ويلتقي العاشقان
بغت الأرضُ والجبال عليها
وطغى البحر أيما طغيان
تلك تغلي حقدًا عليها فتنشـ
ـق انشقاقا من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجمًا وقذفًا
بشواظٍ من مارج ودخان
وتسوق البحار درًّا عليها
جيش موج نائي الجناحين داني

فهنا الموت أسود اللون جَوْنٌ
وهنا الموت أحمر الموت قاني
جَنَّدَ الماء والثرى لهلاك الـ
ـخلق ثم استعان بالنيران
ودعا السحب عاتيًا فأمدتـ
ـه بجيش من الصواعق ثان
فاستحال النجاء واستحكم اليأ
س وخارت عزائم الشجعان
وشفى الموت غله من نفوس
لا تباليه في مجال الطعان
أين (ردجو)[1]؟ وأين ما كان فيها؟
من مغانٍ مأهولة وغوان
عوجلت مثل أختها ودهاها
ما دهاها من ذلك الثوران
رب طفل قد ساخ في باطن الأر
ض ينادي: أمي! أبي! أدركاني!
وفتاة هيفاء تُشوى على الجمـ
ـر تعاني من حَرِّهِ ما تعاني
وأب ذاهلٍ، إلى النار يمشي
مستميتًا تمتد منه اليدان
باحثًا عن بناته وبنيه
مسرع الخطو مستطير الجنان
تأكل النار منه لا هو ناج
من لظاها ولا اللظى عنه وانِ

---

(١) ردجو (ريو) كالابريا: عاصمة إقليم كالابريا الذي يقع في اقصى جنوب شرق إيطاليا واكبر مدنه.

غصت الأرض أتخم البحر مما
طوياه من هذه الأبدان
وشكا الحوت للنسور شكاة
رددتها النسور للحيتان
أسرفا في الجسوم نقرًا ونهشًا
ثم باتا من كِظَّةٍ يشكوان
لا رعى الله ساكن القمم الشمْـ
ـم ولا حاط ساكن القيعان
قد أغارا على أكفٍّ براها
بارئ الكائنات للإتقان
كيف لم يرحما أناملها الغُرْ
رَ ولم يرفقا بتلك البنان؟
لَهْفُ نفسي وألف لَهْفٍ عليها
من أكف كانت صناع الزمان!
مولعات بصيد كل جميل
ناصبات حبائل الألوان
حافرات في الصخر أو ناقشات
شائدات روائع البنيان
مُنطقات لسان كل جماد
مُفحمات سواجع الأفنان
مُلهمات من دقة الصنع ما لا
يلهم الشعر من دقيق المعاني
من تماثيل كالنجوم الدراري
يهرم الدهر وهْي في عنفوان

عجب صُنْعُهَا! وأعجب منه
صُنْعُهُ! تلك قدرة الرحمن
إيه «مِسِّينُ» آنسي اليومَ «بُقْبِيْـ
ـيَ» فقد أُوحِشَتْ بذاك المكان
آنسي الدرة التي كانت الحلـ
ـية في تاج دولة (الرومان)
غالها قبلك الزمان اغتيالا
وهي تلهو في غبطة وأمان
جاءها الأمر والسراة عكوفًا
في الملاهي على غناء القيان
بين صبٍّ مُدَلَّهٍ وطروبٍ
وخليع في اللهو مرخي العنان
فانطووا كانطواء أهلك بالأمـ
ـس وزالت بشاشة العمران
أنت (مسين) لن تزولي كما زا
لت ولكن أمسيت رهن الأوان
إن إيطاليا بنوها بُنَاةٌ
فاطمئني ما دام في الحي بان
فسلام عليك يوم توليـ
ـت بما فيك من مغانٍ حسان
وسلام عليك يوم تعوديـ
ـن كما كنت جنة الطليان
وسلام من كل حي على الأر
ض على كل هالك فيك فانِ

وســـــلام عــلــى الألـــــى أكـــل الــذئـــ
ـــب ونـــاشـــت جـــــوارح الــعــقــبـان

وســـــلام عــلــى امـــــرئ جـــاد بــالــدمـــ
ـــع وثـــنـــى بـــالأصـــــفـــر الـــرنـــان

ذاك حـــق الإنــســان عــنــد بــنــي الإنــ
ــســان لــم أدعــكــم إلـــى إحــســان

فـاكـتـبـوا فـي سـمـاء (ردجـــو) و(مـسِّـيـ
ـنـا) و(كـــالِــبْــرِيَـــا) بـكـل لـسـان

هــا هــنـا مـصـرع الـصـنـاعـة والـتـصـ
ـويـر والحــــذق والحـــجـــا والأغـــانـــي

****

ذكرى شكسبير[1]

يحييك من أرض الكنانة شاعرٌ
شغوفٌ بقول العبقريين مغرمُ
ويطربه في يوم ذكراك أن مشت
إليك ملوك القول عرب وأعجم
نظرت بعين الغيب في كل أمة
وفي كل عصر ثم أنشأت تحكم
فلم تخطئِ المرمى ولا غرو أن دنت
لك الغاية القصوى فإنك ملهم
أفق ساعة وانظر إلى الخلق نظرة
تجدهم - وإن راق الطلاء - هُمُ هُمُ
على ظهرها من شر أطماعهم دمٌ
وفوق عباب البحر من صنعهم دم
تفانوا على دنيا تغر وباطل
يزول إلى أن ضجت الأرض منهم
فليتك تحيا يا أبا الشعر ساعة
لتنظر ما يُضمِي ويدمي ويؤلم

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج١ - ص٧٢ - ٧٥. قالها تلبية لدعوة المجمع العلمي بإنجلترا الذي أقام احتفالاً بذكرى شكسبير لمرور ثلاثمائة عام على وفاته (نشرت في ١ مارس ١٩١٦م).

وقائع حرب أجَّجَ العلم نارها
فكاد بها عهد الحضارة يختم
وتعلم أن الطبع لازال غالبًا
سواء جهول القوم والمتعلم
فما بلغت منه الحضاره مأربًا
ولا نال منه العلم ما كان يزعم
أهبت بهذا من قرون ثلاثة
وكنت على تلك الطبائع تنقم
وما هدم التجريب رأيًا بنيتَهُ
ولا زالت الآراء تبني وتهدم
ألا إن ذكرى شكسبير بدت لنا
بشير سلام ثغره يتبسم
فلو أنصفوا أبطالهم لتهادنوا
قليلًا وحيوا شعره وترنموا
ولم يطلقوا في يوم ذكراه مدفعًا
ولم يزهقوا نفسًا ولم يتقحموا
له قلم ماضي الشَّبَاة كأنما
أقام بشقَّيْه القضاء المحتم
طهورٌ إذا ما دنست كف كاتب
وثُوبٌ إذا ما قر في الطرس مرقم
ولوعٌ بتصوير الطباع فلم يجز
بعاطفةٍ إلا حسبناه يرسم
أرانيَ في (ماكبيث) للحقد صورة
تكاد بها أحشاؤه تتضرم

ومثَّل في (شيلوك) للبخل سحنة
عليها غبار الهون والوجه أقتم

وأقعدني عن وصف (همليت) حسنها
وفي مثلها تعيا اليراعة والفم

دع السحر في (رميو) و(جولييت) إنما
يحس بما فيها الأديب المتيم

أتاهم بشعر عبقريٍّ كأنه
سطور من الإنجيل تتلى وتكرم

نديٌّ على الأيام يزداد نضرة
ويزداد فيها جدة وهو يَقْدُمُ

يُؤَتّى إلى قُرّائه أن نَسْجَهُ
ليومٍ وأن الحائك اليوم فيهم

كتلك النقوش الزاهيات بمعبد
لفرعون لا زالت على الدهر تسلم

فلم يَدْنُ من إحسانه متأخر
ولم يَجْرِ في ميدانه متقدم

أطل عليهم من سماء خياله
وحلَّق حيث الوهم لا يتجشم

وجاء بما فوق الطبيعة وَقْعُهُ
فأكبر قوم ما أتاه وأعظموا

وقالوا تحدانا بما يُعجز النهى
فلسنا إذن آثارَهُ نترسم

ولم يتحدَّ الناس لكنه امرؤ
بما كان في مقدوره يتكلم

لقد جهلوه حقبة ثم ردهم
إليه الهدى فاستغفروا وترحموا
كذاك رجال الشرق لو ينصفونهم
لقام لهم في الشرق والغرب موسم
أضاء بهم بطن الثرى بعد موتهم
وأعقابهم عن نور آياتهم عموا
فقل لبني التاميز[1] والجمع حافل
به ينثر الدر الثمين وينظم
لئن كان في ضخم الأساطيل فخركم
لَفَخْرُكُمُ بالشاعر الفرد أعظم

****

(١) إشارة إلى نهر التاميز الذي يخترق العاصمة البريطانية لندن.

رحلة حافظ إلى إيطاليا[1]

عاصفٌ يرتمي وبحر يُغِيرُ
أنا بالله منهما مستجيرُ
وكأنّ الأمواج - وهي تَوالى
مُحنقاتٍ - أشجان نفس تثور
أزبدت، ثم جرجرت، ثم ثارت
ثم فارت كما تفور القدور
ثم أوفت مثل الجبال على الفلـ
ـكِ وللفلكِ عزمةٌ لا تخور
تترامى بجؤجؤٍ لا يبالي
أمياهٌ تحوطهُ أم صخور؟
أزعج البحر جانبيها من الشدْ
دِ فجنبٌ يعلو وجنبٌ يغور
وهو آنًا ينحطُّ مِنْ عَلُ كالسَّيـ
ـل وآنًا يحوطها منه سور
وهي تَزْوَرُّ كالجواد إذا ما
ساقه للطِّعان نَدْبٌ جسور
وعليها نفوسنا خائرات
جازعات كادت شعاعًا تطير

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج١ ص٢٢٧ - ٢٣٣.

فـي ثـنـايـا الأمــواج والـزُّبَـدِ المنـ

ـدوف لاحــت أكـفـانـنـا والـقـبـور

مـر يــومٌ وبـعـض يــومٍ عـلـيـنـا

والمـنـايـا إلـى الـنـفـوس تـشـيـر

ثـم طـافـت عـنـايـة الـلـه بـالـفـلـ

ـك فـزالـت عَـمَّـن تـقـل الـشـرور

مـلـكـت دفــة الـنـجـاة يـد الـلـ

ـه فـسـبـحـان مـن إلـيـه المـصـيـر

أمــر الـبـحـر فـاسـتـكـان وأمـسـى

مـنـه ذاك الـعـبـاب وهـو حـصـيـر

أيـهـا الـبـحـر لا يَـغُـرَّنْـكَ حـولٌ

واتـسـاع وأنـت خـلـق كـبـيـر

إنمـا أنـت قـطـرة فـي إنـاءٍ

لـيـس يـدري مـداه إلا الـقـديـر

إيـه (إسـبـيـريـا)[1] فَـدَتْـكِ الجـوارى

مُـنـشَـآت كـأنـهـن الـقـصـور

يـا عـروس الـبـحـار إنـك أهـل

أن تُحَـلَّـيـكِ بـالجـمـان الـبـحـور

فـالـبـسـي الـيـوم مـن ثـنـائـيَ عـقـدًا

تـشـتـهـيـه مـن الحـسـان الـنـحـور

☆☆☆☆

إيـه إيـطـالـيـا عَـدَتْـكِ الـعـوادي

وتـنـحـى عـن سـاكـنـيـك الـثـبـور

(١) إسبيريا: اسم الباخرة التي استقلها حافظ في رحلته إلى إيطاليا.

فيك يا مهبط الجمال فنون
ليس فيها عن الكمال قصور

ودُمًى جَمَّعَ المحاسنُ فيها
صَنَعُ الكفِّ عبقريٌّ شهير

قد أقيمت من الجماد ولكن
من معاني الحياة فيها سطور

فهي تبدو من الملائك يكسو
ها جمالٌ على جِفَافَيْهِ نور

أُمرت بالسكوت من جانب الحقْ
قِ بدنيا فيها الأحاديث زور

أرضهم جنةٌ وحورٌ وولدا
ن كما تشتهي وملك كبير

تحتها - والعياذ بالله - نارٌ
وعذاب ومنكر ونكير

إن يومًا كيوم (ردجو) و(مسِّيـ
ـنا) و(كالِبْرايا) ليوم عسير

ساعة منه تهلك الحرث والنسـ
ـل وتمحو ما سطرته الدهور

ذاك (فيزوف)[1] قائمًا يتلظى
قد تعالى شهيقه والزفير

ينذر القوم بالرحيل ولكن
ليس يغني مع الفضاء النذير

وكذاك الأوطان مهما تجنت
ليس للحر عن حماها مسير

---

(١) فيزوف بركان إيطالي معروف.

شمسهم غادة عليها حجاب
فهي شرقيةٌ حَوَتْها الخدور
شمسنا غادة أبت أن توارى
فهي غربية جلاها السفور
جوهم في تقلب واختلاف
غير أن الثبات فيهم وفير
جونا أثبت الجواء ولكن
ليس فينا على الثبات صبور
ولديهم من الفنون لباب
ولدينا من الفنون قشور
أنكر الوقفَ شرعُهُم فلهذا
كل رَبْعٍ بأرضهم معمور
ليس فيها مستنقعٌ أو جدارٌ
قد تداعى أو مسكن مهجور
كل شبر فيها عليه بناء
مُشْمَخِرٌّ أو روضة أو غدير
قسموا الوقت بين لهو وجدٍّ
في مدى اليوم قسمة لا تجور
كلهم كادح بكور إلى الرز
ق ولاهٍ إذا دعاه السرور
لا ترى في الصباح لاعبَ نرد
حولَهُ للرهان جَمٌّ غفير
لا ولا باهلًا سليم النواحي
للقهاوي رواحه والبكور

لم يحل بينهم وبين الملاهي
أو شؤون الحياة جوٌّ مطير
لا يبالون بالطبيعة حنت
أم تجنت أم احتواها النعور؟
عصفت فوقهم رياح عَوَاتٍ
أم أجازت بهم صبًا أم دَبُورُ؟
قد أعدّوا لحادثات الليالي
عدةً لا يحوزها التقدير
نَضَّروا الصخر في رءوس الرواسي
ولدينا في موطن الخصب بور
قد وقفنا عند القديم وساروا
حيث تسري إلى الكمال البدور
والجواري في النيل من عهد (نوح)
لم يُقَدَّرْ لصنعها تغيير
ولع القوم بالنظافة حتى
جُنَّ فيها غنيُّهم والفقير
فإذا سرتُ في الطريق نهارًا
خلتُ أني على المرايا أسير
أفرط القوم في النظام، وعندي
أن فرط النظام أَسْرٌ ونير
ولذيذ الحياة ما كان فوضى
ليس فيها مسيطر أو أمير
فإذا ما سألتني قلت عنهم
أمةٌ حرةٌ وفردٌ أسيرُ

ذاك رأيـــي وهـــل أشـــــارَكُ فيه

إنـــه قـــول شـــاعـــر لا يـضـيـر

في جبال (التيرول)[1] إن أقبل الصيـ

ـف نعيم وإن مضى زمهرير

أذكرتني ما قاله عربيٌّ

طارقيٌّ أمسى احتواه (شُلَيْرٌ)[2]:

حل تَرْكُ الصلاة في هذه الأر

ض وحلت لنا عليها الخمور

إن صدر السعير أحنى علينا

من (شُلْيرٍ) وأين منا السعير

قد بلوتُ الحياة في الشرق والغر

ب فما في الحياة أمرٌ يسير

من ثواء فيه الملال لزام

أو رحيل فيه العناء كثير

****

(١) التيرول: أحد أقاليم جبال الألب، يقع في شمال شرق إيطاليا.

(٢) شُلَير: جبل بالأندلس في إقليم البيرة، دائم الجليد.

حادثة دنشواي[1]

أيها القائمون بالأمر فينا
هل نسيتم ولاءنا والودادا؟
خفِّضوا جيشكم وناموا هنيئا
وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا
وإذا أَعْوَزَتْكُمُ ذاتُ طوق
بين تلك الربا فصيدوا العبادا
إنما نحن والحمام سواءٌ
لَمْ تغادر أطواقُنا الأجيادا
لا تظنوا بنا العقوق، ولكن
أرشدونا إذا ضللنا الرشادا
لا تُقِيدُوا من أمة بقتيل
صادت الشمسُ نفسَه حين صادا
جاء جهالنا بأمر وجئتم
ضِعْفَ ضِعْفَيْه قسوةً واشتدادا
أحسنوا القتل إن ضَنِنْتُم بعفوٍ
أقصاصًا أردتُمُ أم كيادا؟

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٢٠ - ٢٢. ودنشواي قرية مصرية صغيرة بالمنوفية توفي بها أحد ضباط الاحتلال البريطاني عام ١٩٠٦م متأثرًا بضربة شمس، عقب مطاردة الأهالي لمجموعة من الضباط الإنجليز تسببوا بإحراق أجران الغلال أثناء تمتعهم بصيد الحمام.

أحسنوا القتل إن ضَنِنْتُمْ بعفوٍ
أنفوسًا أصبتُمُ أم جمادا؟
ليت شعري أتلك (محكمة التفـ
ـتيش) عادت أم عهد (نيرون) عادا؟
كيف يحلو من القويِّ التَّشَفِّي
من ضعيف ألقى إليه القيادا؟
إنها مثله تَشُفُّ عن الغيـ
ـظ ولسنا لغيظكم أندادا
أكرمونا بأرضنا حيث كنتم
إنما يكرم الجواد الجوادا
إن عشرين حجة بعد خمسٍ
علمتنا السكون مهما تمادى
أمة النيل أكبرت أن تعادِي
من رماها وأشفقت أن تعادَى
ليس فيها إلا كلام، وإلا
حسرة بعد حسرة تتهادى

☆☆☆☆

أيها المدعي العموميُّ مهلا
بعض هذا فقد بلغت المرادا
قد ضَمَنَّا لك القضاء بمصر
وضمنا لنجلك الإسعادا
فإذا ما جلست للحكم فاذكر
عهد (مصرٍ) فقد شفيت الفؤادا

لا جرى النيل في نواحيك يا (مصـ

ـر) ولا جادَكِ الحيا حيث جادا

أنتِ أنبتِّ ذلك النبت يا (مصـ

ـرُ) فأضحى عليك شوك قتادا

أنت أنبتِّ ناعقًا قام بالأمـ

ـس فأدمى القلوب والأكبادا

إيهِ يا مِدْرَةَ القضاء! ويا من

ساد في غفلة الزمان وشادا

أنت جلادنا، فلا تنس أنا

قد لبسنا على يديك الحدادا

****

استقبال (اللورد) كرومر[1] عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواي[2]

(قصر الدُّبارةِ) هل أتاك حديثنا؟
فالشرقُ رِيعَ لهُ وضجَّ المغربُ
أهلًا بساكنك الكريم ومرحبًا
بعد التحية إنني أتعتَّبُ
نَقَلَتْ لنا الأسلاك عنك رسالة
باتت لها أحشاؤنا تتلهب
ماذا أقول وأنت أصدق ناقل
عنا ولكنَّ السياسة تكذب
علمتَنَا معنى الحياة فما لنا
لا نشرئبُّ لها وما لك تغضب
أَنَقِمْتَ منا أن نُحِسَّ؟ وإنما
هذا الذي تدعو إليه وتندب
أنت الذي يُعزى إليه صلاحنا
فيما تقرره لديك وتكتب
إن ضاق صدر النيل عما هالَهُ
يومَ الحَمَام فإن صدرَك أرحب

(١) اللورد كرومر (١٨٤١ - ١٩١٧م)، المعتمد السامي البريطاني الأشهر في مصر، كان رمزًا للاحتلال السافر، قبض على زمام السلطة في مصر قرابة الربع قرن (١٨٨٢ - ١٩٠٦م)، واشتهر بعدائه للقيم والمقومات الإسلامية والعربية، وسعيه الدائم للقضاء عليها.

(٢) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٢٢ - ٢٥.

أو كلما باح الحزين بأنةٍ
أمست إلى معنى التعصب تُنسب
رفقًا عميد الدولتين بأمةٍ
ضاق الرجاء بها وضاق المذهب
رفقًا عميد الدولتين بأمة
ليست بغير ولاتها تتعذب
إن أرهقوا صيادكم فلعلهم
للقوت لا للمسلمين تعصبوا
ولربما ضن الفقير بقوته
وسخا بمهجتِهِ على من يغصب
في دنشواي وأنت عنا غائب
لَعبَ القضاء بنا وعز المهرب
حسبوا النفوس من الحَمَام بديلة
فتسابقوا في صيدهن وصوبوا
نُكبوا وأقفرتِ المنازل بعدهم
لو كنتَ حاضرَ أمرِهِمْ لم يُنْكَبُوا
خَلَّيْتَهُم والقاسطون بمرصد
وسياطُهم وحبالُهم تتأهب
جلدوا ولو مَنَّيْتَهُم لتعلقوا
بحبال من شنقوا ولم يتهيبوا
شُنقوا ولو مُنحوا الخيار لأَهَّلُوا
بلظى سياط الخالدين ورحبوا
يتحاسدون على الممات، وكأسِهِ
بين الشفاهِ وطعْمُهُ لا يَعْذُبُ

موتان: هذا عاجل متنمر

يرنو، وهذا آجل يترقب

والمستشار مكاثرٌ برجاله

ومعاجز ومناجز ومحزِّب

يختال في أنحائها متبسمًا

والدمع حول ركابه يتصبب

طاحوا بأربعة فأردوا خامسًا

هو خير ما يرجو العميد ويطلب

حَبٌّ يحاول غرسه في أنفس

يجني بمغرسها الثناء الطيب

كن كيف شئت، ولا تَكِلْ أرواحنا

للمستشار، فإن عدلك أخصب

وأفض على (بُنْدٍ) إذا ولى القضا

رفقًا، يهش له القضاء ويطرب

قد كان حولك من رجالك نخبة

ساسوا الأمور فدربوا وتدربوا

أقصيتهم عنا، وجئت بفتية

طاش الشباب بهم وطار المنصب

فاجعل شعارك رحمة ومودة

إن القلوب مع المودة تكسب

وإذا سئلت عن المكانة قل لهم

هي أمة تلهو وشعب يلعب

واستَبْقِ غفلتَها، ونم عنها تنم

فالناس - أمثال الحوادث - قُلَّبُ

****

شكوى مصر من الاحتلال[1]

لقد كان فينا الظلم فوضى فهُذِّبَتْ
حواشيه حتى بات ظلمًا منظما
تَمُنُّ علينا اليوم أن أخصب الثرى
وأن أصبح المصريُّ حرًّا منعمًا
أعِدْ عهد (إسماعيل)[2] جلدًا وسخرةً
فإني رأيت المن أنكى وآلما
عملتم على عِزِّ الجماد وذلنا
فأغليتُمُ طينًا وأرخصتُمُ دما
إذا أخصبَتْ أرضٌ وأجدب أهلُها
فلا أطلعَتْ نبتًا ولا جادها السما
نَهَشُّ إلى الدينار حتى إذا مشى
به ربه للسوق ألفاه درهما
فلا تحسبوا في وفرة المال - لم تفد
متاعًا ولم تعصم من الفقر - مغنما
فإن كثيرَ المال - والخفض وارف -
قليلٌ إذا حل الغلاء وخيما

****

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٢٥ - ٢٦.

(٢) إشارة إلى الخديو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي (١٨٣٠ - ١٨٩٥م) خامس حكام أسرة محمد علي في مصر؛ حيث خلف عمه محمد سعيد في ١٨ يناير ١٨٦٣م إلى أن خلعته الدولة العثمانية عن العرش بإيعاز من إنجلترا في ٢٦ يونيو ١٨٧٩م.

وداع اللورد كرومر[1]

فتى الشعر! هذا موطن الصدق والهدى

فلا تكذبِ التاريخ إن كنت منشدا

لقد حان توديع العميد وإنه

حقيق بتشييع المحبين والعدا

فودع لنا الطود الذي كان شامخًا

وشيِّعْ لنا البحر الذي كان مُزبِدا

وزوِّدْهُ عنا بالكرامة كلها

وإن لم يكن بالباقيات مزودا

فلم لا نرى الأهرام - يا نيل - مُيَّدًا؟

وفرعون عن واديك مرتحلٌ غدا؟

كأنك لم تجزع عليه ولم تكن

ترى في حمى فرعون أمنًا ولا جدا

سلامٌ ولو انا نُسيء إلى الألى

أساءوا إلينا ما مددنا لهم يدا

سنطري أياديك التي قد أفضتَها

علينا فلسنا أمة تجحد اليدا

(1) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٢٦ - ٣٠.

أمنًا، فلم يسلك بنا الخوف مسلكًا

ونمنا، فلم يطرق لنا الذعر مرقدا

وكنت رحيمَ القلب تحمي ضعيفنا

وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا

ولولا أسًى في (دنشواي) ولوعة

وفاجعة أدمت قلوبًا وأكبدا

ورميُك شعبًا بالتعصب غافلا

وتصويرُك الشرقيَّ غرًّا مجردا -

لذبنا أسى يوم الوداع لأننا

نرى فيك ذاك المصلح المتوددا

تشعبتِ الآراء فيك فقائل

أفاد الغنى أهل البلاد وأسعدا

وكانت له في المصلحين سياسة

ترخص فيها تارة وتشددا

رأى العز كل العز في بسطة الغنى

فحارب جيش الفقر حتى تبددا

وأمتعكم بالنيل فهو مبارك

على أهله خصبًا وريًّا وموردا

وسن لكم حرية القول عندما

رأى القول في أسر السكوت مقيدا

وآخر لم يقصر على المال همه

يرى أن ذاك المال لا يكفل الهدى

فلا يحمد الإثـــراء حتى يزينه

بعلم، وخير العلم ما كان مرشدا

يناديك قد أزريت بالعلم والحجا

ولم تبق للتعليم يا (لُـــرْدُ) معهدا

وأنـــك أخصبت البلاد تعمُّدًا

وأجدبت في مصر العقول تعمدا

قضيت على أم اللغات وإنه

قضاء علينا أو سبيل إلى الردى

ووافيت والقطران[1] في ظل راية

فما زلت (بالسودان) حتى تمردا

فطاح كما طاحت (مُصَوَّعُ)[2] بعده

وضاعت مساعينا بأطماعكم سدى

حجبت ضياء الصحْف عن ظلماته

ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا)[3]

وأودعـــت تقرير الـــوداع مغامزًا

رأينا جفاء الطبع فيها مُجَسّدا

غمزت بها دين النبي وإننا

لنغضب إن أغضبتَ في القبر (أحمدا)

يناديك أين النابغون بعهدكم

وأي بناء شامخ قد تجددا

---

(١) إشارة إلى مصر والسودان.

(٢) مدينة تطل على البحر الأحمر، كانت عاصمة لإريتريا حتى نقلت العاصمة إلى أسمرة عام ١٩٠٠م، وقد ضمها الخديو إسماعيل إلى حكمه.

(٣) المؤيد جريدة مصرية أسسها الزعيم مصطفى كامل في ١ ديسمبر ١٨٨٩م، وتولى رئاسة تحريرها الشيخ علي يوسف إلى أن توقف صدورها. وقد اشتهرت بمعاداة الاحتلال، وهو ما دفع كرومر إلى حجبها غير مرة.

فما عهد (إسماعيل) والعيش ضيق
بأجدب من عهد لكم سال عسجدا
يناديك وَلَّيْتَ الوزارة هيئةً
من الصم لم تسمع لأصواتنا صدى
فليس بها عند التشاور من فتى
أبيٍّ إذا ما أصدر الأمر أوردا
بربك ماذا صدنا؟ ولوى بنا
عن القصد؟ إن كان السبيل ممهدا؟
أشرْتَ برأي في كتابك، لم يكن
سديدًا، ولكن كان سهمًا مسددًا
وحاولت إعطاء الغريب مكانةً
تجر علينا الويل والذل سرمدا
فيا ويل مصر يوم تشقى بندوة
يبيتُ بها ذاك الغريب مسودا
ألم يكفنا أنا سُلبنا ضِياعَنا
على حين لم نبلغ من الفطنة المدى؟
وزاحمنا في العيش كل ممارس
خبير، وكنا جاهلين ورُقَّدا
وما الشركات السود في كل بلدة
سوى شَرَكٍ يُلْقي به مَن تصيدا
فهذا حديث الناس، والناس ألسنٌ
إذا قال هذا صاح ذاك مفندا

ولـو كـنـتُ مـن أهـل الـسـيـاسـة بيـنـهـم

لـسـجـلْـتُ لـي رأيًـا وبـلـغـت مـقـصـدا

ولـكـنـنـي فـي مـعـرض الـقـول شـاعـر

أضــافَ إلـى الـتـاريـخ قـولا مـخـلـدا

فـيـا أيـهـا الـشـيـخ الجـلـيـل، تحـيـة

ويـا أيـهـا الـقـصـر الـمُـنِـيـفُ تَجَـلُّـدَا

لـئـن غـاب هـذا الـلـيـث عـنـك لـعـلـةٍ

لـقـد لـبـثـت آثـاره فـيـك شُـهَّـدَا

****

الحرب العظمى[1]

لاهُــمَّ! إن الــغــرب أصـبـح شـعـلـة
من هَـوْلِـهـا أُمُّ الـصـواعـق تَـفْـرُقُ

الـعـلـم يُـذْكِـي نـارَهـا، وتـثـيـرهـا
مـدنـيَّـةٌ خـرفـاء لا تـتـرفـق

ولـقـد حـسـبـت الـعـلـم فـيـنـا نـعـمـة
تـأسـو الـضـعـيـف ورحـمـة تـتـدفـق

فـإذا بـنـعـمـتـه بـلاءٌ مـرهـق
وإذا بـرحـمـتـه قـضـاء مـطـبـق

عـجـز الـرمـاة عـن الـرمـاة، فـأرسـلـوا
كِـسْـفًـا يـمـوج بـهـا دخـان يـخـنـق

تـتـعـوذ الآفـاق مـنـه، وتـنـثـنـي
عـنـه الـريـاح ويـتّـقِـيـهِ الـفـيـلـق

وتـنـابـلـوا بـالـكـيـمـيـاءِ فـأسـرفـوا
وتـسـاجـلـوا بـالـكـهـربـاء فـأغـرقـوا

وتـنـازلـوا فـي الـجـو حـيـن بـدا لـهـم
أن الـبـسـيـطـة عـن مـداهـم أضـيـق

---

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٨٦.

نفسوا على الحيتان واسع ملكها

فتفننوا في سلبه وتأنقوا

ملكوا مسابحها عليها، بعدما

غلبوا النسور على الجواء وحلقوا

إن كان عهد العلم هذا شأنه

فينا فعهد الجاهلية أرفق

****

فكتور هوغو[1]

أعجمي كاد يعلو نجمه
في سماء الشعر نجمَ العربي

صاح في العلياء فيها والتقى
بالمعري فوق هام الشهب

ما ثغور الزهر - في أكمامها
ضاحكات من بكاء السحب

نَظَمَ الوسميُّ فيها لؤلؤًا
كثنايا الغيد أو كالحبب

عند من يقضي - بأبهى منظرًا
من معانيه التي تلعب بي

بسمت للذهن فاستهوت نهى
مغرم الفضلِ وصبٍّ الأدبِ

وَجَلَتْهَا حكمةٌ بالغةٌ
أعجزتْ أطواقَ أهل المغربِ

سائلوا الطير إذا ما هاجكم
شدوُها بين الهوى والطرب

هل تغنَّتْ أو أرنَّتْ بسوى
شعر (هوغو) بعد عهد العرب

---

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج١ ص٣٨ - ٤٠.

كان مُرَّ النفس أَوْ تَرْضَى العلا

تظمأُ الأفلاكُ إن لم يَشرب

عاف في منفاهُ أن يدنو به

عفو ذاك القاهر المغتصب

بشروه بالتداني ونسوا

أنه ذاك العصاميُّ الأبي

كتب المنفيُّ سطرًا للذي

جاءه بالعفو فاقرأ واعجبِ

أبريءٌ عنه يعفو مذنبٌ؟

كيف تسدي العفوَ كفُّ المذنب؟

جاء والأحلام في أصفادها

ما لها في سجنها من مذهب

طبع الظلم على أقفالها

بلظاه خاتمًا من رهب

أمعن التقليد فيها فغدت

لا ترى إلا بعين الكتب

أمر التقليد فيها ونهى

بجيوش من ظلام الحجب

جاءها (هوغو) بعزم، دونه

عزة التاج، وزهو الموكب

وانبرى يصدع من أغلالها

باليراع الحر لا بالقُضُب

هاله ألا يراها حرة

تمتطي في البحث متن الكوكب

ساءه ألا يرى في قومه

سيرةَ الإسلام في عهد النبي

قلتَ عن نفسِكَ قولًا صادقًا

لم تَشُبْهُ شائباتُ الكذب:

أنا كالمَنجمِ تِبْرٌ وثرًى

فاطرحوا تُربي وصونوا ذهبي

****

حرب طرابلس[1]

طمع ألقى عن الغرب اللثاما
فاستفق يا شرق واحذر أن تناما

واحملي أيتها الشمس إلى
كل من يسكن في الشرق السلاما

واشهدي يوم التنادي أننا
في سبيل الحق قد متنا كراما

مادت الأرض بنا حين انتشت
من دم القتلى حلالًا وحراما

عجز الطليان عن أبطالنا
فأَعَلُّوا من ذرارينا الحساما

كبَّلوهم، قتلوهم، مثلوا
بذوات الخدر، طاحوا باليتامى

ذبَّحوا الأشياخ والزَّمْنَى، ولم
يرحموا طفلًا، ولم يبقوا غلاما

أحرقوا الدور، استحلوا كل ما
حرَّمَتْ (لاهاي) في العهد احتراما

بارك المطران في أعمالهم
فسلوه بارك القومَ علاما؟

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٦٦ - ٦٩.

أبـهـذا جـاءهـم إنجـيـلُـهُـم
آمـرًا يـلـقـي عـلـى الأرض سـلامـا؟
كـشـفـوا عـن نـيـة الـغـرب لـنـا
وجـلـوا عـن أفُـقِ الـشـرق الـظـلامـا
فـقـرأنـاهـا سـطـورًا مـن دم
أقـسـمـت تَـلْـتَـهِـمُ الـشـرق الـتـهـامـا
أطـلـقـوا الأسـطـول فـي الـبـحـر كـمـا
يـطـلـق الـزاجـل فـي الـجـو الـحـمـامـا
فـمـضـى غـيـر بـعـيـد، وانـثـنـى
يـحـمـل الأنـبـاء شـؤمًـا وانـهـزامـا
قـد مـلأنـا الـبـرَّ مـن أشـلائـهـم
فـدعـوهـم يـمـلـئـوا الـدنـيـا كـلامـا
أعـلـنـوا الـحـرب، وأضـمـرنـا لـهـم
أيـنـمـا حـلـوا هـلاكًـا واحـتـرامـا
خـبـروا (فـكـتـور)[1] عـنـا أنـه
أدْهَـشَ الـعـالـم حـربًـا ونـظـامـا
أدهـش الـعـالـم لـمـا أن رأوا
جـيـشـه يـسـبـق فـي الـجـرْيِ الـنـعـامـا
لـم يـقـف فـي الـبـر إلا ريـثـمـا
يـسـلـم الأرواح أو يـلـقـي الـزمـامـا
حـاتـم[2] الـطـلـيـان! قـد قـلَّـدْتَـنَـا
مـنـةً نـذكـرهـا عـامًـا فـعـامـا

(١) فيكتور عمانويل الثالث (١٨٦٩-١٩٤٧م) آخر ملوك إيطاليا، (١٩٠٠-١٩٤٦م) خلع من العرش عقب استفتاء شعبي قضى بتحول البلاد إلى النظام الجمهوري. اقام اخريات حياته بالإسكندرية وتوفي ودفن بها.
(٢) إشارة إلى حاتم بن عبدالله الطائي جواد العرب الأشهر.

أنــت أهــديــت إلــيــنــا عــدة

ولــبــاسًــا وشــرابًــا وطــعــامــا

وســلاحًــا كــان فــي أيــديــكــم

ذا كــلالٍ فــغــدا يَــفْــرِي الــعــظــامــا

أكــثــروا الــنــزهــة فــي أحــيــانــنــا

وَرُبَــانــا، إنــهــا تــشــفــي الــســقــامــا

وأقــيــمــوا كــل عــام مــوســمًــا

يــشــبــع الأيــتــام مــنــا والأيــامــى

لــســت أدري ! بــت تــرعــى أمــة

مــن بــنــي (الــتــلــيــان) أم تــرعــى ســوامــا؟

مــالــهــم - والــنــصــر مــن عــادتــهــم -

لــزمــوا الــســاحــل خــوفــا واعــتــصــامــا؟

أفــلــتــوا مــن نــار (فــيــزوفَ) إلــى

نــار حــرب لــم تــكــن أدنــى ضــرامــا

لــم يــكــن (فــيــزوفُ) أدهــى حــمــمًــا

مــن كــراتٍ تــنــفــث المــوت الــزؤامــا

إيــه يــا (فــيــزوفُ) نم عــنــهــم فــقــد

نَــفَــضَــتْ إفــريــقــيــا عــنــهــا المــنــامــا

فــهــي (بــركــانٌ) لــهــم سَــخْــرَةُ

مــالــكُ المــلــكِ جــزاءً وانــتــقــامــا

لــو دروْا مــا خــبــأ الــشــرق لــهــم

آثــروا (فــيــزوفَ) واخــتــاروا المــقــامــا

تــلــك عــقــبــى كــل جــبــارٍ طــغــي

أو تــعــالــى أو عــن الــحــق تــعــامــى

لـو درت (رومـــــةُ) مـا قـد نـابـهـا

فـي (طـرابـلْـسَ) أَبَـــتْ إلا انـقـسـامـا

وأبـــــى كـــل اشـــتـــراكـــيٍّ بـهـا

أن يــرى الــتــاج عـلـى رأس أقـامـا

أعـــلـــنـــوا ضــم مـغـانـيـنـا إلــى

مـلـك (فـكـتـور) ولـم يـخـشـوا مـلامـا

أعـــلـــنـــوا الـــضـــم، ولـــمـــا يـفـتـحـوا

قـيـدَ أُظْـفُـورٍ وراءً أو أمـامـا

فـاعـجـبـوا مــن فـــاتـح ذي مِـــرَّةٍ

يـحـسـب الـنـزهـة فـي الـبـحـر صـدامـا

ويــــرى الـــفـــتـــح ادعــــــاءً بـــاطـــلا

وافـــتـــراءً واحـــتـــجـــاجًـــا واحـــتـكـامـا

أيـهـا الـحـائـر فـي الـبـحـر اقـتـرب

مـن حـمـى (الـبـسـفـور) إن كـنـت هـمـامـا

كـم سـمـعـنـا عـن لـسـان الـبـرق مـا

يـزعـج الـدنـيـا إذا الأسـطـول عـامـا

عـام شـهـريـن ولـم يـفـتـح سـوى

هـــوةٍ فـيـهـا الـمـلايـيـن تـرامـى

دفـــنـــوا تـــاريـــخـــهـــم فـــي قـــاعـــهـــا

ورمـــوا فـــي إثـــره الـمـجـد غـلامـا

فـاطـمـئـنـي أمـم الـشـرق ولا

تـقـنـطـي الـيـوم فـإن الـجـد قـامـا

إن فـــي أضـــلاعـــنـــا أفـــئـــدةً

تـعـشـق الـمـجـد، وتـأبـى أن تـضـامـا

****

منظومة تمثيلية[1]

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك، وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وقعت بين الإيطاليين والترك في سنة ١٩١٢م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلى)، طبيب، ورجل عربي

الجريح:

(ليلايَ) ما أنا حي
يُرجى ولا أنا مَيْتُ
لم أقضِ حقَّ بلادي
و (ها أنا) قد قَضَيْتُ
شفَيْتُ نفسي لواني
لما رُمِيتُ رَمَيْتُ
(بيروت) لو أن خصمًا
مشى إليَّ مشيت
أو داس أرضك باغٍ
لدستُهُ وبغيْتُ
أو حل فيك عدوٌ
مُنازِلٌ ما اتَّقَيْتُ

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٦٩ - ٧٥.

لكنْ رماك جبانٌ

لو بان لي لاشتفيت

(ليلايَ) لا تحسبيني

على الحياة بكيت

ولا تظني شَكَاتي

من مصرعي إن شكوت

ولا يُخِيفَنْكِ ذكرى

(بيروتُ) أني سلوت

(بيروت) مهد غرامي

فيها وفيك صبوت

جررتُ ذيل شبابي

لهوًا وفيها جريت

فيها عرفتُك طفلا

ومن هواك انتشيت

ومن عيون رباها

وعذب فيك ارتويت

فيها (لِلَيْلَى) كِنَاسٌ

ولي من العِزِّ بيت

فيها بنى لِيَ مجدًا

أوائلي وبنيت

(ليلى): سِراجُ حياتي

خبا فما فيه زيت

قد أطفأتْهُ كراتٌ

ما من لظاهُنَّ فَوْتُ

رمى بهن بغاةٌ

أصبْنَنِي فَتَوَيْتُ

ليلي:

لو تُفْتَدَى بحياتي

من الرَّدَى لفديتُ

ولو وقاك وفيٌّ

بمهجة لوقيت

إن عشتَ أو مِتُّ إني

كما نويتَ نويتُ

الجريح:

(ليلايَ) عِيشي وَقَرّي

إذا الحمام دعاني

(ليلايَ) ساعاتُ عمري

معدودة بالثواني

فكفكفي من دموع

تفري حشاشة فان

ومهِّدي ليَ قبرًا

على ذرا (لبنان)

ثم اكتبي فوق لوح

لكل قاص ودانِ:

هنا الذي مات غدرًا

هنا فتى الفتيان

رَمَتْهُ أيدي جناةٍ
من جيرة النيران
قرصان بحر تَوَلَّوا
من حومة الميدان
لم يخرجوا قيد شِبْرٍ
عن مسبح الحيتان
ولم يطيقوا ثباتًا
في أوجه الفرسان
فشمروا لانتقامٍ
من غافلٍ في أمان
وسوّدوا وجه (روما)
بالكيد للجيران
تبًّا لهم من بغاثٍ
فروا من العقبان
لو أنهم نازلونا
في الشام يوم طعان
رأوا طرابُلْسَ تبدو
لهم بكل مكان
يا ليتني لم أعاجل
بالموت قبل الآوان
حتى أرى الشرق يسمو
رغم اعتداء الزمان
ويستردُّ جلالا
له ورفعة شان

وليعلم الغربُ أنا
كأمة (اليابان)

لا ترتضي العيش يجري
في ذلة وهوان

أراهمُ أنزلونا
منازل الحيوان

وأخرجونا جميعًا
عن رتبة الإنسان

وسوف تقضي عليهم
طبائع العمران

فيصبح الشرق غربًا
ويستوي الخافقان

لاهُمَّ جدد قوانا
لخدمة الأوطان

فنحن في كل صقع
نشكو بكل لسان

يا قوم إنجيل (عيسى)
وأمة القرآن

لا تقتلوا الدهر حقدًا
فالملك للديان

ليلى:

إني أرى من بعيد
جماعةً مقبلينا

لعل فيهم نصيرًا
لعل فيهم معينا

العربي:

هــــون عــلــيــك، تمــاســك
إنـــي ســمــعــت أنــيــنـــا
أظـــن هـــذا جــريــحًـــا
يــشــكــو الأســـى أو طــعــيـنــا
بـــالـــلـــه ! مـــاذا دهـــاه
يـــا هـــذه خـــبـــريــنــا؟

ليلى:

لــقــد دَهَـــتْـــهُ المــنــايــا
مـــن غـــارة الخـــائـــنـــيــنــا
صُـــبُّـــوا عــلــيــنــا الــــرزايــــا
لــــم يــتــقـــوا الــلـــه فــيـنـــا
فـــخـــفـــفـــوا مـــن أذاه
إن كـــنـــتُـــمُ فـــاعـــلـــيـــنـــا

العربي:

لا تـــيـــأســـي، وتجـــلَّـــدْ
أراك شـــهـــمًـــا ركـــيـــنـــا
أبـــشـــر فـــإنـــك تـــاجٌ
واصـــبـــر مـــع الــصـــابـــريـــنـــا

الطبيب:

أواه! إنـــــي أراهُ
بـــالمـــوت أمـــســـى رهـــيـــنـــا

جراحُهُ بالغاتٌ
تُغْيِي الطبيب الفطينا
وعن قريب سيقضي
غضُّ الشباب حزينا

العربي:

أُفٍّ لقوم جياع
قد أزعجوا العالمينا
قِراهُمُ أين حلوا
ضرب يقد المتونا
عقوا المروءةَ، هدوا
مفاخرَ الأولينا
عاثوا فسادًا وفروا
يستعجلون السفينا
وألبسوا الغرب خزيًا
في قرنِهِ العشرينا
وألجموا كل داعٍ
وأحرجوا المصلحينا
فيا (أُرُبَّةُ)! مهلا
أين الذي تدّعينا؟
ماذا تريدين منا
والداء أمسى دفينا؟
أين الحضارة؟ إنا
بعيشنا قد رضينا

لم نؤذ في الدهر جارًا

ولم نخاتل خدينا

(مسرة) الشام! إنا

إخوانكم ما حيينا

ثقوا فإنا وثقنا

بكم وجئنا قطينا

إنا نرى فيك (عيسى)

يدعو إلى الخير فينا

قرّبتَ بين قلوب

قد أوشكت أن تبينا

فأنت فخر النصارى

وصاحب المسلمينا

الجريح:

رأيت يأسَ طبيبي

وهمسَهُ في فؤادي

لا تندبيني، فإني

أَقضى وتحيا بلادي

****

إلى معتمد بريطانيا في مصر[1]

أَيْ (مِـكْـمَـهُـونُ)[2]! قَـدِمْـتَ بالـ
ـقـصـد الحـمـيـد وبـالـرعـايـهْ
مـاذا حـمـلـتَ لـنـا عـن الـ
ـمـلـك الـكـبـيـر وعـن (غـرايـه)؟
أوضِـخ (لمـصـر) الـفـرق مـا
بـيـن الـسـيـادة والحـمـايـهْ
وأزِلْ شـكـوكًـا بـالـنـفـو
س تـعـلـقَـتْ مـنـذ الـبـدايـهْ
ودع الـوعـود؛ فـإنـهـا
فـيـمـا مـضـى كـانـت روايـه
أضـحـت ربـوع الـنـيـل سلـ
ـطـنـةً، وقـد كـانـت ولايـه
فـتـعـهـدوهـا بـالـصـلا
ح، وأحـسِـنـوا فـيـهـا الـوصـايـهْ
إنـا لـنـشـكـو واثـقـيـ
ـن بـعـدل مـن يُـشـكِـي الـشـكـايـه
نـرجـو حـيـاةً حـرة
مـضـمـونـة فـي ظـل رايـهْ

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٨٢ – ٨٣.

(٢) السير آرثر هنري مكمهون المعتمد البريطاني بمصر خلال الحرب العالمية الأولى.

ونـــــــروم تــعــلــيـمًـا يـكـو
ن لــه مـــن الــفــوضـــى وقــايــه
ونـــــــود ألا تــســمــعــوا
فــيــنــا الــســعــايــة والــوشــايــه
أنـــتـــم أطـــبـــاء الــشــعــو
ب وأنـــبـــل الأقـــــوام غــايــه
أنَّـــى حــلــلــتــم فـــي الــبــلا
د لـــكــم مـــن الإصـــــلاح آيــه
رســـخــت بــنــايــة مــجــدِكُــمْ
فـــوق الـــرويــــة والـــهـــدايـــه
وعـــدلـــتُــمُ فــمــلــكــتُــمُ الــدْ
دُنــيـــا، وفـــي الـــعـــدل الـكـفـايـه
إن تـــنـــصـــروا الــمــســتــضــعــفــيـ
ـــن فــنــحــن أضــعــفُــهُــمْ نــكــايــه
أو تـــعـــمـــلـــوا لـــصــلاحــنــا
فـــتـــداركـــوه إلـــى الـــنــهــايــه
إنـــــا بــلــغــنــا رشـــدَنـــا
والــرشــد تــســبــقُــهُ الــغــوايــه
لا تـــأخـــذونـــا بـــالــكــلا
م، فــلــيــس فـــي الــشــكــوى جــنــايــه
هـــذا (حــســـيـنٌ)[1] فـــوق عــر
ش (الــنــيــل) تـحـرسـه الـعـنـايـه
هـــو خــيــر مـــن يــبــنــي لــنــا
فـــدعـــوه يــنــهــض بــالــبــنــايــه

****

(١) إشارة إلى السلطان حسين كامل (١٨٥٣ - ١٩١٧م) ثامن حكام مصر من أسرة محمد علي تولى العرش بعد عزل ابن أخيه الخديو عباس حلمي ١٩١٤م واستمر حكمه حتى عام ١٩١٧م.

إلى غليوم الثاني امبراذور ألمانيا[1]

لــلـــه آثــــــار، هـــنـــاك كـــريمـــةٌ
خَــسَــدَتْ روائــــع حـسـنـهـا (بــرلـــينُ)
طــاحـــت بــهـــا تــلــك الـمــدافـــع تـــارةً
لـمـــا أمَـــــــرْتَ وتـــــارةً (زبـــلـــــينُ)[2]
مـــــاذا رأيــــت مـــن الـنـبـالـة والـعـلا
فـــي عـدمـهـــن وكـــلـــهـــنَّ عـــيـــونُ؟
لـــو أن فـــي (بـــرلـــين) عـــنـــدك مـثـلـهـا
لــعــرفــتَ كـيــف تُجِــلُّـــهـــا وتــصـــون؟
إن كـنـت أنـــت هـدمـت (رِمْـــس) فـإنـه
أودى بـمـــجـــدك ركــنـــهـــا الــمــوهـــون
لــم يُــغْـــنِ عـنـهـا مـعـبـدٌ خَـــرَّبْـــتَـــهُ
ظـــلـــمًـــا ولـــــو يمــســك عــنـــانــك ديـــن
لا تحـســـبن الــفـــخـــر مــــا أحــــرزتـــه
الـــفـــخـــر بـــالـــذكـــر الجــمـــيـــل رهـــين
هـل شـدت فــي (بـرلـين) غـيـر معسكر
قـــامـــت عــلــيــه مـــعـــاقـــل وحـــصـــون؟

---

(١) حافظ إبراهيم، ديوانه: ج٢ ص٨٣ – ٨٥.

(٢) زبلن: اسم لمجموعة من المناطيد العملاقة استخدمها الألمان في الحرب العالمية الأولى سفن هواء حربية، وهي منسوبة إلى مخترعها الألماني، الكونت فرديناند فون زبلن (١٨٣٨-١٩١٧م).

وجمعتَ شعبك كلَّه في قبضة

إن لم تكن لانت فسوف تلين

نَظَمَتْ تجارتُك المدائنَ والقرى

(فالنيل) ناءَ بها وناء (السين)

فبكل أرضٍ من رجالك عصبةٌ

وبكل بحر من لَدُنْكَ سفين

تسري ونسرك أين لُحْنَ يظلها

لا الليث يزعجها ولا التنين

فالأمر أمرك، والمهند مغمدٌ

والنهى نهيك، والسرى مأمون

قد كان في (برلين) شعبك وادعًا

يستعمر الأسواق وهي سكون

فُتِحَتْ له أبوابُها، فسبيلها

وقْفٌ عليه، ورزقه مضمون

فعلام أرهقْتَ الورى وأثرتها

شعواء فيها للهلاك فنون؟

تالله لو نُصِرَتْ جيوشك لانطوى

أجلُ السلام وأقفرَ المسكون

سبعون مليونًا إذا وَزَّعْتَها

بين الحواضر نالنا مليون

ويلٌ لمن يستعمرونَ بلادَهُ

القحط أيسر خَطْبِهِ والهون

أكــثــرت مــن ذكــر الإلــه تــورعًــا

وزعـــمـــتَ أنـــك مــرسَـــلٌ وأمـــين

عــجــبًــا! أتــذكــره وتمــلأ كــونــه

ويـــلًا لــيــنــعــم شــعــبُــك المــغــبــون؟

وكــذلــك الــقــصــابُ يــذكــر ربَّــهُ

والــنــصــل فــي عــنــق الــذبــيــحِ دفــينُ

****

أحمد شوقي[1]

على قبر نابليون[2]

قف على كنزٍ بباريسَ دفينْ
من فريدٍ في المعالي وثمين

وافتقد جوهرةً من شرف
صدف الدهر بِتِرْبَيْها ضنين

قد توارت في الثرى حتى إذا
قَدُمَ العهدُ توارت في السنين

غربت حتى إذا ما استيأسَتْ
دَنَستِ الدارُ ولكن لات حين

لم تُذِبْ نارُ الوغي ياقوتَها
وأذابتْهُ تباريح الحنين

---

(١) أحمد شوقي (١٢٨٥ - ١٣٥١هـ = ١٨٦٨ - ١٩٣٢م)، أمير الشعراء وأشهر أعلام الشعر العربي في العصر الحديث، سافر إلى غير واحد من البلدان الأوروبية، وطالت إقامته ببلدين منها أولهما - فرنسا التي ابتعثه إليها الخديوي محمد توفيق لدراسة القانون بمونبلييه وباريس (١٨٨٨ - ١٨٩٣م)، وقد أسهمت هذه الرحلة في تشكيل مرتكزات شوقي الفكرية والإبداعية إلى حد كبير، وثانيهما - إسبانيا حيث أقام بمدينة برشلونة (١٩١٥ - ١٩٢٠م) التي اتخذها منفًى اختياريًا له بعد أن أبعده الإنجليز عن مصر عقب خلع صديقه الخديو عباس حلمي الثاني، وإعلان الحماية على مصر في بداية الحرب العالمية الأولى. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦٩٨/٢.

(٢) أحمد شوقي، ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح د. أحمد الحوفي. ط نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٠م: ج٢ ص ٥٦٤ - ٥٧٠.

لا تلوموها؟ أليست حرةً
وهوى الأوطان للأحرار دين؟
غيبت باريس نُخْخرًا ومضى
تربها القيِّم بالحرز الحصين
نزل الأرض ولكن بعدما
نزل التاريخ قبر النابغين
أعظُمُ الليثِ تلقَّاها الثَّرى
ورفات النسر حازَتْه الوكون
وحوى الغمدُ بقايا صارم
لم تقلِّب مثلَه أيدي القيون
شيد الناس عليه وبنوا
حائطَ الشكِّ على أسِّ اليقين
لستَ تُحصي حوله ألويةً
أُسِرَتْ أمسِ وراياتٍ سُبِين
نام عنها وهي في سُدَّتِهِ
ديدبانٌ ساهرُ الجفن أمين
وكأيٍّ من عدو كاشح
لك بالأمس هو اليوم خدين
ووليٍّ كان يسقيك الهوى
عسلًا قد بات يسقيك الوزين
فإذا استكرمت وُدًّا فاتهم
جوهرُ الودِّ وإن صحَّ ظنين
مرمر أضجع في مسنونِهِ
حجرَ الأرضِ وضرغامَ العرين

جلَّلَتْهُ هيبةُ الثاوي به
روعة الحكمة في الشعر الرصين
هل درى المرمر ماذا تحتَهُ
من قوى نفسٍ ومن خلق متين؟
أيها الغالون في أجداثهم
ابحثوا في الأرض: هل عيسى دفين؟
يَمَّحِي الميْتُ ويبلى رمسُهُ
ويغول الربع ما غال القطين
حصنوا ما شئتُمُ موتاكُمُ
هل وراءَ الموت من حصنٍ حصين؟
ليس في قبر وإن نال السها
ما يزيد الميْتَ وزنًا وَيَزِين
فانزلِ التاريخ قبرًا أو فَنَمْ
في الثرى غفلًا كبعض الهامدين
واخدعِ الأحياء ما شئتَ فَلَنْ
تَجِدَ التاريخ في المُنْخَدِعِين
وعصاميًّا حوى المجد سوى
فضلةٍ قد قُسِّمَتْ في المُعْرِقِين
أمُّكَ النَّفسُ قديمًا أكرمت
وأَبُوكَ الفضلُ خير المنجبين
نسب البدر أو الشمس - إذا
جِيءَ بالآباء - مغمورٌ رَهِين
وأصول الخمر ما أذكى على
خُبثِ ما قد فعلت بالشاربين

لا يقولنّ امرؤٌ أصلي، فما
أصلُهُ مسكٌ وأصلُ الناس طين؟
قد تَتَوَّجْتَ فقالتْ أمَمٌ:
وَلَدُ الثورةِ عقٌّ الثائرين
وتزوجتَ فقالوا: ما له
ولحورٍ من بنات المُلْكِ عين؟
قسمًا لو قدروا ما احتشموا
لا يَعِفُّ الناس إلا عاجزين
أرأيت الخير وافى أمة
لم ينالوا حظهم في النابغين؟
يصلح الملك على طائفةٍ
هم جمال الأرض حينًا بعد حين
مَلأوا الدنيا، على قِلَّتِهِم
وقديمًا مُلِئَتْ بالمرسلين
يحسن الدهر بِهِمْ ما طلعوا
وبهم يزداد حسنًا آفلين
قد أقاموا قدوةً صالحةً
ومضوا أمثلة للمحتذين
إنما الأسوة - والدُّنيا أسًى -
سببُ العمرانِ نظم العالمين
يا صريعَ الموت نَدْمان البلى
كلُّ حيٍّ بالذي ذقتَ رهين
كدتَ من قتل المنايا خبرةً
تَعْلَمُ الآجال أيّان تحين

يا مبيد الأُسْدِ في آجامها

هل أبادت خيلُكَ الدودَ المَهين؟

يا عزيز السجن بالبابا إلى

كم تردى في الثرى ذل السجين؟[1]

رب يومٍ لك جَلَّى وانثنى

سائلَ الغُرَّةِ ممسوحُ الجبين

أحرز الغاية نصرًا غالبًا

لفرنسا وحوى الفتحَ الثمين

قيصرًا الأنسابِ فيه نَازِلًا

قَيْصَرَ النفسِ عِصَامَ المالكين

مجلسَ التاجِ على مفرقِهِ

بيديهِ لا بأيدي المُجلسين

حول أسترليز كان الملتقى

واصطدام النُّسر بالمُسْتَنْسِرِين[2]

وضع الشطرنج فاستقبلْتَهُ

ببنانٍ عابثٍ باللاعبين

فإذا المَلْكان هذا خاضعٌ

لك في الجمع وهذا مستكين

صِدْتَ شاهَ الروسِ والنِّمْسَا معًا

من رأي شاهين صيدًا في كمين؟[3]

يا مُلَقَّى النصر في أحلامه

أين من وادي الكرى سنت هِلِين[4]؟

---

(١) هو البابا بيوس السابع (١٧٤٢-١٨٢٣م)، انتخب بابا للكنيسة الرومانية الكاثوليكية عام ١٨٠٠م.

(٢) أوسترليتز مدينة تشيكية، وقعت فيها عام ١٨٠٥م أعظم انتصارات بونابرت على جيوش الروس والنمسا.

(٣) إشارة إلى الكسندر الأول (١٧٦٨-١٨٣٥م) قيصر روسيا، وفرانسو الثاني (١٧٧٧-١٨٢٥م) إمبراطور النمسا.

(٤) سانت هيلين: هي الجزيرة التي نفي إليها بونابرت للمرة الثانية عام ١٨١٥م وظل بها حتى وفاته سنة ١٩٢١م.

يا مُنِيلَ التاج في المَهْدِ ابنَهُ

ما الذي غَرَّكَ بالغيب الجنين؟

اتئد في أمة أرهقتها

إنها كالناس من ماء وطين

أتعب الريحَ مَدَى ما سَلَكَتْ

من سُهولٍ وأجازت من حُزون

من أديم يَهْزَأُ الدُّبُّ إلى

فَلَوَاتٍ تُنْضِجُ الضَّبُّ الكَنين

لك في كل مغارٍ غارةٌ

وعليها الدمعُ فيهِ والأنين

ومن المكر تَغَنِّيكَ بها

هل يُزَكِّي الذَّبحَ غيرُ الذابحين؟

سُخِّرَ النَّاس وإن لم يشعروا

لقويٍّ أو غنيٍّ أو مُبِين

والجماعات ثنايا المرتقِي

في المعاني وجسور العابرين

يا خطيب الدهر هل مال البِلى

بلسانٍ كان ميزان الشؤون؟

تَرجحُ السِّلمُ إذا حركتَهُ

كِفَّةً أو تُرَجِّحُ الحربُ الزَّبُون

خُطَبٌ لا صَوْتَ إلا دُونَها

في صداها الخيل تجري والسنين

من قصيرِ اللفظِ في مكر النُّهى

وطويلِ الرمحِ في كيد الوَتِين

غير وضّاعٍ ولا واشٍ ولا
مُنْكِرِ القولِ ولا لَغْوِ اليَمِين

سِرْنَ أمثالًا فلو لم يُخْبِهِ
سيفُهُ أَخْيَنَه في الغابرين

قم إلى الأهرام واخشع واطَّرِحْ
خِيلَةَ الصِّيدِ وَزَهْوَ الفاتحين

وتمَهل إنما تمشي إلى
حرم الدهر ومحراب القرون

هو كالصخرة عند القبط أو
كالحطيم الطُّهر عند المسلمين

وتسنَّمْ منبرًا من حجرٍ
لم يكن قبلك حظٌّ الخاطبين

وادع أجيالًا تولَّتْ يسمعوا
لك وابعث في الأوالي حاشرين

وأَعِدْهَا كلمات أربعًا
قد أحاطت بالقرون الأربعين

ألهبت خيلًا وحضّت فيلقًا
وأحالت عسلًا صاب المنون

قد عَرَضْتَ الدهر والجيش معًا
غايةٌ قَصَّرَ عنها الفاتحون

ما علمنا قائدًا في موطن
صَفَحَ الدهرَ وصفَّ الدارعين

فترى الأحياء في معتركٍ
وترى الموتى عليهم مُشْرفين

عِظَةٌ قومي بها أولى وإن

بَعُدَ العهد، فهل يعتبرون؟

يا كثير الصَّيْد لِلصَّيد العُلا

قم تأمل كيف صادتك المنون

قُمْ تَرَ الدنيا كما غادرتها

منزلَ الغدر وماءَ الخادعين

وتَرَ الحق عزيزًا في القنا

هيِّنًا في العُزَّلِ المُسْتَضْعَفين

وَتَرَ الأمر يدًا فوق يدٍ

وَتَرَ الناس ذئابًا وَضِئين

وَتَرَ العِزَّ لسيفٍ نَزِقٍ

في بناء الملك أو رأي رزين

سنن كانت، وَنَظْمٌ لم يزل

وفسادٌ فوق بَاعِ المُصْلحين

****

غاب بولونيا[1]

يـــا غـــاب بـــولـــونِ وَلِـــي
ذِمَمٌ عـــلـيـكَ ولـــي عـــهـــودْ
زمـــــنٌ تَـــقَـــضّـــى لـلـهـوى
ولـــنـــا بـــظـــلـــكَ، هـــل يـــعـــود؟
حـــلـــم أريـــــــد رجـــوعـــه
ورجـــــــوع أحـــــلامـــــي بـعـيـد
وَهَـــــــبِ الـــزمـــــان أعـــادهـــا
هـــل لـلـشـبـيـبـة مـــن يُـعـيـد؟
يـــا غـــاب بـــولـــونِ وبـــي
وَجْـــــــدٌ مـــع الـــذكـــرى يـزيـد
خـفـقـت لـــرؤيـــتـــك الـضـــ
ـــلـوع وزُلـــزل الـقـلـب الـعـمـيـد
وأراك أقـــســـى مـــا عَـــهِـــدْ
تُ فـــمـــا تـمـيـل ولا تَـمِـيـد
كـــم يـــا جـــمـــاد قـــســـاوةٌ
كـــم هـــكـــذا أبـــــدًا جـــحـــود؟

---

(١) أحمد شوقي، ديوان شوقي: ج١ص ٧٤ – ٧٥. وغاب بولونيا أحد أكبر متنزهات باريس وأشهرها

هـــلا ذكـــــرت زمـــــان كـنْـــ

ـــنَــا والـــزمـــان كـمـا نـريـد؟

نــطـوي إلــيـك دجـــى الـلـيـا

لــــي والــــدُّجــــى عــنــا يــــذود

فـــنــقـــول عـــنـــدك مـــا نـقـو

ل، ولـيـس غـيـرك مـن يـعـيـد

نـطـقــي هـــوى وصـبـابـــة

وحــديــثـهـــا وَتَـــــرٌ وعـــود

نــســـري ونـــســـرح فـــي فـضـا

ئـــك والــــريــــاح بـــه هـجــود

والـــطـــيـــر أقـــعـــدهـــا الــكــرى

والـــنـــاس نـــامـــت والـــوجـــود

فـــنـبـيـتُ فـــي الإيـــنـــاس يـغـ

ـبـطـنـا بــه الــنـجـم الـوحـيـد

فـــي كـــل ركـــــن وقـــفـــة

وبـــكـــل زاويـــــــــة قــعــود

نَـسْـقِـي وَنُـسْـقَـى والـهـوى

مـــا بـــين أعـــيـــنـــنـــا ولـــيـد

فـــمِـــنَ الـــقـــلـــوب تمـــائـــمٌ

ومـــن الجـــنـــوب لـــه مـهـود

والـــغـــصـــن يـسـجـد فـــي الـفـضـا

ء وحـــبـــذا مـــنـــه الــســجــود

والــنــجــم يــلــحــظــنــا بــعــيــ
ــنٍ مــا تــحــول ولا تــحــيــد
حــتــى إذا دعــت الــنــوى
فــتــبــدد الــشــمــل الــنــضــيــد
بــتــنــا ومــمــا بــيــنــنــا
بــحــر ودون الــبــحــر بــيــد
لــيــلــي بــمــصــر ولــيــلــهــا
بــالــغــرب وهــو بــهــا ســعــيــد

****

الطيارون الفرنسيون[1]

قم سليمانُ[2]، بساطُ الريح قاما

ملك القومُ من الجو الزِّماما

حين ضاق البر والبحر بهم

أسرجوا الريح وساموها اللِّجاما

صار ما كان لكم معجزةً

آيةً للعلم آتاها الأناما

قدرة كنتَ بها منفردًا

أصبحتْ حِصَّةَ من جَدَّ اعتزاما

عين شمسٍ قام فيها مارد

من عفاريتك يدعى (شاتهاما)[3]

يملأ الجو عزيفًا كلما

ضرب الريح بسوط والغماما

ملك الجو تليه عصبة

جَمَعَتْ شهمًا وندبًا وهُماما

استووا فوق مناطيدهم

ما يبالون حياة أم حِمَاما

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج١ ص٥١٦ – ٥٢٠.

(٢) سليمان بن داود عليهما السلام.

(٣) شاتهام احد الطيارين المشار إليهم.

وقبورًا في السموات العلا

نزلوا أم حفرات ورَغَاما

مطمئنين نفوسًا كلما

عبست كارثة زادوا ابتساما

صهوة العز اعتلوا تحسبُهُم

جمع أملاك على الخيل تسامى

رفعوا لَولبَها فاندفعَتْ

هل رأيت الطير قد زَفَّ وحاما؟

شال بالأذناب كلٍّ ورمى

بجناحيه كما رُغْتَ النعاما

ذهبت تسمو فكانت أعقبًا

فنسورًا فصقورًا فحماما

تنبري في زرق الأفق كما

سبح الحوت بِدَأْمَاءٍ وعاما

بعضها في طلب البعض كما

طارد النسر على الجو القطاما

ويراها عالم في زحلٍ

أرسلت من جانب الأرض سهاما

أو نجومًا ذات أذناب بدت

تنذر الناس نشورًا وقياما

أترى القوة في جُؤْجُئِهِ

وهو بالجؤجؤِ ماضٍ يترامى؟

أم تراها في الخوافي خفيت

أم مقر الحول في بعض القدامى؟

أم ذنـاباه إذا حَـرَّكَـهُ

يـزن الجسم هبوطًا وقيامـا؟

أم بعينيه إذا ماجالتا

تكشفان الجو غيثًا أم جَهاما

أم بأظفارٍ إذا شَبَّكَهَا

نفدت في الريح دفعًا واستلاما؟

أم أمَدَّتْهُ بروحٍ أُمُّهُ

يوم ألقته وما جاز الفطاما؟

فتلقاه أبٌ، كم من أبٍ

دونه في الناس بالوِلْد اهتماما

فلكيٌّ هو إلا أنه

لم ينل فهمًا ولم يعطَ الكلاما

طِلْبَةٌ قد رامها آباؤنا

وابتغاها من رأى الدهر غلاما

أسقطت إيكارَ في تجربة

وابن فرناس فما اسطاعا قياما[1]

في سبيل المجد أودى نفرٌ

شهداءُ العلم أعلاهم مقاما

خلفاء الرسلِ في الأرض هُمُ

يبعث الله بهم عامًا فعاما

قطرة من دمهم في ملكه

تملأ الملك جمالًا ونظاما

---

(١) إيكار شاب فرنسي حاول مع والده جيبيل الفرار من سجن أحد معسكرات بالي المحصنة وذلك بتثبيت اجنحة من الريش على ذراعيهما بواسطة الشمع والهرب تحليقًا في الجو وقد عدل الوالد عن الفكرة إما إيكار فقد كان مسكونًا بحلم الطيران فسقط في البحر واصبح اسطورة التحليق في الغرب.

وابن فرناس هو عباس بن فرناس القرطبي، عالم اندلسي عاش في القرن الثالث الهجري، وقيل إنه اول من ابتنى طائرة وطار بها غير انه لم يحسن الهبوط بها فسقط صريعًا.

رب إن كانت لخير جُعِلَت
فاجعل الخير بناديها لزاما
وإن اعتز بها الشر غدًا
فتعالت تمطر الموت الزؤاما
فاملأ الجو عليها رُجُمًا
رحمةً منك وعدلًا وانتقاما
يا فرنسا لا عدمنا مِنَنًا
لك عند العلم والفن جساما
لطف الله بباريس ولا
لقيت إلا نعيمًا وسلاما
رَوَّعَتْ قلبي خطوبٌ روِّعت
سامرَ الأحياءِ فيها والنياما
أنا لا أدعو على سين طغى
إن (للسين) وإن جار زماما
لست بالناسي عليه عيشة
كانتِ الشُّهْدَ وأحبابًا كراما
اجعلوها رُسْلَكُم أهل الهوى
تحمل الأشواق عنكم والغراما
واستعيروها جناحًا طالما
شغف الصب وشاق المستهاما
يحمل المضنى إلى أرض الهوى
يمنًا حلَّ هواه أم شآما
أركب الليث ولا أركبها
وأرى ليث الشرى أوفى ذماما

غـــدرت جـيـــرون[1] لــم تحـفـل بـه

وبمــــا حـــاول مـــن فـــوز ورامــــا

وقـــعـــت نـــاحـيـــة فـــاحـــتـــرَقَـــتْ

مثل قرص الشمس بالأفق اضطراما

راضـهـــا بـــالـيُـمـن مِـــن طـلـعـتِـهِ

خـيـر مـن حـج ومـن صـلـى وصـامـا

كـخـلـيـل الـلـــه فـــي حـضـرتـه

خـــرَّتِ الـنـار خـشـوعًـا واحـتـرامـا

مـا لــ«ـروجـي»[2] صـاعـدًا مـا ينتهي؟

أتـــراه آثـــر الجـــو فـــرامــــا؟

كـلـمـا دار بـــه دورتَـــــهُ قـــد نـالـه

مـا هـبطت الأرض أرضـاهـا مـقـامـا

هـــل تـــرى فـــي الأرض إلا حـسـدًا

وريـــــاء ونـــــزاعًـــــا وخـصـامـا؟

مُـــلْـــكُ هـــذا الجـــو فـــي مَـنْـعَـتِـهِ

طـالمـا لـلـنـجـم والـطـيـر استـقـامـا

حـسـد الإنـســـان سِـــرْبَـــيْـــهِ بمـا

أوتـيـا فـــي ذروة الـعـز اعـتـصـامـا

دخـــل الـــعـــش عـــلـــى أنـــســـره

أتـــرى يغـشـى مـن الـنـجـم الـسـنـامـا؟

أيـــهـــا الـــشـــرق انـتـبـه مـــن غـفـلـة

مـــات مـن فـــي طـرقـات الـسـيـل نـامـا

---

(١) جيرون: احد ضحايا الطيران.

(٢) روجي: اسم طيار.

لا تـقـولـنَّ عـظـامـيٌّ أنـا
في زمـان كـان لـلـنـاس عصاما

شـاقـت الـعـلـيـاء فـيـه خَـلَـفًـا
ليس يـألـوهـا طـلابًـا واغـتـنـامـا

كـل حـيـنٍ مـنـهـم نـابـغـةٌ
يَـفْـضُـلُ الـبـدر بـهـاءً وتمـامـا

خـالـقَ الـعـصـفـورِ حـيـرتَ بـه
أُمَمًـا بـادوا ومـا نـالـوا المـرامـا

افـنَـوُا الـنُّـقْـدَيـن فـي تـقـلـيـده
وهـو كـالـدرهـم ريـشًـا وعـظـامـا

****

ذكرى هيجو[1]

ما جل فيهم عيدك المأثورُ
إلا وأنت أجل يا فكتورُ

ذكروك بالمئة السنين وإنها
عمرٌ لمثلك في النجوم قصير

ستدوم ما دام البيان وما ارتقت
للعالين مدارِكٌ وشعور

ولئن حُجبت فأنت في نظر الورى
كالنجم لم يُر منه إلا النور

لولا التقى لفتحتُ قبرك للملا
وسألت أين السيد المقبور؟

ولقلت يا قوم انظروا إنجيلكم
هل فيه من قلم الفقيد سطور؟

مَنْ بعدَهُ ملكُ البيان فعندكم
تاج فقدتم ربَّهُ وسرير

مات القريض بموت هوجو وانقضى
ملك البيان فأنتمُ جمهور

---

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج٢ ص٤٦١ – ٤٦٢. وقد انشد القصيدة في ذكرى مرور مائة عام على ميلاد هوجو (١٨٠٢ – ١٨٨٥م).

مــــاذا يــزيــد الــعــيــد فــــي إجــلالــه
وجـــلالـــه بـــيـــراعـــه مـــســـطـــور؟

فَــقَــدَتْ وجــوهُ الــكــائــنــات مُــصَــوِّرًا
نـــزل الـــكـــلام عــلــيــه والــتــصــويــر

كــشــف الــغــطــاء لــه فــكــل عــبــارة
فـــي طــيــهــا لــلــقــارئــيــن ضــمــيــرُ

لــم يُــغْــيِــهِ لــفــظٌ ولا مــعــنًــى ولا
غـــرض ولا نـــظـــم ولا مـــنـــثـــور

مُــسْــلِــي الــحــزيــن يَــفُــكُّــه مــن حــزنــه
ويـــــــرده لـــلـــه وهـــــــو قـــريـــر

ثـــار المــلــوك وظــل عــنــد إبــائــه
يــرجــو ويــأمــل عــفــوه الــمَــثْــؤُور

وأعـــــار «واتـــرلـــو» جـــلال يـــراعـــه
فـــجـــلال ذاك الــســيــف عــنــه قــصــيــر[1]

يــا أيــهــا الــبــحــر الــذي غــمــر الــثــرى
ومـــن الـــثـــرى حــفــر لــه وقــبــور

أنــت الــحــقــيــقــة إن تَــحَــجَّــبَ شــخــصــهــا
فــلــهــا عــلــى مــر الــزمــان ظــهــور

ارفــــع حـــداد الــعــالمــين وعــد لــهــم
كــيــمــا يُــعَــيِّــدَ بــائــس وفــقــيــر

وانــظــر إلــى (الــبــؤســاء) نــظــرةَ راحــم
قــد كــان يــســعــد جــمــعــهــم ويــجــيــر

(١) واترلو: آخر معارك بونابرت بالقرب من بروكسل حيث هزم من الحلفاء عام ١٩١٥م وقبض عليه ونفي إلى سانت هيلينه.

الحـــال بـاقـيـة كـمـا صَــوَّرْتَـــهَـا

مــن عـهـد آدم مـــا بـهـا تـغـيـير

الــبــؤس والـنـعـمـى عـلـى حـالـيـهـما

والحـــظ يـــعـــدل تـــارةً ويـــجـــورُ

ومــن الـقـويِّ عـلى الـضـعيف مسيطرٌ

ومـــن الـغـنـي عـلـى الـفـقـيـر أمـيـر

والـنـفـس عـاكـفـة عـلـى شـهـواتـهـا

تـــأوي إلـــى أحـــقـــادهـــا وتـــثـــور

والـعـيـش آمــــال تجـد وتـنـقـضـي

والمــــوت أصـــدق والحـــيـــاة غُـــرور

****

الشاعر الموسيقي فردي[1]

فـتـى الـعـقـل والـنـغـمـة الـعـالـيـهْ

مـضـى ومـحـاسـنـه بـاقـيـهْ

فـلا سـوقـةٌ لـم تـكـن أنـسـه

ولا مـلـكٌ لـم تـزن نـادِيَـه

ولـم تـخـل مـن طـيـبـهـا بـلـدةٌ

ولـم تـخـل مـن ذكـرهـا نـاحـيـه

يـكـاد إذا هـو غـنـى الـورى

بـقـافـيـةٍ يُـنـطـق الـقـافـيـه

يـتـيـه عـلـى الـمـاس بـعـض الـنـحـاس

إذا ضـم ألـحـانـه الـغـالـيـه

وتـحـكـم فـي الـنـفـس أوتـاره

عـلـى الـعـود نـاطـقـة حـاكـيـه

وتـبـلـغ مـوضـعَ أوطـارهـا

وتـفـشـي سـريـرتـهـا الـخـافـيـه

وكـم أيـةٍ فـي الأغـانـي لـه

هـي الـشـمـس لـيـس لـهـا ثـانـيـه

---

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج٢ ص٥٩٢ - ٥٩٣. فيردي جوزبي (١٨١٣ - ١٩٠١م) موسيقار إيطاليا الاشهر في القرن التاسع عشر وضع اوبرا عايدة بامر الخديو إسماعيل أيام الاحتفال بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م؛ ومثلت لأول مرة في دار الأوبرا بالقاهرة عام ١٨٧١م.

إذا ما تنادي بها العارفون

قل البرق والرعد من غاديه

فإن همسوا بعد جهرٍ بها

فخفقُ الحُليِّ على الغانيه

لقد شاب فردى وجاز المشيب

وَعَيْدًا شبيبتها زاهيه

تُمَثِّلُ مصر لهذا الزمان

كما هي في الأعصر الخاليه

ونذكر تلك الليالي بها

وننشد تلك الرؤى الساريه

ونبكي على عزنا المنقضي

وتندب أيامنا الماضيه

فيا آل فردى نعزيكُمُ

ونبكي مع الأسرة الباكيه

فقدنا بمفقودكم شاعرًا

يقل الزمان له راويه

****

شكسبير[1]

أعلى الممالك ما كرسيُّهُ الماءُ
وما دعامته بالحق شمّاء

يا جيرة (المنش) حلاكم أبُوَّتُكم
ما لم يطوِّق به الأبناءَ آباءُ

ملك يطاول ملك الشمس، عزته
في الغرب باذخة في الشرق قعساء

تأوي الحقيقة منه والحقوق إلى
ركن بناه من الأخلاق بنَّاء

أعلاه بالنظر العالي ونطْقَهُ
بحائط الرأي أشياخ أجلاء

وحاطه بالقنا فتيانُ مملكةٍ
في السلم زهر ربًا في الروع أرزاء

يستصرخون ويُرجى فضلُ نجدتهم
كأنهم عرب في الدهر عرباء

ودولة لا يراها الظن من سعة
ولا وراء مداها فيه علياء

---

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج٢ ص٣٥٠ - ٣٥٣.

عصماء لا سَبَبُ الرَّحْمَنِ مُطَّرِحٌ

فيها ولا رَحِمُ الإنسان قطعاء

تلك الجزائر كانت تحتهم رُكُنًا

وراهن لباغي الصيد عنقاء

وكان ودهم الصافي ونصرتهم

للمسلمين وراعيهم كما شاءوا

دستورهم عجب الدنيا وشاعرهم

يد على خلقه لله بيضاء

ما أنجبت مثل (شيكِسْبِيرَ) حاضرةٌ

ولا نمت من كريم الطير غناء

نالت به وحده إنكلترا شرفًا

مالم تنل بالنجوم الكثر جوزاء

لم تُكْشَفِ النفس لولاه ولا بُلِيَتْ

لها سرائر لا تحصى وأهواء

شعر من النسق الأعلى يؤيده

من جانب الله إلهام وإيحاء

من كل بيت كآي الله تسكنه

حقيقة من خيال الشعر غراء

وكل معنى كعيسى في محاسنه

جاءت به من بنات الشعر عذراء

أو قصة ككتاب الدهر جامعةٍ

كلاهما فيه إضحاك وإبكاء

مهما تُمَثَّلْ تَرَ الدنيا ممثلةً
أو تَتْلُ فهي من الإنجيل أجزاء

يا صاحب العُصُر الخالي ألا خبرٌ
عن عالم الموت يرويه الألبَّاء

أما الحياة فأمر قد وصفتَ لنا
فهل لما بعدُ تمثيلٌ وإدناء؟

بمن أماتك قل لي: كيف جمجمةٌ
غبراء في ظلمات الأرض جوفاء؟

كانت سماء بيانٍ غير مقلعة
شؤبوبها عسلٌ صافٍ وصهباء

فأصبحت كأصيصٍ غير مفتقَدٍ
جَفَّتْهُ ريحانة للشعر فيحاء

وكيف بات لسان لم يدع غرضًا
ولم تفُتْهُ من الباغين عوراء؟

عفا فأمسي ذُنَابَيْ عقربٍ بليت
وسُمُّها في عروق الظلم مشَّاءُ

وما الذي صنعت أيدي البلى بيدٍ
لها إلى الغيب بالأقلام إيماء؟

في كل أنملة منها إذا انبجست
برقٌ ورعدٌ وأرواحٌ وأنواء

أمست من الدود مثل الدود في جدث
قُفَّازُها فيه حصباء وبَوْغاء

وأيـــن تحـت الــثـرى قــلـبٌ جـوانـبـه

كــأنــهــن لـــــوادي الحـــق أرجـــاء

تـصـغـى إلـــى دقـــه أذن الـبـيـان كما

إلـى الـنـواقـيـس - لـلـرهـبـان إصـغـاء

لـئـن تَمَـشَّـى الـبـلـى تحـت الـتـراب به

لا يـؤكـل الـلـيـث إلا وهـــو أشـــلاء

والـنــاس صـنـفـان مـوتـى فـي حياتـهـم

وآخـــــرون بـبـطـن الأرض أحـيــاء

تـــأبـى المـــواهـــب فـــالأحـيـــاء بينـهـم

لا يـســتــوون ولا الأمـــــوات أكـفــاء

يــا واصــف الــدم يـجـري هـاهـنـا وهـنـا

قــم انـظـر الـــدم فـهـو الـيـوم دَأْمـــاءُ

لامــوك فــي جـعـلِـكَ الإنـسـان ذئـبَ دمٍ

والـيــوم تــبـدو لـهـم مــن ذاك أشـيـاء

وقــيــل أكــثـر ذكـــر الـقـتـل ثـم أتـــوا

مـــا لـــم تـسـعـه خـــيـــالات وأنـــبـــاء

كـانـوا الـذئـابَ وكـان الجـهـل داءَهُـــمُ

والـيـوم عـلـمُـهُـمُ الـراقــي هــو الــداء

لـؤم الحـيـاة مـشـى فـي الـنـاس قـاطـبـةً

كــمـــا مـــشـــى آدم فـــيـــه وحــــواء

قــم أيِّـــدِ الحــق فـي الـدنـيـا ألـيـس لـه

كـتـيـبـة مـنـك تحـت الأرض خـرسـاء؟

وأيـــن صـــوتٌ تَمِـيـدُ الـراسـيـاتُ لـه

كـمـا تمـايـد يـوم الـنـار سـيـنـاء؟

وأيـــن مـاضـيـة فـي الـظـلـم قـاضـيـة

وأيـــن نـافـذة فـي الـبـغـي نجـلاء؟

أيـتـرك الأرض جـانـوهـا ولـيـس بـهـا

صـحـيـفـة مـنـك فـي الجـانـين سـوداء؟

تـــأوي إلـيـهـا الأيـامـى فـهـي تـعـزيـة

ويـسـتـريـح الـيـتـامـى فـهـي تـأسـاء

****

ذكرى كارنا فون[1]

في الموت ما أعيا وفي أسبابه

كل امرئ رهن بِطَيِّ كتابِهِ

أَسَدٌ لعمرك، من يموت بظفره

عند اللقاء كمن يموت بنابه

إن نام عنك فكل طبٍّ نافعٌ

أو لم ينم، فالطب من أذنابه

داء النفوسَ وكلُّ داء قبله

همٌّ نسينَ مجيأه بذهابه

النفس حرب الموت إلا أنها

أتت الحياة وشغلها من بابه

تسع الحياة على طويل بلائها

وتضيق عنه على قصير عذابه

هو منزل الساري وراحة رائح

كثر النهار عليه في إتعابه

وشفاء هذي الروح من آلامها

ودواء هذا الجسم من أوصابه

من سرَّهُ ألا يموت فبالعلا

خلدُ الرجال وبالفعال النابه

---

(١) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج٢ ص٣٧٧ – ٣٨٢. وكارنافون هو صاحب البعثة الأثرية التي كشف رئيسها هوارد كارتر عن مقبرة الملك توت عنخ آمون سنة ١٩٢٢م.

ما مات من حاز الثرى آثاره
واستولت الدنيا على آدابه

قل للمدل بماله وبجاهه
وبما يُجل الناس من أنسابه

هذا الأديم يصد عن حُضَّارِهِ
وينام ملء الجفن عن غُيَّابه

إلا فتًى يمشي عليه مجددًا
ديباجتيه معمرًا لخرابه

صادت بقارعة الصعيد بعوضةٌ
في الجو صائدَ بازِهِ وعُقابه

وأصاب خرطوم الذبابة صفحةً
خلقت لسيف الهند أو لذبابه

طارت بخافية القضاء ورأرأت
بكريمتيه ولامست بلعابه

لا تسمعن لعصبة الأرواح ما
قالوا بباطل علمهم وكذابه

الروح للرحمن جل جلاله
هي من ضنائن علمه وغيابه

غلبوا على أعصابهم فتوهموا
أوهام مغلوبٍ على أعصابه

ما آب جبار القرون وإنما
يوم الحساب يكون يوم إيابه

فذروه في بلد العجائب مغمدًا
لا تشهروه كأمس فوق رقابه

المستبد يطاق في ناووسه
لا تحت تاجيه وفوق وثابه
والفرد يؤمَنُ شره في قبره
كالسيف نام الشر خلف قرابه
هل كان (توتَنْخُ) تقمُّصُ روحَهُ
قمص البعوض ومستخَسُّ إهابه؟
أو كان يجزيك الردى عن صحبة
وهو القديم وفاؤه لصحابه؟
تالله لو أهدى لك الهرمين من
ذهب، لكان أقل ما تجزى به
أنت البشير به، وقَيِّمُ قصره
ومقدم النبلاء من حجابه
أعلمْتَ أقوام الزمان مكانَهُ
وحشدتَهُمْ في ساحه ورحابه
لولا بنانك في طلاسم تربه
ما زاد في شرف على أترابه
أخنى الحمام على ابن همةِ نفسِهِ
في المجد، والباني على أحسابه
الجائب الصخر العتيد بحاجر
دبَّ الزمان وشب في أسرابه
لو زايل الموتى محاجرهم به
وتلفتوا لتحيروا كضبابه
لم يألُهُ صبرًا ولم يَنِ همة
حتى انثنى بكنوزه ورغابه

أفضى إلى خَتْم الزمان ففضه

وحبا إلى التاريخ في محرابه

وطوى القرون القهقرَى حتى أتى

فرعون بين طعامه وشرابه

المَنْدَلُ الفَيَّاح عُودُ سريره

واللؤلؤ اللماح وَشْيُ ثيابه

وكأن راحُ القاطفين فرغن من

أثماره صبحًا ومن أرطابه

جدث حوى ما ضاق غُمدانٌ به

من هالةِ الملك الجسيم وغابه

بنيان عمرانٍ، وصرح حضارة

في القبر يلتقيان في أطنابه

فترى الزمان هناك قبل مشيبه

مثل الزمان اليوم بعد شبابه

وتحس ثَمَّ العلم عند عبابه

تحت الثرى والفن عند عجابه

يا صاحب الأخرى بلغت محلةً

هي من أخي الدنيا مناخ ركابه

نُزُلٌ أفاق بجانبيه من الهوى

من لا يفيق وَجَدٌّ مِن تلعابه

نام العدو لديه عن أحقاده

وسلا الصديق به هوى أحبابه

الراحة الكبرى ملاكُ أديمه

والسلوة الطولى قوام ترابه

وادي الملوك بكت عليك عيونه
بمرقرق كالمزن في تسكابه
ألقى بياض الغيم عن أعطافه
حزنًا وأقبل في سواد سحابه
يأسى على حرباءِ شمسِ نهاره
ونزيلِ قيعتِهِ وجارِ سرابه
ويود لو أُلبِسْتَ من برديِّهِ
بُردين ثم دُفنت بين شعابه
نوَّهْتَ في الدنيا به ورفعته
فوق الأديم بطاحه وهضابه
أخرجت من قبرٍ كتاب حضارةٍ
الفنُّ والإعجاز من أبوابه
فَصَّلْتَهُ فالبرق في إيجازه
يبني البريد عليه في إطنابه
طلعا على لوزان والدنيا بها
وعلى المحيط وما وراء عبابه
جئت الشعوب المحسنين بشافع
من مثل متقن فنِّهِمْ ولبابه
فرفعت ركنا للقضية لم يكن
سحبان يرفعه بسحر خطابه[١]

****

(١) إشارة إلى سحبان وائل الخطيب العربي المشهور.

قسم الأزهار بباريس[١]

رزق الله أهل باريس خيرًا
وأرى العقل خير ما رزقوه

عندهم للثمار والزهر مما
تنجب الأرض معرض نسقوه

جنة تخلب العقول وروض
تجمع العين منه ما فرقوه

من يراه يقول قد حرموا الفر
دوس لكن بسحرهم سرقوه

ما ترى الكرْمَ قد تشاكل حتى
لو رآه السقاة ما حققوه

يسكر الناظرين كرْمًا ولما
تعتصره يد ولا عتقوه

صوروه كما يشاءون حتى
عجب الناس كيف لم يُنْطقوه

يجد المتَّقِي يد الله فيه
ويقول الجحود قد خلقوه

****

(١) أحمد شوقي، ديوان شوقي: ج١ ص١١٩.

باريس[1]

جهدُ الصبابة ما أكابد فيكِ
لو كان ما قد ذقتُهُ يكفيكِ
حتام هجراني وفيم تجنُّبي
وإلام بي ذل الهوى يغريك؟
قد مِتُّ من ظمأ فلو سامحتِني
أن أشتهي ماء الحياة بفيك
أجد المنايا في رضاك هي المنى
ماذا وراء الموت؟ ما يرضيك؟
يا بنت مخضوب الصوارم والقنا
برئت بنانُك من سلاح أبيك
فخضاب تلك من العيون وقاية
وخضاب ذاك من الدم المسفوك
جفناك أيهما الجريء على دمي
بأبي هما من قاتل وشريك
بالسيف والسحر المبين وبالطلى
حَمَلا عليَّ وبالقنا المشبوك
بهما وبي سقم ومن عجب الهوى
عدوان منكسرٍ على منهوك

(1) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج١ ص١٢٦ - ١٢٨.

رفقا بمسبلة الشؤون قريحةٍ

تسلو عن الدنيا ولا تسلوك

أبكيتِها وقعدتِ عن إنسانها

يا للرجال لمُغْرَقٍ متروك

ضلت كَراها في غياهب حالكٍ

ضل الصباح عليه صوت الديك

رق النسيم على دجاه لِأَنَّتي

ورثى لحالي في السماء أخوك

قاسيته حتى انجلى بالصبح عن

سرِّي المصون ومدمعي المهتوك

سُلَّتْ سيوف الحي إلا واحدًا

إفرندُهُ في جفنه يحميك

جردتِهِ في غير حق كالألى

سلُّوا سيوفَهُمُ على أهليك

طلعتْ على حرم الممالك خيلهم

نارًا سنابكها على (البلجيك)

البأس والجبروت في أعرافها

والموت حول شكيمها المعلوك

عَرَّتْ (لياجَ) عن الحصون وجَرَّدَتْ

(نامورَ) عن فولاذها المشكوك[1]

تمشي على خط الملوك وخَتْمِهِمْ

وعلى مصون مواثق وصكوك

والحرب لا عقل لها فتسومها

ما ينبغي من خطةٍ وسلوك

---

(١) لياج ونامور: مدينتان بلجيكيتان، ولياج هي المعركة الافتتاحية في الحرب العالمية الأولي، وكانت بداية الغزو الألماني لبلجيكا عام ١٩١٤م.

دكّت حصونَ القوم إلا معقلا

من نخوة وحمية وفتوك

وإذا احتمى الأقوام باستقلالهم

لاذوا بركن ليس بالمدكوك

ولقد أقول وأدمعي مُنْهَلَّةٌ

باريز لم يعرفْكِ من يغزوك

ما خِلْتُ جنات النعيم ولا الدمى

تُرمى بمشهود النهار سَفُوك

زعموك دار خلاعة ومجانة

ودعارة يا إفك ما زعموك!

إن كنت للشهوات ريًّا فالعلا

شهواتهن مروَّيات فيك

تلدين أعلام البيان كأنهم

أصحابُ تيجانٍ ملوكُ أريكِ

فاضت على الأجيال حكمة شعرهم

وتفجرت كالكوثر المعروك

والعلم في شرق البلاد وغربها

ما حج طالبه سوى ناديك

العصر أنت جماله وجلاله

والركن من بنيانه المسموك

أخذت لواء الحق عنك شعوبه

ومشت حضارته بنور بنيك

وخزانة التاريخ ساعة عرضها

للفخر خير كنوزها ماضيك

ومـن الـعـجـائـب أن واديــك الـشَّـرَى

ومـــراتـــع الـــغـــزلان فـــي واديـــك

يـا مـكـتـبـي قـبـل الـشـبـاب ومـلـعـبـي

ومـقـيـل أيـــام الـــشـبـــاب الـنـوك

وَمَـــــراح لــذاتـــي ومـــغـداهـــا عـلـى

أفـــق كـجـنـات الـنـعـيـم ضـحـوك

وسـمـاء وحـي الـشـعـر مـن مـتـدفِّـقٍ

سـلـسٍ عـلـى نـــول الـسـمـاء مـحـوك

لـمـا احـتـمـلـت لـك الـصـنـيـعـة لـم أجـد

غـيـر الــقــوافـي مـــا بـــه أجـزيـك

إنْ لَـــمْ يَـــقُــوكِ بـكـل نـفـسٍ حـرة

فـــالـــلـــه جـــل جـــلالـــه واقـــيـــك

****

الغواصة[1]

رأيــت عـلـى لـــوح الخـيــال يـتـيـمـةً
قـضـى يـوم (لَـوسِـيَـتـانـيـا) أبـواهـا
فـيـا لـــكَ مـن حـــاكٍ أمـــينٍ مـصـدقٍ
وإن هـــاج لـلـنـفـس الـبـكـا وشـجـاهـا
فـواهـا عـلـيـهـا ذاقـــت الـيـتـم طـفـلـة
وقـــوض ركـنـاهـا وذل صـبـاهـا
ولـيـت الـذي قـاسـت مـن المـوت سـاعـة
كـمـا راح يـطـوي الـوالـديـن طـواهـا
كـفـرخ رمـى الـرامـي أبـاه فـغـالـه
فـقـامـت إلـيـه أمـه فـرمـاهـا
فـلا أبٌ يـسـتـذري بـظـل جـنـاحـه
ولا أمٌّ يـبـغـي ظـلـهـا وذراهـا
ودبـابـةٍ تـحـت الـعُـبـاب بـمـكـمـنٍ
أمـين تـرى الـسـاري ولـيـس يـراهـا
هـي الـحـوت أو فـي الـحـوت مـنـهـا مـشـابـه
فـلـو كـان فـولاذًا لـكـان أخـاهـا
أبَـــتْ لأصـحـاب الـسـفـين غـوائـلا
والأمُ نـابًـا حـين تـفـغـر فـاهـا

(1) احمد شوقي، ديوان شوقي: ج1 ص163 – 164. قالها شوقي بمناسبة نسف غواصة المانية للباخرة لوسيتانيا عام 1915م.

خـؤونٌ إذا غـاصـت، غـدور إذا طفت

مُـلَـعَّـنَـةٌ فـي سـبـحـهـا وسـراهـا

تُـبَـيِّـتُ سـفْـن الأبـريـاء مـن الـوغـى

وتجـنـي عـلـى مـن لا يـخـوض رحـاهـا

فـلـو أدركـت تـابـوت مـوسـى لسلطت

عـلـيـه زُبـانـاهـا وحـرُّ حُـمـاهـا

ولـو لـم تـغـيُّـب فـلـكُ نـوح وتحـتجـب

لـمـا أمـنـت مـقـذوفـهـا ولـظـاهـا

فـلا كـان بـانـيـهـا ولا كـان ركـبـهـا

ولا كـان بـحـر ضـمَّـهـا وحـواهـا

وأف عـلـى الـعـلـم الـذي تـدَّعـونـه

إذا كـان فـي عـلـم الـنـفـوس رداهـا

****

أسعد داغر[1]

وصف الحرب[2]

سمعت مقال نفسي فاعتراني
ذهول حرت فيه وضقت صدرا

وبعد تأمُّلي في ما ارتأتْهُ
شهدتُ لها بصحته مُقِرّا

وأيقظتُ القريحة من كراها
فلبتْني ولي لم تعص أمرا

وسالت واليراع يمد منها
ويرقم وحيها سطرًا فسطرا

عن الحرب التي دارت رحاها
فصار لها سواد الناس بُرّا

تدفق سيلها فطما عليهم
وأصبح غامرًا للأرض غمرا

(١) أسعد داغر (١٢٧٧ - ١٣٥٤هـ = ١٨٦٠ - ١٩٣٥م)، شاعر لبناني اقام بمصر فترات طويلة اشتغل بالتعليم، واشتهر بالترجمة وكتابة المقالات العلمية والاجتماعية. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٣/٤٧١.

(٢) أسعد داغر، تاريخ الحرب الكبرى شعرًا، ط مطبعة الهلال، القاهرة ١٩١٩م: ق٣ ص: ١٣-١٤.

وشب ضرامها فشوى البرايا

كما تشوي الأتاتين الأجرّا

ألمت بالوليد فشاب هولا

ولامست الحديد فذاب صهرا

ولست أرى لها وصفًا سوى ما

زهيرٌ قاله وكفاه فخرا

كأن الغيب صورها لديه

فأحكم وصفها فرواه شعرا

ولو كبرى حروب الأرض عدت

لما حسبت لديها غير صغرى

****

بداءة شبوبها[1]

أثار غبارها غليوم عمدًا
وأسعر نارها ختلًا وغدرا
تأهب في الخفاء فكان يرخي
على استعداده للحرب سترا
ويبدي حبه للسلم جهرًا
ويحضأ مارج الهيجاء سرا
وزين خوضها لمحالفيه
وأغراهم بها خبثًا ومكرا
وأغواهم كما إبليس قدمًا
بصورة حيةٍ حواء غرًّا
وصير مقتل ابن حليفهِ في
سراجيفو لها سببًا وعذرا

(١) اسعد داغر، تاريخ الحرب الكبرى شعرًا: ق٤. ص: ١٤. (في ٢٣ يوليو ١٩١٤م ارسلت حكومة النمسا بلاغًا إلى الحكومة الصربية تطلب فيه أن تترضاها عن مقتل ولي عهدها وتشترط لذلك عشرة شروط بسطتها في البلاغ وأمهلتها ٤٨ ساعة. وعلى رغم توسط روسيا وبريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا وسعيهن في حمل النمسا على حذف الشرط المتعلق بتعرضها لشؤون الصرب الداخلية ظلت بإيعاز ألمانيا مصرة على كل ما طلبته. وإذ لم تجبها الصرب إليه شهرت عليها الحرب في ٢٨ يوليو وأخذت تطلق مدافعها على بلغراد من عبر الدانوب).

وقـــال لـــدولـــة الـنـمـســا أغـيـري

علـى الـسـرب الـتـي وتـرتـك وتـرا

فـلـبـتـه وهـــبـــت مـــن قـيـنًّـا

تـذيـق بـنـي بِـلـِغْـرادَ الأمَـــرًّا

وهـــذا كـــان مـبـتـدأ الـــرزايـــا

ومـنـه شـرهـا اسـتـشـرى وأكـــرى

****

فخري أبوالسعود[1]

ملوك الغرب[2]

لمناسبة احتفال الإنجليز بعيد ملكهم

تيهوا بعيدِ المليك المفرد العلمِ
وفاخروا بعلاه سائر الأممِ

ومجِّدوا فيه عنوانًا لمجدِكُمُ
ورمز ملك وطيدٍ ثابت الدعم

ملك حوى مشرق الدنيا ومغربها
لم يَروِ عن مثله التاريخ من قدم

تيهوا بني الغرب بين العالمين بما
بلغتم اليوم من مجد ومن عظم

ولتزدهوا بملوك في عروشكم
هم زينة الملك والأحكام والنظم

تأوى الشرائع منهم والحقوق إلى
حصن حصين وركن غير منهدم

---

(١) فخري أبوالسعود (١٣٢٨ - ١٣٥٩ هـ = ١٩١٠ - ١٩٤٠ م)، شاعر مصري تخرج في مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٣٠م، وأوفد في بعثة دراسية لإنجلترا (١٩٣٢ - ١٩٣٤م)؛ عمل بالصحافة والترجمة كما عمل بالتدريس. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٤/ ٤٩١.

(٢) فخري أبوالسعود، مجلة الرسالة، عدد ٩٧، تاريخ ١٣/٥/١٩٣٥م: ص ١٣٩ - ١٤٠.

هم أول الحارسي الدستور من عبثٍ
والحافظين لما أولوه من ذمم
وهم مناط أمانيِّ البلاد وهم
أبوَّةُ الشعب في الأحداث والغمم
في كل يوم لهم في الشعب مأثرة
تغيث منه مكان الداء والألم
ملائك النور في سلم وفي دعة
وهم حماة الحمى في يوم ملتحم
وسادة الناس في علم وفي أدب
هُمُ وأوج كمال الخلق والشيم
نالوا من العز شأوًا لم يُنَلْ ولهم
محبةٌ في قلوب الشعب لم تُرَمِ
محبة الشعب ترعاهم وتحرسهم
لا الشاهقات من الأسوار والأُطم
محبة هي أغلى للمُدِلِّ بها
من منظرٍ فارهٍ أو مظهر سنم
توارثوا صولجان الملك في أمم
لا تبتغي بدلاً - لو خُيِّرَتْ - بهم
لا كالملوك الألى - بالأمس - إذ حكموا
ساقوا الرعية سوق الشاء والنعم
ولم يخالوا شعوبًا تحت رايتهم
سوى عبيد لرب التاج أو حشم
ولم يروا لَهُمُ جاهًا ولا حسبًا
في الناس حتى يُذلوا كل ذي شمم

يُقصى الأبيُّ ويشقى الحر عندهم
ويمرح المالق الأفاك في النعم
باسم المكارم أَغلَلوا ملكهم وهُمُ
حربٌ على كرم الأخلاق والهمم
عن حاجة الشعب باللذات في شُغُلٍ
كانوا وعن دعوة المهضوم في صمم
سيان إن سعدت في ظل دولتهم
رعية أو هوت في البؤس والوصم
لا يرقب الناس منهم فضل مكرمة
لكن يخافون منهم بطش محتكم
ذياك عهد تولّى غير مرتجعٍ
هيهات يبعثه باغ من العدم
وعاصرتنا ملوك في ممالكهم
هُمُ لمن حكموهُمْ أول الخدم
يشاطرون صروف الدهر قومهم
ويعطفون عليهم عطف ذي رحم
وهم على شعبهم في كل ما صنعوا
فيض من البر لا صوب من النقم
تسنموا الذروة العليا، وباسمِهِمُ
تزجى الجحافل في الوديان والأكم
وينزلون - إذا ما الجد جد - على
ما قاله قائلو السادات والعمم
ولا يرون لهم من دون أمتهم
مجدًا ولا دون حب الشعب من عصم

****

أعداء لا أضياف[1]

أمانا نُقرئ القوم السلاما
ويبغون العداوة والخصاما
ونكرمهمْ مجاملة وودًّا
ولم نر فيهِمُ الشيم الكراما
ونرعاهم بموطننا حلولا
ولم يرعوا لموطننا ذماما
ونمنحهم قِرَى العربيِّ جودًا
قعودًا بين أظهرنا قياما
وقد أمست عروبتنا لديهم
ونسبتنا إلى الأجواد ذاما
وندعوهم ضيوفًا في ذرانا
لهم حق النزيل إذا أقاما
وما للضيف حق من مضيفٍ
إذا نبذ الحياء والاحتشاما
ونزعمنا مضيفيهم وهذي
خديعة من تخادعَ أو تعامى
أمهما تُلقِ أوربا برذلٍ
إلى مصرٍ تطاول أو تسامى؟

(١) فخري ابوالسعود، مجلة الرسالة، عدد ٢٦/١٢/١٩٣٤م: ص ٩٩ - ١٠١.

وندعوهم أخوَّتنا ونبغي
لود الشرق والغرب الْتئاما
وهم يترفعون علاً ونبلا
وقد شطروا الورى آرًا وساما
فمهلاً معشر الدخلاء مهلا
إلامَ نسيغ كيدكُمُ إلاما
إلامَ نرى الدخيل لمصر حربًا
وما تُمسَى له إلا سلاما؟
لكم منا غدٌ صعب عصيب
وإن نلتم بيومكم المراما
فضولبون أنتم لا ضيوف
ثقلتم في منازلنا مقاما
مَنَنْتُمْ أن مَنحتم شعب مصرٍ
كساء أو شرابًا أو طعاما
وما رمتم بذلك غير مال
حلالاً نلتموه أو حراما
به أعليتُمُ في مصر دُورًا
وأحرزتم بها الضِّيَعَ الجساما
ولم تسعوا لها إلا ابتدارًا
إلى الفرص السوانح واغتناما
زعمتم ما لكم دم مصر يحيا
به أبناؤها عامًا فعاما
وما أموالكم إلا بلاء
تسرَّب في دم الوادي سماما

وداء في مفاصِلِهِ عياءٌ
مشى يبري المفاصل والعظاما
مصاب النيل أنتم لو علمتم
وأول راشق فيه السهاما
ولولاكم لما أمسى أسيرًا
مهيضًا في الحوادث مستضاما
بني مصرٍ بغى اللؤماء بغيًا
علامَ نطيق بغيهمُ علاما
هم الأعداء لا الأضياف فينا
فلا نُخدع بمكذوب الأسامي
لئن لم نُسقهم مما سقونا
لنحن أحقُّ منهم أن نلاما
أخو الأفرنج إن تكرمه يشمخ
عليك وإن تُقَوِّمْهُ استقاما
يخال الجودَ في الأجواد ضعفًا
وأنى شام بارقةً ترامى
فلا تنسوا مقالًا من حكيم
وقِدمًا أحكم العرب الكلاما
يحذر من أراد ندًى وبرًّا
عواقب برِّه القوم اللئاما
تجافَوْا من تجافى عن هوانا
ولا ترعوا لمصغرنا مقاما
اشِلُّوا عن تجارتنا يديهم
فقد ملكوا بها منا الزماما

وقدوا عن معاصمنا امتيازًا
يكبلنا به القوم اهتضاما

حبوناهم به أمس اختيارًا
فغلونا به اليوم التزاما

ولم أر مثله ذلًّا وعارًا
وغبنا للعدالة واحتراما

كأنا ما تَشَرَّغْنَا وعنا
هُمُ قبسوا القضاء والاحتكاما

جزونا عن قديم الفضل شرًّا
وجازونا عن الود انتقاما

****

وستمنستر أبي[1]

وستمنستر أبي من أفخم الكنائس بإنجلترا.. وهي كالبانتيون بفرنسا، يدفن فيها كبار الرجال في تلك البلاد.. وقد زارها الشاعر فأوحت إليه بهذه القصيدة.

هنا منسكٌ للطائفين ومعبدُ
ومثوًى لأرباب الخلود ومرقدُ
تلاقى جلال الدين والملك ها هنا
سما بهما الصرح المعلَّى الممرد
هنا حرم الخلد الذي عمَّ ذكرُهُ
فمَلْحودُهُ في عالم الذكر يولد
حوى مجد هذا الملك منذ بزوغِهِ
وما زال يُنميه قديمًا ويتلد
سجِلٌّ لأحقاب العصور التي مضت
تجمَّعَ فيه شملها المتبدد
من العُصُرِ الخالي ومن ذكرياته
عليه حجاب حائل اللون أربد
إذا انطلقت فيه النواقيس خلتها
صدى العُصُرِ الخالي به يتردد

---

(١) فخري أبوالسعود، ديوان فخري أبوالسعود، جمع وتقديم وتحقيق علي شلش، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥م: ص ١٦٥-١٦٧.

تـريـنُ عـلـيـه رهـبـة حـيـث أنـتـحـي
أصـــوِّبُ فـيـه مـقـلـة أو أُصَـعِّـدُ

فـــؤاديَ فـيـه بـين مـــاضٍ وحـاضـرٍ
وبـــين المـنـايـا والحـيــاة مـشـرد

يـحـاور قـبـرٌ فـيـه قـبـرًا ويـلـتـقـى
بـه جـلـمدُ ضـخـمُ الـبـنـاء وجـلـمـد

ويـشـخـص تمـثـالٌ وتـنـظـر صـورة
ويـقـبـل بـعـد الـبـهـو بـهـوٌ مُـعَـمَّـدُ

تُحَـــوِّمُ أمـــلاك الـسـمـاء بـسـقـفـه
وفـي كـل ركـن مـنـه لـيـثٌ مُـجَـسَّـدُ

وتمـضـي مـحـاريـبٌ يـوشِّـي مـتـونَـهـا
تـهـاويـلُ قـد دارت عـلـيـهـا وعـسـجـد

فـتـأتـي سـراديـبٌ عـوابـسُ لفُّـهـا
غـيـاهـبُ لا يـجـلـو دجـاهُــنَّ فـرقـد

كـأنـى أرى تـلـك الـشـخـوص مـريـغـة
خـطـابًـا لـو انَّ الـدهـر بـالـنـطـق يسـعـد

ولـكـن عـلـيـهـا رُقـيـة المـوت لا فـمٌ
تَـفَـرَّى بمـا يـبـغـي ، ولا اخـتـلـجـت يـد

هـنـا يـرقـد الـصِّـيدُ الأُلـى شـيـدوا الحمى
يـضـمـهُـمُ هـذا الـبـنـاء المـشـيـد

هـنـا يـهـجـع المـلـك الـذي كـان بـاسـمـه
تُحَـلُّ جـلـيـلاتُ الأمـور وتُـعـقـد

وقـائـد جـيـشٍ أرهـب الخـصـمَ بـأسُـهُ
وعـز بـه لـلـقـوم مُـلْـك مـوطـد

وربَ بيان كم روى سحره النهى

وما زال بين الناس يروى وينشد

وحبر إليه الدين قد فاء برهة

وللحق والديان ما كان يرصد

جفوا ها هنا ما كان بالأمس شغلهم

فلم يعنهم جد الشؤون ولا الدُّد

فلم يهف رب التاج يومًا لتاجه

حنينًا ولا شاق الكميُّ المهند

ورب القوافي غافل عن طروسه

وذو الدين أتقى منه أمْسِ وأزهد

ثَوَواْ في الثرى وانفضَّ عنهم دعاتهم

وكف عداة عن أذاهم وحُسَّدُ

هنا يلتقى الصُيَّاب من كل حقبة

يُجَمِّعهم بعد التفرق ملحد

طوى بينهم بعد القصور وإنما

يفرقهم صرفٌ من الموت أبعد

هنا يخلد الأحرار من كل بلدةٍ

إذا كان إنسان على الأرض يَخلد

هنا ذكريات منهُمُ وبقية

ولكنه لا شيء للموت يصمد

وما الذكر للإنسان بعد وفاته

حياة، ولكن مأتم متجدد

يُشيد بنو الدنيا به وعظامُهُ

بها صممٌ عمن يذم ويحمد

إذا أغمض الجفنَ الحمامُ فقد طوى

صحيفةَ ماضٍ ما لرجعاه موعد

وبتَّ حبالَ الحمد والذم واستوى

علاء وخفض - كان - قبل - وسؤدد

وسيان مجهول من الجند في الثرى

وآخَرُ مشهود الوقائع مُفرد

لعمرك ما تغني الورودُ نثيرةً

ولا النُّصُبُ العالي ولا الذكر يُسرد

متى غيّبتني حفرة وصفائح

وروَّح عني تابعون وعُوَّدُ

فمن مبلغي من جانب القبر أنني

أُمَجَّدُ في أسفاركم وأخلد؟

ألا إنها أسباب دنيا يَسنُّها

بنوها ولم يدر الثَّوِيُّ الموسد

يسن بنو الدنيا الحياة لمتقدٍ

بِحَيٍّ يُحَيَّى أو بفان يمجد

ولكنما مجد الفتى مجده الذي

تسمَّع أذناه وعيناه تشهد

****

مبارك جلواح العباسي[1]

في الغربة والهجرة
المسلم الأفريقي في باريس[2]

يا ليل أين الالتجا يا ليل
الريح تعصف والعهاد يسيلُ

والبرق يلمع في السحاب ويختفي
والرعد يقصف والغصون تميلُ

والشهب وسنى حيث غيَّب نورَها
للسحب عنا في السما منديل

وسواجع الأدواح لا يُرجى لها
عند الصباح ترنُّمٌ وهديل

غالَ الرياح وكورهنّ فيممت
شعبًا بها قد غالهن السيل

---

(١) مبارك جلواح (١٣٢٦ - ١٣٦٢ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٤٣ م) شاعر جزائري أجبر على الالتحاق بالخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، وشارك في الحرب العالمية الثانية. سافر إلى باريس للترويج لمبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومات غرقًا في نهر السين. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٥/ ٣٠٩.

(٢) عبدالله الركيبي، الشاعر جلواح.. من التمرد إلى الانتحار، ط١ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٦م: ص ٤٣٩ - ٤٤٢.

والساقيات حيالنا يعلو لها
كالشاكلات تأوُّهٌ وعويل
فيجيب نغمتها الشجية في الدجى
صوتٌ تذوب له القلوب ضئيل
صوت ترردده الشفاه ولفظه:
يا ليل أين الالتجا يا ليل
قد تاه ضعني في الحزون وضل بي
بين الخرائب والطلول دليل
ما لي ذرى آوى لها أو صاحب
أشكو له بعض الأسى وخليل
أبكي ومالي من يكفكف عبرتي
كلا ولا لي في الدجى قنديل
فالبطن يلذعه الطوى والقلب قد
يصلى لظًى منه الصميم غليل
والجسم عار والعظام نحيلة
والروح حيرى والدموع تسيل
والذهن فيه كل حين يجتلي
صور الأحبة والحمى تمثيل
تبدو كما كانت بسالف عهدها
لكن إليها لا ينال سبيل
فتهيج من شجن الفؤاد وشجوه
ما هو في حصن السكون نزيل
وكذا عهود الصفر تصبح إن مضت
رؤيا ولكن ما لها تأويل

يا ليل هل للصبح بعدك طلعة

أم ما لترك في الفضاء مزيل

قد أدبرَتْ عني الحياة وأقبلت

نحوي المنيةُ وامَّحَى التأميل

فذر الصباح يُقم ورائي مأتمًا

ويَطف بنعشي إن عراه رحيل

آه لمنكوب المظالم يلتوي

تحت الرفوف يشجه التهويل

يترحم الأنواء وهْي عواصف

ويلوذ بالجدران وهي تهيل

فلقد دنوت له فأنَّ وقال لي:

عجِّل بخطف الروح يا عزريل

قد طال نحوك شوقها وحنينها

فاصعد بها يصعد بك التبجيل

فأجبته: ما كنت عزريلاً سوى

أني كمثلك بائس وعليل

ماذا أصابك هل بقلبك لوعة

أم ناب شخصك في الورى تنكيل؟

فأجابني والبؤس يخبت صوته

ولدمعه فوق الخدود مسيل:

ذرني فلا تسأل فإن مصيبتي

عظمى وخطبي يا سمير جليل

إني عبرت البحر من أفريقيا

والكيس خاوٍ والإهاب نحيل

وبها ورائي يا سميري صبية

غرثى وأهل في عَنَا وقبيل

فنزلت في باريس أطلب أهلها

عملًا يخفف نكبتي ويزيل

فإذا ذوو الأعمال مهما جئتهم

قالوا: فإنك خائن ودخيل

اذهب لأرضك والتمس لك حرفةً

فيها فحظك عندنا التعطيل

لا ذنب لي إلا لأني مسلم

أفريقي أهوى العلاء نبيل

راموا بأن أرتد عن ديني وأن

أذر البلاد يسومها التذليل

وأنا الوفيُّ فما لقلبي عن هوى

ديني العزيز وموطني تحويل

فلكل قلب في المحبة مذهب

ولكل حب في القلوب مقيل

****

زفرة منتحر على ضفة السين[1]

يا سينُ جئتُكَ في ذا الليل ملتمسًا
بعُرضِ لُجِّكَ إخمادًا لأنفاسي
خلِّ القِلى جانبًا وابسطْ إلى كبدٍ
حرّى وقلبٍ مُعَنًّى راحةَ الآسي
فإنني لا أرى في غيرِ مائكَ ما
به تُطهِّرُ أوضاري وأرجاسي
ولا أرى في سوى تلك الموائجِ من
حِمًى به أحتمي من دهريَ القاسي
قد رام ذُلاً لرأسي في الورى ومتى
صفا البَقا للفتى في ذلَّةِ الراس
ورام أنْ أكُ وغدًا في الرجال وهل
يا سينُ يرضى بذا قوميَ أو ناسي؟
لا لا ومجدِك لا أرضى الهوانَ ولو
رضيتُ قبلاً بإملاقٍ وإفلاس
فابسطْ بهذي الدياجي الحالكاتِ يدًا
عذراءَ تنقذني من بُرثُن الياس
واحذرْ بأن تستقي تلك العزيزةُ ما
سقيتهُ فيك للمقدورِ من كاس

---

(١) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٣١٠/١٥. عبدالله الركيبي، الشاعر جلواح.. من التمرد إلى الانتحار: ٤٤٩، ٤٥٠.

إنـــي لأرجـــو بـأن تـسـقـي بمـدمـعِـهـا

بـعـضَ الـزهـور وتُـذْريـهـا بـأرمـاسـي

إذ إن فـي ذاك لـلـروحِ الحـزيـنـةِ مِـن

بـعـد اغـتـرابـيَ عـنـهـا كـلّ إيـنـاس

وقـلْ لمـن زار هـذا الـقـبـرَ مـلـتـمسًا

علمًا بِخطْبيَ من ذي الفضل في الناس

عــزاؤُكــم يـا كـــرامُ أن صـاحـبَـكـم

قـضَـى ضـحـيّـةَ إخـلاصٍ وإحـسـاس

****

عبدالله الزائد[1]

الشرق والغرب يلتقيان[2]

يـقـولـون إن الـشـرق والـغـرب ضـدان
ولـيـس لـهـم فـي مـا ادعــوا أي بـرهـان
شـقـيـقـان مـذ كـانـا قـريـنـان دائـمًـا
هـمـا فـي فـنـون الـعـلـم والـدرس صـنـوان
لـقـد أصـبـحـا بـعـد اخـتـلاف وفـرقـة
عضـيـديـن فـي دفـع الـعُـتُـوِّ مـن الـجـانـي
ولـم يـبـخـس الـغـربـيُّ فـي الـشـرق حـقَّـهُ
فــدع زور طـلـيـانٍ سـخـافٍ وألمـانِ

☆☆☆☆

لـكـم شـعَّ لـلإغـريـقِ فـي الـشـرق نـيِّـرٌ
فـلـم يـجـحـدِ الـشـرقـيُّ فـضـلًا لـيـونـانـي

(١) عبدالله الزائد (١٣١٧ - ١٣٦٥ هـ = ١٨٩٩ - ١٩٤٥ م) شاعر بحريني، قضى حياته متنقلاً بين البحرين والهند، وزار العراق ولبنان وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا، كان احد مؤسسي النادي الأدبي بالمحرق عام ١٩٢٠م وتولى أمانة سره وكان له نشاط ثقافي وتعليمي بارز وهو اول من دعا إلى وحدة إمارات الخليج العربي. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٢/ ٥٧.

(٢) عبدالله الزائد، ديوانه، جمع وتحقيق مبارك الخاطر، ط١ الملتقى الثقافي الأهلي، البحرين١٩٩٦م: ص٢٣٤ - ٢٣٥. في عام ١٩٤٤م اشترك «الشاعر» بهذه القصيدة في مسابقة إذاعة لندن لشعراء الخليج، ولكن لم يقدر لها الفوز بالجائزة. وقد نشرت في جريدة «البحرين» العدد٢٦٤-٢٣/٣/١٩٤٤م.

ومن بعدُ قام الشرق يقضي ديونَهُ

فلم يتجاهل حقه أي إنسان

فلو أن كبلنجَ طوى الدهر للورا

يسائل عن سلفسترٍ وشرلمان[1]

لقالا له قولًا يفند حكمَهُ

وقولهما بعد البلى خير سلطان

☆☆☆☆

دعوا اليوم ما أمسى حديثَ خرافةٍ

فما في تلاقي الغرب والشرق قولان

فكم عابر شقَّ الفضاء محلقًا

يبيتُ بأمريكا ويمسي ببغدان

وكم يتلقى العلم في جامعاته

أوانس لا تحصى وأفواج فتيان

وكم قام في دور الصناعة منهمو

رجال همو في الجسم كالشريان

☆☆☆☆

وكم من جنود قاتلت في صفوفه

تناضل في حزم وطيد وإيمان

يعدون للباغين لقمةَ جائعٍ

وكلهمو في طهيها متفانِ

---

(١) إشارة إلى روديارد كمبلنج (١٨٦٠-١٩٣٦م) الأديب البريطاني الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٠٧م؛ وشارلمان أو شارل العظيم (٧٤٢-٨١٤م) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة (٨٠٠-٨١٤م). وسلفستر الأول، البابا الثالث والثلاثين للكنيسة الكاثولوكية (٣١٤-٣٣٥م).

فيحمون أعلام الحضارة والهدى

بحزم وإخلاص وحدٍّ سنان

وكم في ربوع الشرق من بعثاته

رجال لهم منه وفيه يدان

تفتش عن آثاره وكنوزه

وتاريخ أسلاف كرام أولى شان

☆☆☆☆

تهب شعوب الشرق خلف حليفةٍ

تجاهد حتى ينتفي كل طغيان

أواصر قربى للعروبة وُطِّدَتْ

مع الغرب والتاريخ أسطع برهان

تناصر أرباب الحضارة دائمًا

بحزم وإخلاص وفنٍّ وعرفان

لها في اتفاق الأطلسي مثابة

وذلك أمر بت فيه الزعيمان

هما علَمَا العصر الحديث وصرحَه

ينالان فضل السبق في كل ميدان

قد انتقما بالحزم والجد والقوى

لسيل دماء قد أراق الدعيان

أتونٌ مِنَ الطغيان أضرم نارَهُ

ذئابٌ ولكن في جلابيب إنسان

☆☆☆☆

كـأنـا بـأنـوار الـسـلام مضيئة

وطـيـر الـتـهـانـي صـادح فـوق أفـنـان

ستعلو صـروح الحـق خـفـاقـة الـلـوا

على الأرض في شـرق قصيٍّ وفي دان

إذا كـان لـلـمـاضـين عـيـد بنصـرهـم

ففي نصـرنـا فـي هـذه الحـرب عيدان

قـضـاء عـلـى الأعـداء فـي عقـر دارهـم

ومـحـو لمـن يـزهـو بـجـنـس وألـوان

سعادتنا في السلم والعدل شامل

قـصـيَّـيْـنِ عـن بـاغٍ أثـيـم وعـن جـانِ

بني الأرض إن الأرض دارٌ مشاعةٌ

فـلـيـس لـشـعـب أن يـنـكـل بـالـثـانـي

فعيشوا جميعا ينتفي الشر عنكم

بـعـيـديـن عـن غـل وحـقـد وأضـغـان

****

خليل مطران[١]

لامارتين[٢]

أنشدت في حفلة أقامها أدباء لبنان تكريمًا لذكرى ذلك الشاعر الفرنسي العظيم الذي تغنَّى بمحاسن جبلهم.

أُنْـــظُـــرْ إلـــى هـــذى الـنـجـو
مِ الـــزاهـــراتِ مُـــخـــلَّـــدا
تـــرَ نـــيِّـــرًا لألاؤُهُ
يـــزدادُ مـــا بَـــعُـــدَ المـــدَى
هـــو نجـــمُ (لامَـــرْتـــينَ) أمْـــ
ـــعَـــنَ فـــي الـــعُـــلاَ وتـــفـــرَّدا

---

(١) خليل مطران (١٢٨٩ - ١٣٦٩ هـ = ١٨٧٢ - ١٩٤٩ م) شاعر القطرين لبنان ومصر، هو رائد الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث، ولد بلبنان وسافر إلى فرنسا هربًا من مطاردة الحكم العثماني، واستقر بمصر منذ عام ١٨٩٢م حتى وفاته. اتخذته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين علمًا على دورتها الثانية عشرة بسراييفو عام ٢٠١٠م وأصدرت معظم أعماله الأدبية شعرًا ونثرًا. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٧/ ٤٨٠.

(٢) خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة، جمعها ورتبها وقدم لها أحمد درويش، ط١ مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠١٠م: ج١ ص٣٩٠ - ٣٩١. الفرنسي دي لامارتين (١٧٩٠-١٨٦٩م) الكاتب والشاعر والسياسي الفرنسي الشهير، صاحب «رحلة إلى الشرق»، و «حياة محمد (صلى الله عليه وسلم)»؛ اتخذته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري علمًا على دورتها العاشرة بباريس عام ٢٠٠٦م.

أنـوارُهُ تـنْـهَـلُّ شـا

فـيـةً كـمُـنـهـلٍّ الـنَّـدى

يُـوفـى عـلـى الـدُّنـيـا وقـد

شـاقـتْـهُ بـعـد زِيـالـهـا

إِيـفـاء عـيـنٍ يـلـتـقـى

فـيـهـا شـتـيـتُ جـلالـهـا

مِـنْ زاخـرات بِـحَـارهـا

أو بـاذخـاتِ جِـبـالـهـا

وكـأنَّ (لُـبْـنـانَ) الخُـلا

صَـةُ فـي بـديـع جَـمـالِـهـا

☆☆☆☆

يـا نَجْـمُ هـل يـسـمـو إلـى

أسـمـاعِ شـاعِـرك الـصَّـدى؟

فَـيَـعُـودَهُ رجْـعُ عَـدا

هُ الـشَّـجْـو ممَّـا أنـشَـدا؟

ذاكَ الـنـشـيـدُ مـضـى بـه

قَـرْنٌ وظَـلَّ مُـرَدَّدا

هـوَ خَـطْـرةٌ خـطَـرتْ عـلـى

قَـلْـبٍ فـعـاشَـتْ سَـرْمَـدا

****

نابليون الأول وجنديٌّ يموت[1]

أمــــاتَ أولــئــكَ الجُــنــدُ الــكــرامُ
ولــم يَــثْــبُــتْ لــهــم أثــرٌ مُــقَــامُ؟
سِــوى قــولِ الــرُّواةِ حَــيُــوا لِــيقضُوا
مُــنَــى رجــلٍ كــبــيــرٍ ثــمَّ نــامُــوا
تــفــانَــوا فــي بــنــاء اســمٍ عــظــيــمٍ
ومــا أســمــاؤُهــم إلا الــرَّغــامُ
يُــسَــخِّــرُ ربُّــكَ الــدنــيــا لــفــانٍ
وفــي الــدنــيــا وفــيــهِ لــه مَــرَامُ
فــيُــلــقِــي مِــن مــحــبَّــتِــه عــلــيه
وتُــوشِــكُ أنْ تُــوحِّــدَهُ الأنــامُ

☆☆☆☆

كــذاك أحــبَّ «نــابــلــيــونَ» جــنــدٌ
هُــمُ بِــفَــخَــارِهِ نــهــضــوا وقــامُــوا
أبــالــسُ لا تُــرَدُّ ولا تُــلاقَــى
مــلائــكُ لا تُــصَــدُّ ولا تُــضَــامُ
أعِــزَّةُ يــومِ «أَسْــتِــرْلِــتْــسَ» كــانــوا
قــلــيــلاً والــعِــدى كُــثْــرٌ ضِــخَــامُ

---

(١) خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة: ج٣ ص١٢٦٢ - ١٢٦٥.

تلاقَوا مقبلِينَ على اشتياقٍ
ولكنْ لا وِدادَ ولا سلامُ
وكانتْ قُبلةُ الأشواق فيهم
ضرامًا لا تَقَرُّ عليهِ هامُ
وطالَ وما شَفَى لهُمُ غليلاً
مِن الوَجْد التَّعانُقُ واللِّزَامُ

☆☆☆☆

فلم يَكُ مُجدِيَ الرُّوسِ التَّفاني
ولا الحُلفاءِ بأسٌ واقتحامُ
ولا عَصَمَ الصقيعُ وكان منهُ
معاقلُ خَلْفَها لهُمُ اعتصامُ
وقُيِّضَ للفرنسيِّينَ نصرٌ
أتاهمْ فوق ما ظنُّوا وراموا
فطابُوا في الغَبُوق به نفوسًا
وراقَ لهمْ معَ الظَّفَرِ المُدامُ
وحدَّثَ قومَهُ الصُّعلوكُ منهم
بما كانتْ وقائعُه الجِسامُ

☆☆☆☆

وكان فتًى له سِيمَا زعيم
ينكِّره التفرُّدُ والظلامُ
عريضُ الجبهةِ الغرَّاءِ يبدو
بها شَعْرٌ كما رقَّ الغمامُ
حديدُ الناظرَيْنِ إذا أثيرَا
فمِصباحان مِلؤهما ضِرامُ

تَراه العينُ جبَّارًا عظيمًا

لهَيْبتِه وإنْ قَصُرَ القَوامُ

يمرُّ بهم وقد ثَمِلوا افتخارًا

وإعياءً فكلُّهمُ نِيامُ

إذا تعبَ الجنودُ فليس بِدْعٌ

بأنْ لا يتعبَ المَلكُ الهمامُ

فطاف بهِم وبالجَرحى افتقادًا

وكان مبرَّةً منه اللِّمامُ

وفارقَهم إلى حيث استقرَّتْ

مِن القتلى الجماجم والعظامُ

يشاهدُ ما جناهُ قريرَ عينٍ

ولا حَرجٌ عليه ولا ملامُ

فما استرعاه إلا صوتُ عانٍ

بجانبِه يُصارِعُهُ الحِمامُ

دنا ليُغيثَه فأمال رأسًا

له عَنَتِ القياصرةُ العِظامُ

وألقى رُكْبَتَيه على صعيدٍ

يُمازجُ تُربَهُ الدمُ والحُطامُ

غَنيٌّ ما جَثا لله إلا

ومَركَعُهُ على عَمَدٍ يُقامُ

فحلَّ عن الفتى ثوبًا خضيبًا

كأنَّ ثُقُوبَهُ فيه كِلامُ

وأبصرَ في ترائبِهِ صُدوعًا

على دَخَلٍ يَعِزُّ لها الْتِئامُ

فلمّا ثابَ للمعاني شُعورٌ
نفَاهُ الضَّعْفُ عنه والسَّقامُ

وأدركَ مَن بجانبِه تراءَى
بطَرْفَيْهِ الكليلَيْنِ اضْطِرامُ

أراد إبانةً عمّا تنادَتْ
جوارحُهُ به فعصَى الكَلامُ

فغضَّ الطرفَ ثمَّ رَنا فألقَى
مُفاضَتهُ يُضيءُ بها وِسامُ

فجمَّعَ ما تَبَقَّى مِن قُواهُ
وأسعدَه على النُّطق الذِّمامُ

فصاح: «فداكَ يا مَلِكي حياتِي»
وماتَ وفي مُحَيَّاهُ ابتسامُ

****

إغريقية الخالدة أثناء محنتها بالحرب العالمية الثانية
أنشدت في حفل بالقاهرة ١٩٤٤م(١)

شــجــانَــا نَــــوْحُ شــاديــهَــا
وتــــصــــويــــعُ بـــوادِيـــهَـــا
بِـــــلادٌ كـــانـــتِ الــنُّــعــمَــى
تَــــــراءَى فـــي مــغــانِــيــهَــا
فـــمـــاذا أنـــزلَـــتْ فـيـهـا
مِـــن الـــبُـــؤسِ أعـــادِيـــهَـــا؟
كـــــوارِثُ أفـحَـشـتْ فَــتُــهَــيْـ
ـيِـبُ الأرقــــامُ مـحـصِـيـهَـا
رَمــتْــهـــا الــنَّــكــبَــةُ الــكُــبـرى
بــجــيــشٍ مـــن دواهِـــيـــهَـــا
جـــنـــودٌ لا عِـــــــدَادَ لــهــا
بــهــا غـــصَّـــتْ نـــواجِـــيـــهَـــا
فـــهـــبُّـــتْ لـــلـــزِّيـــادِ ولـــمْ
يَـــرُعْـــهـــا بـــأسُ غـــازِيـــهَـــا
يُـــجـــاهـــدُ كـــلُّ فِــتْــيَــتِــهَــا
ويَــــجــــهـــدُ كُـــلُّ أهـــلِـــيــهَـــا
فـلَـمّـا اسـتَـنـفـدَتْ أغـلَـى
قُـــواهـــا فـــي تَـــفـــانِـــيـــهَـــا

---

(١) خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة: ج٤ ص١٨٧٣ – ١٨٧٤.

ثَـــــوَى أبــطـــالُـــهـــا وأبَـــى
حـــيــاةَ الـــــذُّلِّ بــاقِــيــهَــا
نـــفـــوسٌ حُــــــرَّةٌ صــدَقَــتْ
عــلــى الجُـــلَّــى مــعــالِــيــهَــا
لــئــن جُــلــت مــصــائِــبُــهــا
فــمــا انــحــلَّــتْ أواخِــيــهَــا
ولــم تــثــلــل عــزائِــمُــهــا
ولــم تــفــلــلْ مــواضِــيــهَــا
ومــا عَــدِمَــتْ مــواســاةً
مــفــاخِــرُهــا تــواسِــيــهَــا
لــقــد عَــظُــمَــتْ بــحــاضِــرهــا
كــمــا عَــظُــمَــتْ بــمــاضِــيــهَــا
فــنــحــن الــيــومَ فــي ذِكــرَى
بــطــولــتــهــا نــحــيــيــهَــا
ونــصــفــيــهــا مَــودَّتَــنــا
وخــيــرُ الــرَّاحِ صــافِــيــهَــا
ونـــذكـــرُ كُـــلَّ عــارفــةٍ
لــهــا بــالــشُّــكــرِ نَــقْــضِــيــهَــا
إذا ظــلَّــت إلـــى حــيــنٍ
فــعَــدْلُ الــلــه حــامِــيــهَــا
ســتــبــقــى الــدُّهــرَ مــا بَــقِــيَــتْ
فَــضــائــلُ قــومِــهــا فِــيــهَــا
ويــأتــي الــنَّــصــرُ وفْــقَ مُــنــى
تــمــنــيــهــا فــيُــرضِــيــهَــا

****

فتاة

أمها عربية وأبوها فرنسي[1]

جَـــمـــالُــكِ زادَ رَوْعَـــتَـــهُ

مِـــــزاجُ الـــشَّـــرقِ والـــغَــرْبِ

وزانَـــــــتْ فِــتـــنــةُ الإفْـــرِنْـــــ

ـــجِ فِــيـــهِ عــفَّـــةَ الـــعُـــرْبِ

****

(١) خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة: ج٥ ص٢١٧٩.

أجمل امرأة في باريس

فازت بهذا اللقب حسناء مشبهة بالزمردة [1]

يا مَنْ تجلَّتْ فالعبادُ عِبَادُها
لله ما فَعَلَتْ بهم عينَاكِ

شبَّهتِ نفسَكِ بالزُّمُرُّدِ فازدَهى
بينَ الحُلِيِّ بأنَّهُ حاكَاكِ

فيه مخايلُ من سَنَاكِ بعيدةٌ
فإذا دنَوْتِ فمَنْ لهُ بسَنَاكِ

شهِدَ العُدُولُ بأنكِ الأُولى ومَا
قالوا سوى حقٍّ فأنْتِ كذَاكِ

ريعُوا بوَجْهِ الشمسِ جلَّلهُ الدُّجَى
يفترُّ ثغرًا عنْ ندًى ضحَّاكِ

فُتِنُوا بِسِرٍّ في ابتسامِكِ ساحرٍ
لمْ يجْلُهُ للناظرينَ سِوَاكِ

وجدُوا به رُوحَ الجمالِ وأدركوا
معنى هوًى يسمُو عنِ الإدراكِ

****

(١) خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة: ج٥ ص٢٣٦٩.

علي الجارم[1]

برنادوت[2]

حسرتا للكونت بِرْنَا
دُوت لو تنفع حسرَهْ!
رام أن يَسْتَنْقِذَ الكو
ن ويستأصلَ شره
قَتْلُهُ جُبْنٌ وخُذْلا
نٌ ولؤمٌ ومعره
طلب الكفَّ عن الحر
ب، فمن نَفَّذَ أمره؟

---

(١) علي الجارم (١٣٠٠ - ١٣٦٩ هـ = ١٨٨٢ - ١٩٤٩ م) شاعر مصري كبير، تخرج في دار العلوم عام ١٩٠٨م، فاوفد إلى إنجلترا لدراسة اللغة الإنجليزية، حيث قضى عامًا في مدينة نوتنجهام، التحق بعدها بكلية المعلمين في مدينة إكستر التي قضى فيها ثلاثة أعوام تلقى خلالها علوم التربية والمنطق وعلم النفس، ثم عاد إلى القاهرة عام ١٩١٢م ليتدرج في وظائف التعليم إلى أن انتقل إلى كلية دار العلوم وتولى عمادتها حتى بلوغه سن التقاعد عام ١٩٤٢م. كما كان عضوًا بارزًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٣/ ٢٧٥.

(٢) علي الجارم، ديوان علي الجارم، ط٢ دار الشروق، القاهرة ١٩٩٠م: ج٢ ص ٤٨٨. وبرنادوت هو الكونت فولك برنادوت (١٨٩٥ - ١٩٤٨م) أحد أفراد العائلة المالكة السويدي، ترأس الصليب الأحمر السويدي كان له نشاط دبلوماسي بارز، وقدم عدة اقتراحات من أجل السلام في فلسطين أثارت حفيظة الجانب الصهيوني فاغتالته بالقدس جماعة ارغون بزعامة مناحم بيجن وجماعة شتيرن برئاسة إسحاق شامير.

خـــــرق الـــــهـــدنـــــة أبـــنـــا

ء يـــــهـــوذا ألـــــــفَ مـــــره!

وهـــــــو لا يــــؤمـــــن حـــتـــى

ســــلـــبــوه الــــــــــروح جـــهـــره

أتـــــــــــرى آمـــــــــــن لمـــــا

خـــــرق الأنـــــــــــذال صـــــــدره؟

ربمـــــــا يـــحـــفـــر ذو الآ

مـــــــال بـــــــالآمـــــــال قـــبـــره

****

ضحك القدر[1]

أبصرت أعمى في الضباب بلندنٍ
يمشي فلا يشكو ولا يتأوهُ

فأتاه يسأله الهداية مبصرٌ
حيران يخبط في الظلام ويعمه

فاقتاده الأعمى فسار وراءه
أنى توجه خطوه يتوجه

وهنا بدا القدر المعربد ضاحكًا
ومضى الضباب ولا يزال يقهقه!

****

(١) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج١ ص ٧٧.

حنين طائر[1]

طائر يشدو على فننِ
جَدَّدَ الذكرى لذي شَجَنِ

قام والأكوام صامتةٌ
ونسيم الصبح في وهن

هاج في نفسي وقد هدأَتْ
لوعةٌ لولاه لم تكن

هزه شوق إلى سكنٍ
فبكى للأهل والسكن

ويك لا تجزع لنازلةٍ
ما لطير الجو من وطن

قد يراك الصبح في حلبٍ
ويراك الليل في عدن

أنت في خضراءَ ضاحكةٍ
من بكاء العارض الهتن

أنت في شجراء وارفةٍ
تاركٌ غصنًا إلى غُصُن

عابث بالزهر مغتبطٌ
ناعم في الحل والظعَن

(1) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج1 ص 82 - 89.

في ظلال حولها نهَرُ
غير مسنون ولا أسن
في يديك الريح ترسلها
كيفما تهوى بلا رسن

☆☆☆☆

يا سليمان الزمان أفقْ
ليس للذات من ثمن
وابعث الألحان مطربة
يا حياة العين والأذن
غن بالدنيا وزينتها
ونظام الكون والسنن
وبقيعان هبطت بها
وبما شاهدت من مدن
وبأزهار الصباح وقدْ
نهضت من غفوة الوسن
وبقلب شفه ولهٌ
حافظٍ للعهد لم يخن
كل شيء في الدنا حسنٌ
أي شيء ليس بالحسن
خالق الأكوان كالئها
واسع الإحسان والمنن

☆☆☆☆

كان لي إلف فأبعدهُ
قدر عني وأبعدني

أنـــا مـــدُّ الـــدهـــر أذكـــرهُ
وهـــو مـــدُّ الـــدهـــر يـذكـرنـي
قـــد بـنـيـنـا الـــعـش مـــن مـهـجٍ
غُـسـلـتْ مـــن حـــوبـة الـــدرن
مـــن لـــدُنْـــه الـــود أخـلـصـهُ
والـــوفـــا والـــطـهـــر مـــن لـدنـي
كـــانـــت الأطـــيـــار تحـسـدهُ
جـــنـــة المـــأوى وتحـسـدنـي
وظـــنـــنـــا أن نـــعـــيـش بـــهِ
عـــيـشـة المـسـتـعـصـم الأمـــن
فـــرمـــت كَـــفُّ الـــزمـــان بـــهِ
فـــكـــأن الـــعـــش لـــم يـكـن
طـــار مـــن حـــولـــي وخـلّـفـنـي
لـــلـــجـــوى والـــبـــث والحـــزن
ونـــأى عـــنـــي ومـــا بـــرحَـــتْ
نـــازعـــات الـــشـــوق تـطـرقـنـي
ومـــضـــى والـــوجـــد يـسـبـقـهُ
ودمـــــوع الـــعـــين تـسـبـقـنـي
☆☆☆☆
إن تـــزر يـــا طـــيـــر دوحـتـه
بـــين زهـــر نـــاضـــر وجَـــنِـــي
وشـــهـــدت «الـــتَّـــمْـــسَ» مـضـطـربًـا
واثـــبًـــا كـــالـــصـــافـــن الأرن

عبثتْ ريحُ الشمال بهِ

فطغى غيظًا على السفن

فانشد الأطيار واحدها

في الحُلى والحسن والجَدَنِ

وتريثْ في المقال لهُ

قد يكون الموت في اللسن

صف له يا طير ما لقِيَتْ

مهجتي في الحب من غبن

صف له روحًا معذبةً

ضاق عن آلامها بدني

صف له عينًا مقرحة

لأبيٍّ الدمع لم تصُن

☆☆☆☆

يا خليلي والهوى إِحَنُ

لا رماك الله بالإحن

إن رأيت العين ناعسة

فترقب يقظة الفتن

أو رأيت القد في هيف

فاتخذ ما شئت من جنن

قد نعمنا بالهوى زمنًا

وشقينا آخر الزمن

****

ذكرى الغرب[1]

يـا دار فـاتـنـتـي حُـيِّـيـتِ مـن دارِ
سَـيَّـرْتُ فـيـكِ وفـي مَـنْ فـيـكِ أشـعـاري

رحـلـت عـنـهـا ولـلأشـجـان مـا تـركَـتْ
فـي الـعـين والـقـلـب مـن مـاء ومـن نـار

كـانـت مـجـال صـبـابـات لـهـوت بـهـا
ومـسـتـراضَ لـبـانـاتٍ وأوطـار

أسـائـل الـطـيـر عـنـهـا لـو تـنـبـئـنـي
أو تـنـقـل الـطـيـر عـنـهـا بـعـض أخـبـار

ينسى بـهـا كـل نـائـي الـدار موطـنَـهُ
ومـا تـجـشـم مـن بـيـنٍ وأسـفـار

يـلـقـى بـهـا أيـنـمـا ألـقـى عـصـاه بـهـا
أهـلاً بـأهـل، وأصـهـارًا بـأصـهـار

وفـتـيـة كـرمـاح الـخـط إن خـطـروا
فـديـت بـالـنـفـس مـنـهـم كـل خـطَّـار

بـيـضَ الـوجـوهِ مـسـاميـحَ الأكـفِّ مَـنًـا
جِـيـدَ الـصـريـخ سـراةً غـيـرَ أغـرار

لا يـنـزل الـضـيـف صـبـحًـا عـقـرَ دارِهـمُ
إلا ويـمـسـي عـشـاء صـاحـب الـدار

---

(1) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج1 ص ٢١٧.

قد آمنوا بإله الحب وارتقبوا

آياته بين إجلال وإكبار

وصوروه فتى أعمى إذا رشقتْ

يداه بالنبل أصمى كل جبار

عريان إن مسه برد الشتاء فما

له سوى زفرات الوجد من نار

يغشى الفتاة ولم ترقب زيارته

وخدرُها بين أغلاق وأستار

فطرفها خاشع من بعد زورتِهِ

وقلبها نهبُ أوهامٍ وأفكار

تشكو إلى أمِّها ضيفًا ألمَّ بها

والأمُّ إن تستطع باحت بأسرار

ويصرع الفارسَ المغوارَ إن لعبَتْ

كفاه بالسيف أردى كل مغوار

فلا تراه سوى شاك لساجعة

أو نادب إثر أطلال وآثار

ويطرق الشيخ في المحراب قد فنيت

عظامه، ويرثُهُ خشية الباري

فلم تكن لَمْحَتُهُ إلا لِيَفْتِلَهُ

من الصلاة ومن ترتيل أذكار

☆☆☆☆☆

يبرزن في الليل مثل الشهب ساطعة

ما بين سيارة تجري لسيار

من كل خمصانة الكشحين ناصعة

كأنها درة في جوف زخار

تسعى إلى أَغْيَدٍ ما طَرَّ شاربهُ
كأنما صفحتاه وجه دينار

☆☆☆☆

أرض كأن إله الأرض أودعها
بدائع الحسن من عون وأبكار

ألقوا خدود العذارى في حدائقها
ولقبوها بأثمار وأزهار

وجردوا كل حسن من قلائده
فصرن حصباء في سلسالها الجاري

لو كان في عنصري صلصال طينتها
ما راعني الدهر في يوم بأكدار

أو كنت أظفر في الأخرى بجنتها
غسلت بالدمع آثامي وأوزاري

****

الحرب[1]

مـن سـلـب الأعـين أن تـهـجـعـا؟
ويَـزُّ ذات الـطـوق أن تـسـجـعـا؟
ومـن رمـى بـالـشـوك فـي مضجعي
فـبـتُّ مـكـلـوم الحـشـا مـوجـعـا؟
روعـنـي والـلـيـل فـي زيـه
مـن مـرجـفـات الخـطـب مـا روعـا
طـاحـت بـأهـل الـغـرب نـار الـوغـى
وهـبَّـتِ الـريـح بـهـم زعـزعـا
طـاف عـلـيـهـم بـالـردى طـائـفٌ
فـاخـتـرم الأنـفـس لمـا سـعـى
وصـاح فـيـهـم لـلـتـوى صـائـحٌ
فـصُـمَّـتِ الأسـمـاع مـذ أسـمـعـا
فـي الـبـر، فـي الـبـحـر، ومـن فـوقـهـمْ
لـم يـتـركِ المـوتُ لـهـم مـوضـعـا
يـجـمـعـهـم جـبـارهـم عـنـوةً
وإنـا لـلـمـوت مـن جـمـعـا
يـحـسـو دم الـقـتـلـى، فـأظـمِـئْ بـهِ
ويـنـهـش الـلـحـم، فـمـا أجـشـعـا

---

(١) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج١ ص ٢٤٦ - ٢٥٠.

لم يكفِهِ رمح ولا مرهفٌ
فاتخذَ المنطاد والمدفعا
وخَبَّ فيها راكبًا رأسهُ
للشر ما خَبَّ وما أوضعا
قد غصّت الأرض بأشلائهمْ
وأصبح البحر بها مترعا
وأن للعقبان أن تكتفي
وأن للحيتان أن تشبعا
صواعق المنطاد لا تُتَّقى
وصولة الألغام لن تدفعا
أطلق عزرائيلُ من قِدِّهِ
يرتع أنى شاء أن يرتعا
تطربه الحرب بأزجالها
ويستبيه السيف إن قعقعا
كأنما في صدرهم غلةٌ
أبت بغير الموت أن تنقعا
كأنهم سربُ قطا عُطَّشٍ
صادفن من ورد الرَّدَى مشرعا
كأنهم والنار من حولهمْ
جنٌّ تألَّوا أن يبيدوا معا
صاروا من العنبر في ظلمة
لا تبصر العين بها الإصبعا

☆☆☆☆

كم فارس يمرح في سرجهِ
يهتزُّ كالغصن وقد أينعا
كأنه الصمصام إذ ينتضي
وعامل الرمح إذا أُشرعا
ما ضنَّ بالرفد على وافدٍ
ولا لوى حقًّا ولا ضيعا
تمشي بنات الحي في إثرهِ
يرشقنه بالزهر إذ وُدِّعا
من كل بيضاء الطلى طفلةٍ
أسطعَ من بدر الدجى مطلعا
تكف غرب الدمع أن يُرتأى
وتحبس الزفرات أن تُسمعا
لج به الموت فأودى به
وحزَّ منه اللِّيت والأَخْدَعا
مات فلا قبرٌ له ماثلٌ
ولا بكى الباكي ولا شيعا

☆☆☆☆

سل «ليج» ما حل بأرجائها
فقد غدت أرجاؤها بلقعا
واسأل «نمورا» ما دهى أهلها
فقد نعاها البرق فيما نعى
وسائلِ الروض ذوى نبته
وسائلِ الأطلال والأربعا

☆☆☆☆

باريس! والعسرى إلى يسرة
وغاية العارض أن يقشعا
أعزك الخطب بأوجاله؟
وكنتِ عش النسر أو أمنعا
كنت لطلاب الهدى معهدًا
وكنتِ روضًا للهوى ممرعا
ما أحسن «السين» وجيرانهُ
وأحسن المصطاف والمربعا
أُريعَتِ الحسناء في خدرها؟
نعم، دعاها الذعر أن تهلعا
عهدي بها كانت نؤومَ الضحى
ملولةً ناعمةً رعرعا
ما خطبُها والنار من حولها
والموت لم يترك لها مفزعا؟

☆☆☆☆

ضراغمَ الماء، ثِبوا وثبةً
آن لهذا الغيل أن يُمنعا!
دعاكم الجار فكنتم إلى
دعائه من صوته أسرعا
وسرتُمُ للموت في جحفلٍ
ما ضَمَّ رعديدًا ولا إمعا
من كل شعشاع خفيف الخطا
ذي مِرَّةٍ منجردٍ أروعا

لـو مـادت الأجـبـال مـن تحتـه

أو خـرت الأفـلاك مـا زُعـزعـا

سلـوا بـحـار الأرض عـن مـجدكم

إنَّ بـهـا ســرًّا لـكـم مـودعـا

كـانـت ولا زالـت لـكـم سـاحـة

تـبـنـون فـيـهـا الـشـرف الأفـرعـا

تـهـوى طـيـور المـاء أعـلامـكـم

فـتـقـتـفـيـهـا حُـوَّمًـا وُقَّـعَـا

قـد طـاف «نـلـسـن»[1] حـول أسطولكم

مـسـتـصـرخًـا غـضـبـان مُـسْـتَـفْـزَعَـا

يُـغـضـبـه يـا خـيـر أشـبـالـه

أن يـبـلـغ الـقـرن بـكـم مـطـمـعـا

☆☆☆☆

يـا خـالـق الـنـاس، طـغـى شـرهـم

فـاهـد الـحـيـارى واكـشـف الـمَـهْـيَـعَـا

لـم يـشـبـهـوا الإنـسـان فـي خـلـة

وأشـبـهـوا الـحـيَّـاتِ والأسـبـعـا

قـد رُفـع الإحـسـان مـن بـيـنـهـم

وأوشـك الايـمـان أن يُـرفـعـا

لـولا سـنـا هـديـك فـي بـعـضـهـم

لـدُكَّـتِ الأرضُ بـهـم أجـمـعـا

****

---

(١) الجنرال نيلسن من أبطال البحرية الإنجليزية وقائد أسطولهم إبان الحرب الفرنسية.

يوم السلام[1]

داعبِ الشرقَ باسمًا وسعيدا
وائتلق يا صباح للناس عيدا
نسيَتْ لحنَها الطيورُ فصوِّرْ
لِبناتِ الغصون لحنًا جديدا
فَزَّعَتْهَا عن الرياض خفافيـ
ـش تسد الفضاء غبرًا وسودا
ألِفَتْ موحش الظلام فودت
أن تبيد الدنيا وألا يبيدا
فاسجعي يا حمامة السلم للكو
ن، وهزي أعطافه تغريدا
غردي فالدموع طاح بها البشـ
ـر، وأضحى نوح الثكالى نشيدا
واسمعي! إن في السماء لحونًا
أَسَمِعْتِ الترتيل والترديدا؟
كلما اهتز للملائك صوت
رجعته أنفاسنا تحميدا
رنة النصر في السماوات والأر
ض، أعادت إلى الوجود الوجودا

(١) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج١ ص ٢٨ - ٣٢.

مولد للزمان ثانٍ شهدنا

هُ، فيا من رأى الزمان وليدا

سكن السيف غمده بعد أن صا

ل عنيفًا مُناجِزًا عربيدا

ما احمرار الأصيل إلا دماءٌ

بقيَتْ في يد السماء شهودا

طائرات ترمي الصواعق لا تخـ

ـشى إلهًا، ولا تخاف عبيدا

أجهدت في السرى خوافق عزريـ

ـل فرفت من خلفهن وئيدا

كلما حلقت بأفق مكانٍ

تركت فيه كل شيء حصيدا

كم سمعنا عزيفها من قريبٍ

فغدا الرأي والسداد بعيدا

يلفح الشيخ والغلام لظاها

ويصيب الشجاع والرعديدا

كم وحيد بين الرجام بكى أُمـ

ـمًا، وأمٌّ بكت فتاها الوحيدا

مدنٌ كُنَّ كالمحاريب أمنًا

ترك الخسف دورهن سجودا

وقصور كانت ملاعب أنس

أصبحت بعد زهوهن لحودا

☆☆☆☆

لهف نفسي على دماءٍ زكيا
تٍ كقطر الغمام طهرًا وجودا
سِلْنَ من خد كل سيف نُضارًا
بعدما حطم الحديد الحديدا
لهف نفسي على شباب تحدَّى
عَذَبَاتِ الفردوس زهرًا وعودا
لهف نفسي والنار تعصف بالجيـ
ـش فتلقاهُ في الرياح بديدا
ذكّرتْنَا جهنمًا كلما أُلْـ
ـقيَ فوجٌ صاحت تريد المزيدا
كالبراكين إن تمشَّتْ، وكالبـ
ـحر إذا جاش بالحميم صهودا
وإذا الماء كان نارًا فمن يَرْ
جو لنار إذا استطارت خمودا
أمٌ تلتقي صباحًا على المو
ت لتستقبل المساء همودا
وفريق للفتك يلقى فريقًا
وحشود للهول تلقى حشودا
كم حطام في الأرض كان عقولا
ورماد في الجو كان جهودا
وأمان ونشوة وشبابٌ
ذهبتْ مثل أمسها لن تعودا
قُبلات الحسان ما زلن في الخدْ
دِ، فهل عَفَّرَ التراب الخدودا؟

ووعـــود الــغــرام مـــاذا عـراهـا
أغـدت فـي الـثرى الخضيب وعـيدا؟
كـم دمـــوع، وكـــم دمـــاء، وكـــم هَـوْ
لٍ، وكـــم أنـــة، تــفــتُّ الـكـبـودا
إنمـــا الحـــرب لـعـنـة الـلـه فـي الأر
ض، وشـــرٌّ بمـــن عـلـيـهـا أُريـــدا
صَـــدَّقَـــتْ مـــا رأى المـلائـك مـن قبـ
ــل، ومـــا كـــان قـولـهـم تـفـنـيـدا
إن لـــلـــه حـــكـــمـــة دونـــهـــا الـعـقـ
ــل فـخـلِّ المـــراء والـتـرديـــدا
كـيـف نـصـفـو ونـحـن مـن عـنـصـر الـطـ
ــين، فـســادًا وظـلـمـة وجـمـودا؟
ذهـــب المـــوت بـالحـقـود فـمـاذا
لـو مـحـوتم قـبـل المـمـات الحـقـودا؟
شـــهـــوات تـــدمـــر الأرض كـــي تحـ
ــيـا، وتجـتـاح أهـلـهـا لـتـسـودا
وجـنـون بـالمـلـك يـعـصـف بـالـدنـ
ــيـا، لـكـي يمـلـك الـقـبـور سـعـيدا
يـذبـح الـطـفـلَ أغـصَـلَ الـنـاب شـيـطا
نًـا، ويـحـسـو دم الـنـسـاء مـريـدا
ويـســوي جـمـاجـم الـنـاس أبـرا
جًـا، لـيـبـغـي إلـى الـسـمـاء صـعـودا
قـد رأيـنـا الأُسُـــودَ تـقـنـع بـالـقـو
ت، فـلـيـت الـرجـال كـانـت أسـودا

☆☆☆☆

قُــتِــلَ الــعــلــم، كــيــف دبــر لــلــفتــ
ــك عــتــــادًا، ولــلــــدمـــار جــنــودا
فــهــو كــالخــمــر تــنــشــر الــشــر والإثـــ
ــمَ وإن كــــان أصــلــهــا عــنــقــودا
أبـــــدع المـــهـــلـــكـــات ثـــم تـــــوارى
خــلــفــهــا يـمــلأ الــــورى تــهــديــدا
مــــادت الـــراســيـــات ذعــــرًا وخــفَّــتْ
مـــن أفـــانـــيِنِ كـــيـــدِهِ أن تمــيــدا
وقــلــوب الــنــجــوم تــرجــف أن يجــ
ــتــاز يــومًــا إلـــى مــداهـــا الحـــدودا
مــحــدثــات عـــــزَّتْ عــلــى عــقــل إبــلــيــ
ــس فــعــض الــبــنــان فــدمًـا بــلــيــدا
عـــالـــم فـــي مـــكـــانـــه يـــنـــســـف الأر
ض، وثـــــانٍ يــحــز مــنــهــا الـــوريـــدا
حــســرتــا لــلــحــيــاة مـــاذا دهـــاهـــا؟
أصــبــح الــنـــاس قـــاتـــلاً وشـــهـــيـــدا

☆☆☆☆

أصــحــيــح عـــاد الـــســـلام إلـــى الــكــو
ن، وأضـــحـــى ظـــلًّا بـــه ممـــــدودا؟
ورنـــين الأجـــراس يــصــدح بــالــنــصــ
ــر، فــيــا بِــشْــرَهُ صــبــاحًــا مجــيــدا
ســـايـــرَتْـــهـــا قـــلـــوبُـــنـــا ثـــم زدنـــا
فـــأضـــفـــنـــا لـــشـــدوهـــن الـــقـــصـــيـــدا

رددي رددي تــرانــيــمَ إســحــا

قَ، وهـــزي الحـسـان عِـطـفًـا وجـيـدا

أنـــت صُـــورُ الحـيـاة قـد بـعـث الـنـا

س، وكــانـوا جـمـاجـمًـا وجـلـودا

قـد سـئـمـنـا بـالأمـس صـفـارة الإنـــ

ـــذار والـويـل والـعـذاب الـشـديـدا

رددي صــوتَــك الحـنـون طـويـلا

وابـعـثـي لحـنـك الـطـروب مـديـدا

واهـتـفـي يـا مــآذن الـشـرق بـالـلـ

ـــه ثـنـــاء، وبـاسـمـه تمـجـيـدا

واسـطـعـي أيـهـا المـصـابـيـح زهـرًا

واجـعـلـي شـوقـنـا إلـيـك وقـودا

قـــرَّت الـنـفـس واطـمـأنـت وكـانـت

أمــــلاً حــائــر الـطـريـق شـريـدا

☆☆☆☆

ليت شعري مـاذا سنجني من النصـ

ـر وهــل تَـصـدق الـلـيـالـي الـوعـودا

وهــل «الأربـــع الـــروائــع» كـانـت

حُـلُـمًـا، أو مـواثـقًـا وعـهـودا

وهـــل انـــقـــادت المـمـالـك لـلـعـد

ل، فـلا سـيـدًا تـرى أو مـسـودا

وهـــل الحـــق صـــار بـالـسـلـم حـقًّـا

وأذابـــت لـظـى الحـروب الـقـيـودا

وهـــل الـــعُـــرْبُ تـســتـرد حـمـاهـا

وتـــنـــاجـــي فـــردوســـهـــا الـمـفـقـودا

وتـــرى فـــي الـــســلام مـجـدًا طـريـفًا

جـــاء يُـحـيـي بـالأمـس مـجـدًا تـلـيـدا

بـــذلَـــتْ مـصـر فـوق مـا يـبـذل الـطـو

ق، وقـــد يـسـعـف الـنـديـد الـنـديـدا

فـــي فـيـافـي صـحـرائـهـا لـمـع الـنـصـ

ـر، وولـــى «رومـــيـــل»[1] يـغـدو طـريـدا

فـــهـــي إذ تـنـثـر الـــورود تـنـاغـي

أمـــلًا ضـــاحـــكًـــا يـفـوق الـــورودا

وهـــي تـرجـو، لا، بـل تـريـد، وأَجْـــدِرْ

بـابـنـة الـنـيـل وحـدهـا أن تـريـدا

****

(١) روميل: قائد الماني مشهور لقب بثعلب الصحراء وهو قائد قوات المحور في معركة العالمين الشهيرة ١٩٤٢م التي كانت حدًا فاصلاً في الحرب العالمية الثانية.

باريس[1]

عــرسٌ أقـيـم عـلـى الـدم المسـفـوكِ
أأردُ الألحــان أم أبـكـيـكِ؟
بـاريـسُ حـيَّـرْتِ الـقـريـض، فـمـرةً
يـشـدو، وحـيـنًـا والـهًـا يـرثـيك
نَـهَـكَـتْـكِ داهـيـةُ الخـطـوب فـلـم تـدع
لـلـفـوز غـيـر حـشـاشـة المنـهـوك
إنْ كـان مـا تـعـنـي الحـيـاةُ تـنـفسًـا
«فـالـعـيـش خـيـر فـي ظـلال الـنـوك»
لـهـفـي عـلـيك ولـهـف شـعـري مـا الـذي
لاقـيـت مـن جـبـريـة وفـتـوك
مـا بـين ظـلـم كـالمنـون مُـحـجَّـبٍ
عـاتٍ وظـلـم كـاسـمِـه مـهـتـوك
ألـقـيـتِ نـفـسَـكِ لـلـطـغـاةِ غـنـيـمةً
ومـضـى الـقـضـاء فـعـز مـن يـنـجـيك
جـرح الـهـزيـمـة لا تجـف دمـاؤهُ
وتجـف دامـيـة الـقـنـا المشـكـوك
نـاديـت لا «بـيـتـان» فـي تـسـعـيـنـهِ
مُـصـغٍ ولا «لا فـالُ» بـين ذويـك[2]

---

(١) علي الجارم، ديوان علي الجارم: ج٢ ص ٥٣٥ – ٥٣٩.

(٢) بيتان، ولافال: قائدان فرنسيان بجيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

ولقيت من عسف العدو وكيدهِ

دون الذي لاقيت من أهليك

وَلَّى الحماةُ فما أجابوا دعوةً

لما دعاهم للردى داعيك

تركوك للموت الزؤام وأدبروا

يا ليتهم للموت ما تركوك

ومضوا حيارى ذاهلين فما رأوا

كفيك ضارعة، ولا سمعوك

قذفوا السلاح فصبُّهُ أعداؤهمْ

غلًّا فكاد حديده يرديك

ونعيت للدنيا فشبَّتْ لوعةٌ

أصلى القلوبَ بحرها ناعيك

☆☆☆☆

ويل الشباب من النعومة إنها

أعراض سُمٍّ للشعوب وشيك

ما أتعس الزمن الجديد بفتيةٍ

قتلوه في التصفيف والتدليك

قلب كقرط الغانيات مُفَزَّعٌ

وإرادة من حيرة وشكوك

عاشوا صعاليك الحياة وليتهمْ

فازوا بصدق عزيمة الصعلوك

أبقت ليالي الأنس من أخلاقهمْ

فزع النعامة وازدهاء الديك

☆☆☆☆

باريس هالتْكِ الدماءُ غزيرةً
فسقطت بين نصال جزاريك
خفت القذائف أن تهدَّ معالمًا
فتهدم التاريخ في أيديك
ما كان أحرى لو دككْتِ إلى الثرى
وتركتِ ذكرًا ليس بالمدكوك
ما برج «إيفل» حين يسلم مانعٌ
همسًا يطن غدًا بأذن بنيك
لو طال صبرك في المكاره ساعةً
لرأيت أن الموت قد ينجيك
إن الذي خلق الكرامة صانها
بالسيف يمحو رأى كل أفيك
بين المهانة والمعزة خطوةٌ
فإذا ضللتِ فقلْ من يهديك
شتان بين فتًى يموت مجالدًا
وفتى يموت بجرعة «الفينيك»
شتى أساليب الحياة، ولا أرى
للمجد غير طريقه المسلوك
سر البطولة في الشدائد جرأةٌ
سيان: تُفري الخطب أم يفريك
قد كنت في «السبعين» أكرمَ موقفًا
والغانيات بشعرها تفديك

☆☆☆☆

باريس، قد ضرب الثباتُ بلندنٍ

مثلًا إلى أمثاله يدعوك

عبست لهم «دنكركُ»[1] فاقتحموا الردى

ومشوا بوجه للمنون ضحوك

واستقبلوا نوب الزمان ضراغمًا

لما تخلف عاهلُ «البلجيك[2]»

جعلوا الهزائم سلَّمًا. فتسلقوا

للنصر فوق جماجم وتريك

أصلتهم الهيجاءُ نارَ جحيمها

فتخلصوا كالعسجد المسبوك

لو أنهم وهنوا لزالت ريحُهمْ

وقضوا عبيد الذل والتفكيك

ولما رمى «شَرْ بُرْجَ»[3] منهم جحفلً

في مأزق كفم الليوث ضنيك

ولما رأت «روما» طلائع نجدةٍ

تشرى المحامد بالدم المسفوك

ولما مضى «روميل» يلعَق جرحهُ

ويجر ذيل العاثر المفلوك

ولما جرت في البحر تخطر سفْنهمْ

من آخر «الهادي» إلى «البلطيك»

☆☆☆☆

---

(١) دانكرك: مدينة ساحلية بفرنسا شهدت معركة مشهورة انسحبت فيها قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية من إنجلترا إلى فرنسا.

(٢) ليوبولد الثالث (١٩٠١-١٩٨٣م)؛ جلس على العرش عام ١٩٣٤م، عقب وفاة والده البير الأول واضطر للتنحي عن العرش عام ١٩٥١م، بعد اتهامه بالتعاون مع النازيين.

(٣) شر برج: أحد قادة الألمان في الحرب العالمية الثانية.

باريس - والذكرى جحيمٌ - فانظري

نحو السماء لعلها تنسيك

وتذكري ماضيك فهو مجادةٌ

قد كان أستاذ الورى ماضيك

يا أم «هوجو» كلُّ شعر يرتجى

لو كان يلقى وحيُهُ من فيك

أشعلتِ مصباح الفنون فأشرقَتْ

بضيائه الأيام بعد حلوك

فيك الثقافة بالمجانة تلتقي

ماذا أقول وكل شيء فيك

يا كعبة الدنيا، ويا نادي الهوى

الآن كيف الحال في ناديك

أترى البلابل لا تزال صوادحًا

أم راعها الغربان في واديك

والغانيات؟ أفُزِّعَتْ أسرابها

وتفرق السُمَّار عن شاديك

طلعت عليك مع الصباح فوارسٌ

ومشى الغريم لحقه المتروك

طاحوا بقيدك في الهواء، وكم لهم

مِنَنٌ على المأسور والمملوك

وجنودك الأحرار تستبق الخطا

لتردَّ صفعَتها إلى غازيك

فتفرقَ الأعداءُ عنك بدائدًا

والطعن فوق قفاهم المصكوك

سبحان من لا حكم إلا حكمه

يُمضي إرادتَه بغير شريك

عودي إلى ظل السلام وأشرقي

كالشمس تعلو الأفق بعد دلوك

واستقبلي الدنيا جديدًا واعلمي

أن الأسى والحزن لا يجديك

قدرُ الإله إذا كرهتِ لقاءهُ

فلعل في عقباه ما يرضيك

****

علي محمود طه[1]

جزيرة العشاق[2]

ليالي الصيف في كَبْرِي[3]
أم الفتنة في البحرِ
وجِنِّيَّات بحر الرو
مِ أم دنيا من السحر
على شط من الأحلا
م والأنغام والزهر
تنفس جوه عطرًا
يفضضه سنا البدر
أريج البرتقال بهِ
ونفح العنب النضر

---

(۱) علي محمود طه (۱۳۱۹ - ۱۳٦۹هـ = ۱۹۰۲ - ۱۹٤۹م)، شاعر مصري كبير، وأحد أعلام الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث، وواحد من رواد جماعة أبوللو ومؤسسيها. سافر إلى أوروبا بعد صدور ديوانه الأول «الملاح التائه» عام ۱۹۳٤م لقضاء الصيف والسياحة، وكان لهذه الرحلة أثر كبير في شعره. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ۱٤/۱۹.

(۲) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه، ط دار العودة، بيروت ۱۹۸٦م: ص ۲۹۱-۲۹۲.

ذكريات رحلة في سبتمبر ۱۹۳۸م قضاها الشاعر بين بركان فيزوف وجزيرة كابري والجروتا المشهورة بإيطاليا.

(۳) كابري: جزيرة إيطالية ساحرة تقع في خليج نابولي.

أم الآلهة العشا

ق بين الموج والصخر

أهَلُّوا تحت أشرعةٍ

تقل عرائس الشعر

نشاوى الحسن والنورِ

وبعض النور كالخمر

تنهد حين أبصرَهُمْ

محبٌّ موغَرُ الصدر

أقام الدهر موتورًا

من الحرمان والهجر

بأنفاس تضيء الأفـ

ـق بركانية الجمر

قصدناه على الليلِ

وجزناه مع الفجر

فلم تغمض له عينٌ

تصيب النجم بالذعر

وبات الموج في فرٍّ

حواليه، وفي كر

فقالوا: قد دنا الموعـ

ـد أو آذن بالثأر

فعدنا مثلما جئنا

من العِبْر إلى العِبْر

ويممنا بجوف الصخـ

ـر دهليزًا من التبر

سرى زورقنا في ما
ئه الغافي سُرَى السِّرِّ

ترامى حولنا الأضوا
ء أطواقًا من الدر

فمن زُرقٍ، إلى صفرٍ،
إلى خضر، إلى حمر

كأن الشمس حين رأتْ
صباها أول الدهر

زهاها العُرْيُ فاستحيت
عيون الناس في البَر

فجاءته محجبةً
على تياره تسري

ونضَّت من غلائلها
وألقتها على الصخر

وخانت عينَها سنةٌ
فنامت، وهي لا تدري

****

لحن من فيينا[1]

ولأول مرة بعد الحرب الأخيرة، قدمت من فيينا فرقة موسيقية إلى ربوع سويسرا، أسمعتنا بمصاحبة مغنيتها البارعة، لحن الفالس الكبير، وقصص من غابة فيينا، ولحن الدانوب الأزرق، وزهرات من الشرق، بين مظاهر البهجة والتأثر:

فــي اهــتــزاز الــعــصــب الــثــا
ئــر والــــروح الــمُــعَــنَّــى
طــالــعَــتــهُ بــالــهــنــاء الــ
ــلــيــلــةُ الأولــى فــغــنَّــى
ورأى مــن حــولــه الأر
ض ســلامًــا فــتــمــنــى
لــيــس يــدري، أشــدا مــن
فــرَحٍ أم نــاح حــزنــا
قــالــت: مِــنْ أيِّ بــلادٍ؟
قــيــل: لحــنٌ مــن فــيــيــنــا

☆☆☆☆

يــا فــينّا سلسلي الأنــغــام سحــرًا
فــي حــنــايــا الــنــفــس لا جــوّ المــكــان
أوَ حــقًّــا أنــت ذي؟ أم أنــت ذكــرى
أم رؤى تمــرح فــي دنــيــا الأغــانــي؟

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص ٣٦٨-٣٦٩.

وبـــنــــانٌ هـــزت الأوتـــــار سـكـرى

أم شـفـاه لـمـسـتْ روح الـزمـان؟

☆☆☆☆

يـــا فـــيـــنّـــا جـــــددي الآ

ن مـــســـرات الـــلـــيـــالـــي

روحـــــك الـــراقـــص لـــم يحـ

ـــفـــل بــــــأرض وقـــتـــال

طـــريًـــا مـــا زال يـــشـــدو

بـــيـــن مـــوج وجـــبـــال

بـــأســـاطـــيـــرَ، وأحـــلا

مٍ، وفـــــنٍّ، وخـــيـــال

هـــو روح الـــنـــغـــم الـــهـــا

ئـــم فـــي دنـــيـــا الجـــمـــال

☆☆☆☆

يـــا فـــيـــنّـــا هـــل عـــلـــى غـا

بـــك لـــلـــشـــمـــل اجـــتـــمـــاعُ

أم عـــلـــى فـــجـــرك نـــاي

فـــيـــه لـــلـــراعـــي ابـــتـــداع

أم عـــلـــى أفـــقـــك مـــن نـو

ر الـــعـــشـــيـــات الْـــتـــمـــاع

أم عـــلـــى مـــائـــك تحـــت الـ

ـــلـــيـــل لـــلـــحـــب شـــراع

آه مـــن أمـــــسٍ! ومـــا جـــزْ

ـــــرَ عــلــى الـنــفــس الـــــوداع

☆☆☆☆

يـا فـينّـا أسـمـعـي الـدنـيـا وهـاتـي

قـصـة الـغـابـة والـفـلـس الـكـبـيـرِ

أيــن بـالـدانـوب شـدو الـذكـريـات

وصـــدى الـعـشـاق فـي الـلـيـل الأخـيـر

رحــلـــوا عــنـك بـأحـــلام الـحـيـاة

غـيـر قـلـب فـي يـد الـحــب أسـيـر

****

أغنية الجندول في كرنفال فينسيا[1]
«صيف ١٩٣٨م»

أيــن مــن عيـنـيّ هـاتـيـك المجـالـي

يـا عــروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـالِ

أيـــن عـشـاقـك ســمــار الـلـيـالـي

أيــن مــن واديـــك يــا مـهـد الجـمـال

مــوكـب الـغـيـد وعـيـد الـكـرنـفـال

وســرى الجـنـدول فـي عـرض القـنـال

بـين كـأسٍ يـتـشـهّى الـكـرْمُ خـمـرَهْ

وحـبـيـبٍ يـتـمـنـى الـكـأسُ ثـغـره

الـتـقـتْ عـيـنـي بـه أولَ مـره

فـعـرفـتُ الحــبَّ مــن أول نـظـره

أيــن مــن عـيـنـيّ هـاتـيـك المجـالـي

يـا عــروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال

☆☆☆☆

مـر بـي مُـسـتـضـحـكًـا فـي قـرب سـاقـي

يَمْــــزُجُ الـــرَّاح بـأقـداح رقــاقِ

قــد قـصـدنـاه عـلـى غـيـر اتـفـاقِ

فـنـظـرنـا، وابـتـسـمـنـا لـلـتـلاقـي

---

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص ١١٩-١٢٢.

وَفْـــو يستـهدي علـى المـفْـرقِ زهـرهْ

ويـــســــوّي بـيـد الـفـتـنـة شـعـره

حـين مسـت شـفـتـي أول قـطـره

خـلـتُـهُ ذوَّبَ فـي كـأسـيَ عطره

أيـن من عـينـيّ هـاتـيك المجـالـي

يـا عـروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال

☆☆☆☆

ذَهَـبـيُّ الـشَّـعـر، شَـرْقـيُّ الـسـماتِ

مـرِحُ الأعـطـاف، حـلـو الـلـفـتـاتِ

كـلـمـا قـلـت لـه: خـذ قـال: هـات

يـا حـبـيـب الـروح يـا أنـس الحـيـاة

أنـا مـن ضـيـع فـي الأوهـام عـمْـرَهْ

نـسـيَ الـتـاريـخ أو أُنـسـي ذكـره

غـيـر يـوم لـم يـعـد يـذكـر غـيـره

يـوم أن قـابـلـتـه أول مـره

أيـن مـن عـيـنـي هـاتـيك المجـالـي

يـا عـروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال

☆☆☆☆

قـال: مـن أيـن؟ وأصـغـى وَرَنَـا

قـلـت: مـن مـصـر، غـريـب هـهـنا

قـال: إن كـنـت غـريـبًـا فـأنـا

لـم تـكـن فـيـنـيـسـيـا لـي مـوطـنـا

أيـن مـنـي الآن أحـلامُ الـبـحـيـرهْ

وسـمـاء كـسَـتِ الـشـطـآنَ نَـضْـره

منزلي منها على قمة صخره
ذات عين من معين الماء ثره
أين من فارسوفيا[1] تلك المجالي
يا عروس البحر، يا حلم الخيال

☆☆☆☆

قلت، والنشوة تسري في لساني:
هاجت الذكرى، فأين الهرمانِ؟
أين وادي السحر صداح المغاني؟
أين ماء النيل؟ أين الضفتان؟
آه لو كنت معي نختال عبرَهْ
بشراع تسبح الأنجم إثره
حيث يروي الموج في أرخم نبره
حلْم ليل من ليالي كليوبتره
أين من عيني هاتيك المجالي
يا عروس البحر، يا حلم الخيال

☆☆☆☆

أيها الملاح قف بين الجسور
فتنة الدنيا وأحلام الدهور
صفق الموج لولدان وحور
يغرقون الليل في ينبوع نور
ما ترى الأغْيَدَ وضاء الأسره؟
دق بالساق وقد أسلم صدره
لمحب لف بالساعد خصره؟
ليت هذا الليل لا يُطلع فجرَه!

---

(١) فارسوفيا اسم يطلق على مدينة وارسو عاصمة بولندا.

أيـن مـن عـيـنـي هـاتـيـك المـجـالـي

يـا عـروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال

☆☆☆☆

رقـص الجـنـدول كـالـنـجـم الـوضـيِّ

فـاشْـدُ يـا مـلاح بـالـصـوت الـشـجـيِّ

وتـرنـم بـالـنـشـيـد الـوثـنـيِّ

هـذه الـلـيـلـة حـلـمُ الـعـبـقـريِّ

شـاعـت الـفـرحـة فـيـهـا والمـسـره

وجـلا الحـب عـلـى الـعـشـاق سـره

يـمـنـة مِـلْ بـي عـلـى المـاء ويُـسـره

إن لـلـجـنـدول تحـت الـلـيـل سـحـره

أيـن يـا فـيـنـيـسـيـا تـلـك المـجـالـي؟

أيـن عـشـاقـك سـمـار الـلـيـالـي؟

أيـن مـن عـيـنـي يـا مـهـد الجـمـال؟

مـوكـب الـغـيـد وعـيـد الـكـرنـفـال؟

يـا عـروس الـبـحـر، يـا حـلـم الخـيـال!!

****

مصرع الرُّبان[1]

قاهر الموت

يا قاهر الموت كم للنفس أسرارُ

ذل الحديد لها، واستَخْذَتِ النارُ

وأشفق البحر منها، وهو طاغيةٌ

عاتٍ على ضربات الصخر، جبار

حواكَ أحدوثةً مُثْلَى وتضحيةً

لم تحوها سيرٌ أو تروِ أخبارُ

رماك في جنبات اليم محتربٌ

خافي المقاتل عند الروع فرَّار

ترصَّدتك مراميه ولو وقعتْ

عليه عيناك لم تنقذه أقدار

يدبُّ في مسبح الحيتان منسربًا

والغور داج وصدرُ البحر موار

كدودة الأرض نور الشمس يقتلها

وكم بها قُتلت في الروض أزهار

هوى بك الفُلْك إلا هامةٌ رُفعتْ

لها من المجد إعظام وإكبار

---

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص ١٣٤-١٣٥. وهو ربان حاملة الطائرات (كارجيس) التي أغرقتها غواصة ألمانية في بداية الحرب العالمية الثانية.

واستقبل البحر صدرًا حين لامسهُ
كادت عليه جبال الموج تنهار
وغاب كل مشيد، غير قبعةٍ
ذكرى من الشرف العالي وتذكار
ألقيتُها، فتلقى الموج مَعقدها
كما تلقى جبين الفاتح الغار
ولو يرد زمان المعجزات بها
لانشق بحر لها، وارتد تيار
كأنها خطبة راعتْ مقاطعها
لها العوالم سمَّاع ونظَّار
تقول: لا كان لي رب ولا هتفتْ
بذكرِهِ الحرب، إن لم يؤخذ الثار
يا ابن البحار وليدًا في مسابحها
ويافعًا يؤثر الجُلَّى ويختار
ما عالم الماء؟ يا ربان، صفْهُ لنا
فما تحيط به في الوهم أفكار
وما حياة الفتى فيه؟ أتسليةٌ
وراحةٌ؟ أم فُجاءاتٌ وأخطار؟
إذا السفينة في أمواجه رقصتْ
على أهازيجَ غناهنَّ إعصار
وأشجتِ السحب موسيقاه، فاعتنقتْ
وأُسْدلت من خدور الشهب أستارُ
وأنت ترنو وراء الأفق مبتسمًا
كما رنا نازح لاحت له الدار

غرقان في حلمٍ عذب تسلسلهُ
من ذروة الليل أنواء وأمطار
يا عاشق البحر، حدِّثْ عن مفاتنهِ
كم في لياليه للعشاق أسمار؟
ما ليلة الصيف فيه؟ ما روايتها؟
فالصيف خمر، وألحان، وأشعار
إذا النسائم من آفاقه انحدرتْ
وضوّأت من كُوى الظلماء أنوار
وأقبلت عاريات من غلائلها
عرائس من بنات الجن أبكار
شغل الربابنة السارين من قدمٍ
تُجلى بهن عشيات وأسحار
يترعن كأسك من خمر معتقةٍ
البحر كهف لها، والدهر خمار
وأنت عنهن مشغول بجاريةٍ
كأن أجراسها في الأذن قيثار
صوت الحبيبة قد فاضت خوالجها
ورنحتها من الأشواق أسفار
وا لَهْفَ قلبِك لما اندكَّ شامخها
والنَّوْءُ مصطرع والموج هدار
بوغتَّ بالقدر المكتوب فانسرحت
عيناك تقرأ، والأمواج أسطار
نزلتما البحر قبرًا، حين ضمَّكما
رفَّت عليه من المرجان أشجار

نام الحبيبان في مثواه واتَّسدا

جنبا لجنب، فلا ذل ولا عار!!

☆☆☆☆

مصارعٌ للفدائيين يعشقها

مستقتلون وراء البحر أحرار

منيةٌ كحياة، كلما ذُكرت

تجددتْ لك في الأجيال أعمار

هيَ الفخار لشعب من خلائقه

خُلْقُ الرجال إذا هاجته أخطار

له البحار بما اجتازت شواطؤها

وما أجَنَّتْهُ خلجان وأغوار

رواقُ مَجْدٍ على جدرانه رُفعت

للخالدين أماثيل وآثار

دخلتُ من بابه، واجتزتُ ساحتَهُ

وسرتُ فيه على آثار من ساروا

يَتِيهُ باسمك في أقداسه نصبٌ

رخامُهُ الدهر، والتاريخ حفار

****

بحيرة كومو(١)

هَيِّئي الكأس والوترْ
تلك كومو مدى النظرْ

واصدحي يا خواطري
طُويتْ شُقَّة السفر

ودنت جنة المنى
وحلا عندها المقر

قد بُعثنا بها على
موعد غير منتظر

في مساء كأنَّهُ
حلُم الشيخ بالصغر

البحيرات والحبا
ل توشحن بالشجر

وتنقبن بالغما
م وأسفرن بالقمر

والبرونات غادةٌ
لبست حلة السهر

---

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص ١٤٤-١٤٧. وبحيرة كومو هي اجمل البحيرات الثلاث التي ينفرد بها إقليم اللمباردي الإيطالي وهي من اجمل مفاتن أوروبا التي تغنى بها الشعراء، وقد اهدى الشاعر هذه القصيدة إلى أديبة امريكية صحبته عند زيارة هذه البحيرة متنقلاً بين شواطئها ومدنها واروع جبالها المسمّى بالبرونات.

نثرت فوقها الديا
ر كما ينثر الزهَر

وعبرنا رحابها
فأشارت لمن عبر

هاكها قبلة، فمن
رام فليركب الخطر

فسموْنا لخدرها
زُمَرًا تلوها زمر

في زجاج محلِّقٍ
لا دخانٌ ولا شرر

يتخطى بنا الفضا
ء على السندس النضر

سلَّمٌ يشبه الصِّرا
ط تسامى على البصر

فإلى النجم مرتقًى
وإلى السحب منحدر

وحللنا بقمة
دونها قمة الفكر

بهج في كنوزها
للمحبين مدخر

بابل؟ أم بحيرة؟
أم قصور من الدرر؟

أم رؤى الخلد في الحيا
ة تمثلن للبشر؟

حبذا أمسياتها

وحنينًا إلى البكر

ونزوعًا إلى السفيـ

ـن تهيأن للسفر

نسيت شغلها القلو

ب وهلن للسمر

أوجهٌ مثلما رنتْ

زهرة الصيف للمطر

أُضْحِيانِيَّةُ السَّما

ت هلالية الطرر

يتوهجن بالشبا

ب ويندين بالخفر

طلعةٌ تسعد الشقيْ

يَ وتعطي له العمُر

تمنح الحظ من تشا

ء، وتُبقي، ولا تذر

إنما تنظر السما

ء إلى هذه الصور

لترى اللهَ خالقًا

مبدعًا، معجز الأثر

شاعر النيل طف بها

غنِّها كلُّ مبتكر

الثلاثون قد مضت

في التفاهاتِ والهذر

فتزودْ من النعيـ

ـم لأيامك الأخر

أين وادي النخيل أم

قاهريّاته الغرر؟

لا تقل أخصب الثرى

فهنا أورق الحجر

ههنا يشعر الجما

د ويوحي لمن شعر

آه لولا أحبةٌ

نزلوا شاطئ النهر

ورفات مطهر

وكريم من السير

لتمنيتُ شرفةً

ليَ في هذه الحُجر

أقطعُ العمر عندها

غير وانٍ عن النظر

فلقد فاز من رأى

ولقد عاش من ظفر

☆☆☆☆

يا ابنة العالم الجديـ

ـد صِلِي عالمًا غبر

في دمي من تُرَاثِهِ

نفحةُ البدو والحضر

وأغــانٍ لمــن شــدا
ومــعــانٍ لمــن فــخــر

مــا تُــسِــرِّيــنَ؟ أفــصــحــي!
إن فــي عــيــنــك الخــبــر

الــغــريــبــان هــهــنــا
لــيــس يــجــديــهــمــا الحــذر

نــحــن روحــان عــاصــفــا
ن وجــســمــان مــن ســقــر

فــاعــذري الــروح إن طــغــى
واعــذري الجــســم إن ثــأر

نــضــبــت خــمــر بــابــل
وهــوى الــكــأس وانــكــســر

وهــنــا كــرمــة الخــلــو
د فــطــوبــى لمــن عــصــر

فــيــم، والــنــبــع دافــق،
يــشــتــكــي الــظــامــئ الــصَّــدِر؟

ولمــن هــذه الــعــيــو
ن تَــغَــمَّــرن بــالحــور؟

بــتن يــلــعــبن بــالــنــهــى
لَــعِــبَ الــطــفــل بــالأُكــر

هــن أصــفــى مــن الــشُّــعــا
ع وأخــفــى مــن الــقــدر

ولمــن تــوشــك الــشُّــذَى
وثــبــة الــطــيــر فــي الــســحــر؟

كل إلف لإلفه

همٌّ بالصدر وابتدر

عض في الثوب واشتكى

وطأة الخز والوبر

سمة الطائر المعذْ

ذَب في قيده نقَر

ولمن رفت المبا

سم واسترسل الشعر؟

ثمر ناضج الجني

كيف لا نقطف الثمر

ما أبى الخلد آدم

أو غوى فيه أو عثر

زلة تورث الحجى

وتُري الله من كفر

كأسُنَا ضاحكُ الحبا

ب، مصفًّى من الكدر

فاسكبي الخمر وارشفيـ

ـه على رنة الوتر

وإذا شئت فاسقنيـ

ـه على نغمة المطر

فغدًا يذهب الشبا

ب وتبقى لنا الذكر

****

خمرة نهر الرين[1]

كـــنـــز أحـــلامِـــكَ يـــا شـا

عــــرُ فـــي هــــذا الـــمـكـــانِ

ســـحـــرُ أنـــغـــامـك طـــوّا

فٌ بـــهـــاتـــيـــك الـــمـغـــانـــي

فـــجـــر أيـــامـــك رَفَّـــا

فٌ عـــلـــى هــــذي الحـــانـــي

أيـــهـــا الـــشـــاعـــر، هـــذا الـــرْ

رَيْـــــنُ، فـــاصـــدح بـــالأغـــانـــي

☆☆☆☆

كـــل حـــي وجـــمـــاد هـــهـــنـــا

هـــاتـــف، يـــدعـــو الحـــبـيـب المحـسـنـا

يـــا أخـــا الـــروح، دعـــا الـــشـــوق بنا

فـاسـقـنـا مـن خـمـرة الـريـن، اسـقـنـا

☆☆☆☆

عـــالـــم الـــفـــتـــنـــة يـــا شـا

عـــر؟ أم دنـــيـــا الخـــيـــالِ؟

---

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص١٧١-١٧٢. نهر الرين من اشهر انهار أوروبا ينبع من سويسرا ويمر بين فرنسا والمانيا مخترقًا هولندا حتى مصبه في بحر الشمال، اهدى الشاعر قصيدته إلى صديقة سويسرية التقاها في ذلك الجو الساحر.

أمــــــــروج عــــلـــقـــتْ بــيــ

ـــن ســــحــــاب، وجـــبـــالِ؟

ضـــحـــكـــت بـــين قـــصـــور

كـــأســـاطـــيـــر الـــلـــيـــالـــي

هــــذه الجـــنـــة، فـــانــظـــر

أي ســـحـــر وجـــمـــال؟

☆☆☆☆

يـا حـبـيـب الـــروح يـا حـلـم الـسـنـا

هــــذه ســاعــتــنــا، قــم غـنـنـا

ســكــر الـــعـــشـــاق إلا أنــنــا

فـاسقـنـا مـن خـمـرة الـريـن، اسقنا

☆☆☆☆

لــيــلــة فـــوق ضـــفـــاف الـــرْ

رَيْـــن حـــلـــم الـــشـــعـــراء

ألـــيـــالـــي الـــشـــرق يـــا شـا

عـــر؟ أم عـــرس الـــســـمـــاء

الـــدجـــى ســـكـــران، والأنـــ

ــجـــم بـــعـــض الـــنـــدمـــاء

أنـــصـــت الـــغـــاب وأصـــغـــى الـنْـ

ـنَـــهـــر مـــن صـــخـــر ومـــاء

☆☆☆☆

فـــاســـمـــع الآن الـــبـــشـــيـــر المـعـلـنـا

حـــانـــت الـــلـــيـــلـــة، والـــفـــجـــر دنـا

فـامـلأ الأقـــداح مـن هــذا الجـنـى

واسـقـنـا مـن خـمـرة الـريـن، اسـقـنـا

☆☆☆☆

هــا هـــم الـــعـــشـــاق قـــد هـبْــ

ــبُــوا إلـــى الـــــوادي خـفـافـا

أقـــبـــلـــوا كـــالـــضـــوء أطـيـا

فًـــا وأحـــــلامًـــــا لـطـافـا

مـــــلأوا الـــشـــاطـــئ هـمـسًـا

والـــبـــســـاتـــين هـــتـــافـا

أيـــهـــا الـــشـــاعـــر! هـــذا الـــرْ

رَيْـــــن! فـــاســتـــوحِ الـضـفـافـا

☆☆☆☆

الـصـبـا، والحـسـن، والحـب هـنـا

يـــا حـبـيـبـي هـــذه الـدنـيـا لـنـا

فـامـلأ الـكـأس عـلـى شـدو المـنـى

واسـقـنـا مـن خـمـرة الـريـن، اسـقـنـا

☆☆☆☆

يـــا ابـــنـــة «الآر» حـــديـــث الـــ

أمـــس مـــا أعـــــذب ذكـــره

كـــان حـلـمًـا أن نـــرى الـريـــ

ـــن وأن نـــشـــرب خـــمـــره

وشـــربـــنـــا فـــســـكـــرنـــا،

وأفـــقـــنـــا بـــعـــد ســـكـــره

ووقفنا للوداع،

وافترقنا بعد نظره

☆☆☆☆

أين أنت الآن؟ أم أين أنا؟

ضربت أيدي الليالي بينا

غير صوت طاف كالحلم بنا:

اسقنا من خمرة الرين، اسقنا

****

ليلة عيد الميلاد[1]

اسمعي أيتها الرو
ح! أفي الكون غناءُ؟
وانظري.. هل في نواحي الـ
أرض بالليل ضياء؟
لا تراعي إن يكن قصْـ
ـصَر عنك البشراء
فالنواقيس التي حيْـ
ـيَتك أشجاها القضاء
الشجى رجع صداها
والأسى والبرحاء
والتراتيل من البيـ
ـعة نوح وبكاء
رددتهن الثكالى
واليتامى الشهداء
والمصابيح التي كا
ن بها يزهى المساء

(١) علي محمود طه، ديوان علي محمود طه: ص ٢٧٥-٢٧٧.

خنقتها قبضة الشـ
ـرِ فما فيها ذماء
صبغوها بسوادٍ
فهي والليل سواء
مأتم للنور قام الـ
ـويل فيه والشقاء
تحت ليل ما له بد
ء، ولا منه انتهاء
أيها المبعوث، لا ضنْـ
ـنَت برجعاك السماء
انظر الأرض.. فهل في الـ
أرض حبٌّ وإخاء
نسيَ القوم وصايا
ك وضلوا وأساءوا
وكما باعوك يا منـ
ـقذ بِيعَ الأبرياءُ
ليلة الميلاد، والدنـ
ـيا دموع ودماء
في ربوع كان فيها
لك بالسلم ازدهاء
باسمه يشدو المغنو
ن ويشدو الشعراء
أين ولَّتْ هذه الفر
حة؟ أم أين الصفاء؟

لـــم تـــصـــافـــحـــك مـــن الأطـــ
ـــفـــال أحــــــلام وضـــــاء
رقـــــــدوا غـــيـــر عـــيـــونٍ
ريــــــع مــــنــــهــــنَّ الــــفــــضــــاء
تـــرقـــب الآبـــــــاء، هـــل عـــا
دوا؟ وهــــل حـــــان الــلــقـــاء؟
بـــــين أيـــــــدي أمـــــهـــــاتٍ،
بـــــتن، والــــلــــيــــل جــفـــاء
فـــي طـــوايـــا الـــنـــفـــس يـبـكـيـ
ـــــن وقــــــد عــــز الـــرجـــاء
ويـــحـــهـــم أيــــــن تــــراهــــمْ،
هـــــــؤلاء الأشـــــقـــــيـــــاء؟
هــــم وراء الــلــيــل أجــســا
دٌ وأرواح هـــبـــاء
ووجــــــــوه رســــــم الـــرعـــ
ـــب عــلــيــهـــا مـــــا يــشـــاء
خـــنـــدقـــوا فـــي مـــــأزق المـــو
ت ومـــــا مــــنـــــه نجـــاء
بـــــين مــــــوج مـــــن سـعـيـرٍ
يـــــتـــــوَقَّـــــاه الـــفـــنـــاء
وجـــبـــال مـــــن ركـــــام الـــثْـ
ـــثَـــلـــج يـــرســـيـــهـــا الـــشـــتـــاء
وحــــــديـــــدٌ طـــــائـــــر يـــحــ
ـــــذر مـــســــراه الـــهـــواء

وعجيبٌ فيم للمو
ت يساق التعساء؟

في سبيل الخبزِ؟ والخبـ
ـزُ اكتساب ورضاء

في سبيل الحق؟ والحقْـ
ـقُ لدى القوم طلاء

في سبيل المجد؟ والمجـ
ـد من البغي براء

أوَ في المجزرة الكبـ
ـرى تنال المجد شاء؟

كذب الباغي وللسيـ
ـف بكفَّيْهِ مضاء

وخداعٌ كل ما قا
ل، وزور وافتراء

أيها الشرق الذي خضـ
ـضَتْهُ بالروح السماء

هذه الروح التي شِيـ
ـد بكفيها البناء

والتي من نورها العا
لَمُ يُجلَى ويضاء

يا أبا الحكمة، لا ها
ن عليك الحكماء

نادِ أوربا فقد ينـ
ـفعها منك النداء
حانت الساعة يا أخـ
ـتاه أم حق الجزاء؟
دنت بالقوة حتى
صرعتك الكبرياء
ارقصي في النار، أنت الـ
ـيوم للنار غذاء
واشربي في حانة الشيـ
ـطان ما فاض الإناء
حانة للموت فيها
من دم القتلى انتشاء
نادمي من شئت فيها،
فالمنايا الندماء
وارفعي الكأس وغني
وعلى الدنيا العفاء؟

☆☆☆☆

يا قويًّا لم يهن يو
مًا عليه الضعفاء
وضعيفًا واسمه يَفـ
ـزع منه الأقوياء
وأنا المسلم لا يَجـ
ـحد عندي الأنبياء

أنت في القرآن حبٌّ

وجمال ونقاء

عجبٌ فِدْيَتُكَ المثـ

ـلى وفي القول عزاء!

ألهذا العالم الشرْ

ريرِ؟ قد ضاع الفداء!

****

محنة باريس[1]

سألوني عن بياني وقصيدي
أسفًا.. باريس! قد مات نشيدي
شهد الحب ذَكَرْنَاك ولمْ
أنس نجواك ولم أخفر عهودي
أنا لا أنسى لياليَّ على
روضك الرفاف بالزهر النضيدِ
ثمر الفكر ومجني نورهِ
ومراح العين والقلب العميد
خطرة عابرة عدت بها
عودة الغواص بالدر الفريد
فاعذري المزهر في كفي إذا
أخرستْهُ ضجة الرزء الشديد
يوم قالوا جلل القيد يدًا
حطمتْ بالأمس أصفاد العبيد
حملتْ مشعل حرياتهمْ
في شراة من شباب المجد صيد
كيف يا باريس بالله هوى
ذلك النجم من الأفق البعيد؟

(1) علي محمود طه، مجلة الرسالة، عدد ٣٦٩، تاريخ ١٩٤٠/٧/٢٩م: ص ١٢٢٢.

إن ينل منك المغيرون فما

فتحوا غير تخوم وحدود

لست بنيانًا، ولا أرضًا، ولا

غاب آساد، ولا جنة غيد

أنت معنى عالم الفكر بهِ

يتحدى قبضة الباغي المريد

كعبة الأحرار هذي محنةٌ

راعت الأحرار في أكرم عيد

صرع النور به وانحسرتْ

جبهة الشمس عن النور الشهيد

وأتى الليل، ومن أهوالهِ

أن تُرى بين ظلام وقيود

أين من فرساي[1] أفقٌ ضاحكٌ

مشرق عن أمل الشعب السعيد

وعلى كل طريق موكبٌ

صادح الأبواق خفاق البنود

لكأني اليوم ألقى مأتمًا

وأرى الكنكرد[2] كالقبر الحريد

حال شدو الماء في أحواضهِ

نفثة الغرقى ببحر من صديد

وقفت مصر به صامتةً

تتقرى الغيب، طلَّسْمَ الوجود

غلبَتْها حكمة الدهر ولوْ

نطقَتْ لم تأتِ بالمعنى الرديد

---

(١) قصر فرساي العظيم من اشهر القصور الملكية في اوروبا.

(٢) ميدان الكونكورد المشهور بباريس.

ساحة الباستيل[1] حان الملتقى
وتعالت صرخة الفجر الوليد
أين أبطالك؟ ماذا أترى
ضرب الليل عليهم بالوصيد؟
أغمدوا أسيافهم؟ وَيْحَ وما
عَوَّدوا أسيافهم حبس الغمود
ويحهم قد شيعوا أعيادهمْ
بين عصف النار أو قصف الحديد
فوق أرض صُبغت من دمِهمْ
وتحدثْ كل جبار عنيد
فوق أحجارك صرعى أمسِهمْ
فلذات كتبت سفر الخلود
فاذكريهم بالذي مر بهِمْ
واقرئي تاريخهم، ثم أعيدي

☆☆☆☆

أيها العائد من غاراته
راقدًا تحت قباب (الأنفليد)[2]
تلك راياتك، فانظر أترى
من سيوف تحتها أو من جنود؟
أين من برلين أو آفاقها
جيشك الظافر بالحشد البديد
تطأ الأرض إلى مشرقها
موغلًا في أثر الدب الشريد

(١) الباستيل: السجن الفرنسي المشهور الذي اصبح هدمه من ابرز إنجازات الثورة الفرنسية.
(٢) الأنفليد: قبر نابليون.

لفرنسا همة لا تنثني
أمشت في النار أم تحت الجليد
بالقليل الجمع من أبنائها
تنزع النصر من الجمع العديد
أمم ترسف في أحقادها
دِنْتَها بالصفح والصنع الحميد
لم تسيِّر فوقَها دبابة
أو تباغتها بطير من حديد
يقتل الولدان والشيب ولا
يرحم المرضى وربات المهود
شرف الحرب كما لُقِّنْتَهُ
ملتقى سيفين في ظل البنود
فاعذر اليوم فرنسا إنها
وثقت بالعهد في دنيا الجحود
قرعت للنصر كأسًا ويحها
صَرَعَتْها خمرةُ النصر التليد
رقدت عن غدها وانتبهتْ
حيث لا ينفع صحو من رقود
أسفرت سِدّان[1] عن مأساتها
وتهاوى حجر الحصن المشيد
ثغرة أُنْفِذ منها خنجرٌ
قد تلقته على حز الوريد

---

(١) مدينة سِدْان: انهزم جيش نابليون الثالث في ساحاتها وانهارت إمبراطوريته وقامت الجمهورية الثالثة. وهزم فيها الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية وانهارت الجمهورية الرابعة.

شـهـد الـمـجـد لـهـا بـاسـلـةً
خضبت بالدم من نحر وجيد
فـابـعـث الـعـزة من تاريخها
وتـألـق بـسـنـاه من جديد
واطـلَـعِ اليوم عليها سيرة
وَكُـنِ الشاعر واهتف بالقصيد
... أيـها الـفـاتح لا يـغـررك ما
سِـرْتَ فيه من حصون وسدود
لـك فـيَّ الـعـبـرة المثلى فلا
تـأمـن الـزلـة فـي أوج الصعود
☆☆☆☆
ربـة الـنـور سـلامًـا كـلـما
هـتـف الـشـعـر بماضيك المجيد
لـك فـي كـل خـيـال صـورةٌ
بـرئـت من وصمة العصر الجديد
غـيـر ذكـرى يـرجـع الفكر بها
لـلـيـال من عصور الظلم سُود
لـهـف نفسي لدمشق وَلِـمَـنْ
خـرَّ فيها من جريح وشهيد
من شـواظ يـقـذف الموت على
رُكَّـعٍ في ساحة الله سجود
فـأنـا الـشـرقي لا أنسى الذي
حـاق من حكمك بالشرق العتيد
المـسـاواة الـتي أعلنتِها
أعـلـنَـتْـهُ بـنـذير ووعيد

والإخــــاء الحــر مــا كــان ســوى

مــدفــعٌ يــرمــي بمُـــــرْدٍ ومـبـيـد

وطـنــي الــروحــي، إن أغــضَــبْ لــهُ

فــلآبــــاء كــــــرام وجــــــدود

وتـــــراث خـــالــــد مـــن أدبٍ

أنــا فــاديــه بــروحــي ووجـــودي

كــفــرَتْ ثــورتُــك الــكــبــرى بــهِ

وهـــو المحـــســن يُــجْــزَى بــالــكــنــود

ســـار بـــالإســـلام نـــورًا، وهـــدى

بـسـنـا عـيـسى خطى الحـق الـطـريـد

الـــنـــبـــيـــون هـــمـــو ثــــوارهُ

حـامـلـو الـشـعـلـة، أعـــداء الـقـيـود

فـــخـــذي بـــالحـــق والــــروح الـــذي

هـــز بـــالـــثـــورة أركــــان الـــوجـــود

وابــعــثــيــهــا ثـــورة أخــــرى فــمــا

يــعــرف الأحـــرار مــعــنــى لــلــجــمــود

****

عزيز فهمي[1]

أيا جارة السين[2]

هـوى الـنسرُ[3] وارتــدّتْ إلـيه مـخالبُهْ
وضـاقـت بـه الأجـواء إذ هـيض جـانبه

تــرنَّــحَ مــطـويَّ الجـنــاحـين قـابضًـا
مـن الـذعـر أنـفـاسًـا دِرَاكًـــا تجاذبه

تــأمـلْ! فـهـذا الـنـضـو أشــلاء كـاسرٍ
تحـدى بـسـاط الـريـح والـسـحـب واثبه

رأى (الـريـن) أدنـى مـن مـسـارح طرفهِ
وأيـــســـر ممـــا تـشـتـهـيـه رغـائـبـه

فـخـف إلــى (الـســين) الـقـريـب كـدأبـهِ
وهــيــهــات أن تــقــضــى بــريٌّ مــآربـه

وطــار إلــى (المـانـش) الـبـعـيـد مـخـلفًا
علـى (الـتـبـر) أجـنــادًا وحـلـفًـا يراقبه

---

(١) عزيز فهمي (١٣٢٧ - ١٣٧٢ هـ = ١٩٠٩ - ١٩٥٢ م)؛ شاعر مصري حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٣١م؛ ثم سافر إلى فرنسا وحصل على الدكتوراة في القانون من جامعة السوربون عام ١٩٣٨م. اشتغل بالمحاماة وكان عضوًا بحزب الوفد وعضوًا بمجلس النواب. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٣/ ٩٤.

(٢) عزيز فهمي، ديوانه، ط دار المعارف، القاهرة ١٩٥٢م: ص٩٠ - ٩٣.

(٣) إشارة إلى شعار ألمانيا في عهد هتلر.

وود لو اجتاح الشمال مجازفًا
إلى القطب أو يعنو الشمال وصاحبه
وأوغل في روسيا وروع دبُّها
فما راعه إلا هزيرٌ يغالبه
وطوَّفَ حتى شارف النيل لاهثًا
ولولا عيون الله حلت مصائبه
ولو عبَّ أمواه المجرة ما ارتوى
وأنى له الإشباع والداء كالبه!
أدل على السامي بجنس وسحنةٍ
ولم ير في الآريِّ جنسًا يقاربه
ولم أر كالنسر اعتزازًا بجنسهِ
وإن كنت لا أدري لماذا أعاتبه
فخرنا بميراثٍ وفضلِ حضارةٍ
وباهى بجيش لا تفل قواضبه
فيا ليت شعري كيف بات مجندلا
وكيف أصابت مقلتيه مضاربه
وسبحان من لو شاء راش جناحَهُ
ولو شاء جاب الشرق والغرب جانبه
وسبحان من أملى وأرداه عاثرًا
ولو شاء ما أعيت عليه مذاهبه

☆☆☆☆

وقائع أيام شهدت صروفها
نزيلًا بغاب قد تجاسر غاصبه
أباحت له الأقدار يومًا عرينَهُ
بليل بهيم أبطأته ثواقبه

فإن أنس لن أنسى حياتي جحفلا
تهجم كالمحموم والجوع كاربه
رأيت بعيني ما يُكذِّبُ خاطري
كأني أرى وحشًا تدلت غباغبه
فلم يبقَ في باريس إلا مشتتٌ
يبيت على الغبراء والليل ناكبه
ولم يبق إلا جائع جف حلقهُ
وآخر تبدو من نحول ترائبه
أرامل يرصدن السماء على الطوى
ويرعشن في ليل توالت سحائبه
إذا هن أرضعن الوليد تحلبتْ
من الثدي أمشاج وبات يداعبه
عصارة جسم شفه الجوع والضنى
وسؤر ومما قد يلين حلائبه
وما راعني إلا نحيب يتيمةٍ
تصيح: أبي ويلاه! والدم خاضبه
يمد إليها ساعدين تعودا
حمايتها والجرح ينزف ساكبه
عشية طافوا فيلقًا بعد فليقٍ
بساحة قوس النصر والذل ضاربه
ورف على قوس الشهيد صليهم
يشير إلى نصر... وهذي كتائبه
وضج شهيد في ثراه مغيبٌ
ومادت بقبر «الأنفليد» جوانبه

كـأنـي بـنـابـلـيـون يـصـعـق سـمـعَـهُ
زئـيـر شـهـيـد والـشـهـيـد مـعـاتـبـه

هـو الـفـاتـح الـغـازي وشـعـبـك حـاشـدٌ
يـزمـجـر مـن غـيـظ ويـغـضـي مـحـاربـه

فـلـلـه يـوم جـل عـن وصـف نـاظـرٍ
وقـصَّـر شـعـري والـبـيـان وطـالـبـه

وبـشـراك يـا بـاريـس بـشـرى مـهـنئ
يـشـاطـرُك الأفـراحَ والـشـوقُ غـالـبـه

يـزف عـذارى الـشـعـر مـا دف مـوكـبٌ
بـعـرس ومـا حـنـت إلـيـك ركـائـبـه

أهـنِّـيـك والـجـار الـشـقـيـق مـصـافـحٌ
ورُب غـريـمٍ عـاد خِـلًّا وصـاحـبـه

عـتـبـت وجـاري مـنـك أولـى بـشـفـعـةٍ
ومـن عـاتـب الـمـحـبـوب راح يـغـاضـبـه

☆☆☆☆

أيـا جـارة الـسـين ادَّكـرت شـبـيـبـتـي
وشـبَّـه لـي أمـسـى فـجـئـت أخـاطـبـه

وأيـكًـا نَـعـمْـنَـا حـول وارف ظـلـهِ
زمـانًـا ولا عـيـنٌ هـنـاك تـشـاغـبـه

ويـوم تـلاقـيـنـا عـلـى غـيـر مـوعـدٍ
بـبـولـون فـي لـيـل تـهـاوى كـواكـبـه

ومـنـا نـشـاوى مـن رحـيـق مـراشـفٍ
يـنـاويـنـي كـأسًـا وكـأسًـا أنـاويـه

فـيـا أيـهـا الـطـيـف الـحـديـد ألا اتـئـذ
مـكـانـك لا تـبـرح فـإنـي مـجـاويـه

أعـنـدك أن الـشـوق جـاوز حـدَّهُ
فـعـاد جـحـيمًا لا تـطـاق نـوائـبـه

حـنـانـك لا تـبـرح مـكـانـك واتـئـد
فـعـنـدك قـلـبـي والـشـبـاب وسـالـبـه

أعـيـدُكِ يـا بـاريـس أم عـيـد عـالـمٍ
يـلـوح لـه فـجـر تـلـوح عـواقـبـه

ذكـرنـا بـهـذا الـنـور فـجـرًا مـمـاثـلا
تـبـلـج فـي كـون تمـوج غـيـاهـبـه

ذكـرنـا بـه الـبـاسـتـيل يـوم حـطـمـتِهِ
فـدك مـن الـظـلـم الأسـاس ونـاصـبـه

وكـنـت مـنـارًا لـلـشـعـوب وهـاديًـا
أمـيـنًـا تجـوب الـعـالـمـين جـوانـبـه

فـكـيـف أديـل المـلـك وانـهـار ركـنـهِ
ونـاحـت عـلـى الـصـرح الأشـم نـوادبـه

سلي (الدوتش)[1] عن روما وأطراف ملكها
وهـل قـضـيـت (لـلـدوتـش) فـيـك مـطـالـبـه

قـصـاص مـن الأقـدار حـل بـغـادرٍ
وبـئـس مـصـيـر طـل بـالـغـدر كـاسـبـه

أَعـيـدك هـذا أم بـشـيـر وفـرحـةٌ
وفـجـر عـلـى الـدنـيـا تـطـل مـواكـبـه؟

****

(١) الدوتش لقب موسوليني طاغية إيطاليا إبان الحرب العالمية الثانية.

فتح برلين[1]

تنفس الصبح إذ لاحت بـــوادرُهُ
ووَدع الليل بعد السهد ساهـرُهُ
جــلاه فــي غلس الأســحــار كوكبـهُ
لما انجلى الليل وانجابت دياجره
أنـــاف بــين دخـــان كـــان منعقدًا
علـى ظـــلام كـــأن الحشـر آخـره
شخصت فارتدَّ طرفي عنه من وهجٍ
وجـــدد الوجد مـا أذكـت بشائره
ليس المجوس على شيء وقد كفروا
فهل درى الكفر من منا معاصره
لم تُعبد النـارُ إلا فـي هياكلنا
ولا الحديد الذي تغلي مجامره

☆☆☆☆

أهــلٌ لله عند الفجر نــاظـرُهُ
وغض جفنيه لما شــاع باهره
تلك الدماء تـــراءى لونها شفقًا
تأمل الأفــق وانظر ما يخامره!

---

(١) عزيز فهمي، ديوانه: ص١١٥ – ١٧٧.

أســـال هـــذا الـــبـــادي عـلـى فـلـقٍ

فـي حـمـرة الأفــق لـمـا فــاض زاخـــره؟

أم غـاض فـانـعـكـست حُـمـرًا سبائكهُ

ونم عما بجوف الأرض ظاهره!

أصـابـهـا وابـــلٌ عــزريـل صـوَّبَــهُ

فـهـل رواهـــا نـجـيـع جـف بـاكـره؟

وهـــل تـــرامـــى إلـــى الأثـبـــاج صـيـبـهُ

فـــذاب فـــي شـفـق الآفـــاق مـائـره؟

☆☆☆☆

سـبـحـان مـن يـرث الـدنـيـا وأهـلـهـا

جـرى الـقـضـاء بـمـا أمـلـت مـقـادره

دوى مـن الـغـرب نـاقـوسٌ يـجـلـجـلـهُ

وهـــلَّـــل الـشـرق واهـــتـزت مـنـابـره

تـــداول الـــقـــدَرُ الأيـــنـام واخـتـلـفـتْ

عـلـى الـعـبـاد كـمـا شـــاءت دوائـــره

وإنـمـــا نــحــن والأقـــــدار ســـاخـــرةٌ

عـلـى شـفـا جُـــرُفٍ هــــارٍ نـجـــاوره

لـيـس الـشـجـاع وإن أبـلـى عـلـى أمـلٍ

حـتـى يـتـــاح لـــه حـــظ يـضـافـره

صـحـا مـن الـحـلـم نـشـوانٌ ومـنـتـصـرٌ

وعـــز بـعـد بـســـاط الـــراح نـاصـره

لـم يـدر مـن نـبـش الـغـبـراء ســاعـدُهُ

أي الـمـقـابـر خـطَّـتـهـا أظـافـره

عصى الأسير ولم تقبل شفاعتهُ

وآب بالقيد بعد الأسر آسره

☆☆☆☆

جن أغاروا على (البلجيك) واندفعوا

كالسيل ينسف ما يلقاه غامره

سرعان ما جرف (الألزاس) زاحفهُ

إلى الشمال وعبر (المانش) قاهره[1]

فارتد كالبرق طوفانًا وصاعقةً

وصب في الشرق ما ضبت زواخره

أدال ربك من ملك أحاق بهمْ

منه العذاب ولم تسلم حواضره

هم أضرموها وشنوها عشوزنةً

لم يدر مُضرِمُها ماذا يخاطره

في كل حاضرة قبر لحاضرهمْ

وكل مقبرة فيها مقابره

أين الأسود الضواري؟ أين غيلهُمُ؟

هذا العرين... فهل زالت قساوره؟

وأين برلين هل عفَّت معالمها

صواعق الجو أصلتها أعاصره؟

أم زلزلت ومحت آثارها سقرٌ

يحمومها الليل لولا ما يساوره

---

(١) الألزاس إقليم شرق فرنسا عاصمته ستراسبورج، كانت تاريخيًا محل نزاع مع ألمانيا والمانش، كما يسميه الفرنسيون، أو القناة الإنجليزية كما يسميها البريطانيون جزء من المحيط الأطلسي يربطه ببحر الشمال ويفصل بين إنجلترا وفرنسا.

فالشهب طالعة فيها إذا استعرتْ

والليل منهتك لولا ستائره

والخيل صافنة شُلَّتْ حوافرها

على أديم من الأشلاء سائره

حارت أتحجم والإقدام يمنعها

وكيف تسبح في سيل تحاذره؟

مال الرغام بأطلال يحركها

دم يفيض من الأشلاء هامره

لم يغن (سيجفريد)[1] عنها يوم نكبتها

ولا حماهم من النيران ساتره

كأنما جيفُ القتلى ودائرها

بحر يموج وما يطفو مواخره

هزيمة غَشِيَتْهُمْ في معاقلهم

فانهار (سيجفريد) واندكت مخافره

وأين ملكٌ عريضٌ عزٌ جانبُهُ

لو شاء ربك ما طارت عساكره

طاروا شعاعًا وزالوا عن كتائبهمْ

كما تطاير عن عهن غفائره

☆☆☆☆

نعاك (برلين) برق جل موقعُهُ

في العالمين ولم تشفق مصادره

وخفف الحزن عنا ما يحققُهُ

نصر الحليف وما زلنا نؤازره

---

(١) سيجفريد: خط دفاع حصين انشاه الألمان ضمن خط هيندينبرج ما بين عامي ١٩١٦ و١٩١٧م ليحمي حدودهم الغربية، وهو يحمل اسم أحد الأبطال الأسطوريين في الأدب الألماني، وقد نجحت قوات الحلفاء في اختراقه أواخر الحرب العالمية الثانية ١٩٤٤، ١٩٤٥م.

أمانة حملتْها مصرُ راضيةً

والسيف منصلتٌ والموت شاهره

لولا العناية لم تسلم عواقبها

والفأل نحس على الحلفين طائره

☆☆☆☆

يا عصبة الحلف ماذا في كنانتكمْ

من الذبيح ومن في السلم ناحره؟

أوردتموه سرابًا من سلافتكمْ

فعله الوهم من وهم يحاوره

وزدتموها نواة من موائدكمْ

على خوانٍ قد ازدانت مظاهره

اليوم تقضون إن عدلًا وإن سفهًا

والسيف أعدل في الحالين آمره

قاضي القضاة إذا أفتى بحجتهِ

الحق في الغمد إما صال عاذره

وليس ينهض ملك لا يؤيدهُ

حَقٌّ وإن حميت حينًا بواتره

****

أحمد زكي أبوشادي[1]

وطن الضباب[2]
(إنجلترا)

عدُوكِ دار الضبابِ
ولذتي في ضبابِكْ

قد كان شبه سياجٍ
إلا لدى أصحابك

ما ضاق صدريَ منهُ
بل ضاق بعد احتجابك

وكنتُ في الأسر حرًّا
والآن رهنٌ ببابك

من عاب لم يدر معنى
علاك أو آدابك

---

(١) أحمد زكي أبوشادي (١٣١٠ - ١٣٧٥هـ = ١٨٩٢ - ١٩٥٥م)، شاعر وطبيب مصري مشهور، سافر إلى إنجلترا لإتمام دراسته في الطب، و أسس بعد عودته جماعة أبوللو الشعرية وكان وكيلًا لها تحت رئاسة شرفية لشوقي ومن بعده مطران. وضمت الجماعة تحت لوائها شعراء الرومانسية العرب في العصر الحديث، وأصدرت مجلتها الذائعة التي حملت اسمها «أبوللو» وأشرف عليها أبوشادي. هاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٦م. وأقام بنيويورك حتى وفاته. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٢/٦١٣.

(٢) أحمد زكي أبوشادي، الأعمال الشعرية الكاملة، ط دار العودة، بيروت ٢٠٠٥: ١١٢- ١١٣.

الحسن فيك عزيزٌ
متوج بهضابك
والمجد فيك أصيلٌ
في الناس مثل ترابك
بناك خلق أبيٌّ
يصون سحر شبابك
فكان عيشي صلاةً
لديك في محرابك
و (التمز) ديوان شِعْرٍ
مخضب بخضابك
والريف مرآة طهرٍ
ممثل في كعابك
يروي النفوس حبورًا
كَريِّهِ من سحابك
والغرس فيك شموخٌ
أليس من أحبابك؟
وكل ما فيك حي
لأنه من كتابك
من مبدلي شمس (مصرٍ)
بنفحة من ضبابك؟!

****

بلاسكو إيبانز[1]

(١٨٦٧هـ - ١٩٢٨م)[2]

(بلاسكو)! تموت اليوم في النفي بينما
تعيش بدنيا قد مَلَكْتَ وأوطان
وترثيك آلاف العقول التي نمتْ
بنورك في ليل من الخوف لهفان
ويسكن هذا الصدر بعد اعتيادهِ
طليق الهواء الصفو في قرب غدران
عنت رئتاك اليوم للموت بعد ما
تعوَّدَتَا حريةً دون إيذان
فيا أسفي للحر يمضي كعبدهِ
ويا ألم العقبان في موت غربان
وإن كان في موت العظيم مهابةٌ
يحس بها النائي ويلمحها الراني
ويذهل في تكييفها كل باحثٍ
ذهول جبان عند وثبة طعان
تموت ممات الخلد وهْو خرافةٌ
وحق، كأن الخلد والموت سيان

(١) احمد زكي أبوشادي، الأعمال الشعرية الكاملة: ص١١٥ - ١١٧.

(٢) بلاسكو إيبانز: اديب عالمي فر من وطنه إسبانيا هربًا من الاضطهاد بسبب دعوته إلى الجمهورية، ومات في الريفيرا بفرنسا متاثرًا بالتهاب رئوي مفاجئ.

تهز نفوس العابدين جلالةً

لحكمتك الكبرى بحيرة إيمان

كأن لم تكن بالأمس أنت عزاءهمْ

ومبعثَ همٍّ للتجدد في آن

وواصفَ دنياهم بخبرة سائحٍ

وواصف أخراهم بدقة فنان

و (بالمثل الأعلى) فتنتَ، وزدتَهم

من الفن فتانًا يضيء لفتان

فلا بدْعَ إن ريعَتْ قلوبٌ ذكيةٌ

ولا عجب في لوعة جنب ذكران

مماتك إصغار الهوان لعالمٍ

من الفكر قد لاقى الوجود بعصيان

فمثلك ترثيه البرية، إذ ترى

مَنِيَّتَهُ للعالمين كعنوان

وترثي به آلامها ورجاءها

وأجرأ إنسان، وأرحم إنسان

وما مدمعي هذا سوى قطرة جَرَتْ

إلى سيل إشفاق، إلى بحر أشجان

وأنت لهذا الكون تعزى، فواجبي

وفاء لمن بالفكر يرفع من شاني

بكل ربوع الفكر قامت مناحة

وإن حجبت، فاقبلْ لواعج عرفاني

☆☆☆☆

كبير العلى! ما قيمة العمر والعلى

سوى في وفاء الكون من مصلحٍ بان

وأنـتَ مـنـحـتَ الـكـون أضـعـافَ مـنـحـهُ
جـنـانـك، حـتـى كـنـت أكـبـر جـنَّـان
وبـرهـنـت بـرهـان الـنـبـوغ مـوفـقًـا
بـأنـك مـن يـأبـى الـحـيـاة كـإحـسـان!
فـوفـيـت ديـنـا ثـم زدت، فـهـل لـنـا
بـأن نـسـأل الـدنـيـا الـوفـاء بـحـسـبـان؟
أم الـنـبـل أن نـرقـى بـرتـبـة نـوعِـنـا
ونَـتْـبـعَ هـذا الـرشـد مـنـك كـفـرقـان؟
شـخـوصٌ بـلا حـصـر وصـفـتَ مـحـلـلا
كـأنـك رسـامٌ لـمـقـبـل أزمـان
لـتـنـتـفـع الأقـدار مـن وصـفـك الـذي
بـه الـدرس والـتـبـيـان مـعـجـز إتـقـان
وتـقـتـبـس الأجـيـال مـن عـلـمـك الـذي
تـنـوع تـطـبـيـقًـا لـرفـعـة وجـدان
ولـو كـنـت خـلَّاقًـا بـدنـيـا جـديـدةٍ
لـكـنـتَ بـهـذا الـعـلـم خـالـقَـهـا الـثـانـي!

☆☆☆☆

نـشـأت بـحـكـم الـعـسـف حـرًّا شـعـارهُ
إخـاء وتـحـريـر لـفـكـر وعـبـدان
فـأصـلـيـت مـن خـاصـمـتـه الـنـار ثـائـرًا
بـمـنـطـقـك الـمـتـبـوع مـن حـب شـبـان
وكـنـتـم شـفـاء لـلـجـروح، وكـنـتـمـو
عـلـى الـظـلـم مـدحـورًا قـذائـف بـركـان

ولكن رماد النار يُنْسى، وهكذا

نسيتم، فأصليتم مجدد نيران

وذقتم من السجن الوبيل مصائبًا

وأسرًا وتحقيرًا، كزمرة جرذان

عناء به أثبتَّ حقك في العلا

فما دانت العلياء يومًا لغفلان

وصرتَ وصحبٌ ناصروك أعزةً

لشعب رأى التكريم أجدر بالعاني

تجشمت أهوالًا، فما دنت مرةً

لظلم، ولا كنت المذبذب والواني

نشأت العصي الذمر منذ حداثةٍ

ترى العار عيش الجبن في ظل طغيان

ترى الطوع للإصلاح والعلم عندما

يصون أماني الناس من خبث شيطان

قضيتَ الشباب الصفو ظمآن ثائرًا

ومتَّ ولم تهدأ بحرقة ظمآن

وكان اليراع الحر لَهْذَمَ فاتحٍ

وصمصامةَ الساعي إلى الخطر القاني

جريح، ولكنْ صبرُهُ جنةٌ لهُ

تُدَرِّعُهُ، والجرحُ شارةُ فرسانِ

وما رتَلُ الأزهار أشهى لفاتح

وأغلى من الآلام في رفع بنيان

كَفَتْكَ غنًى في النفس أو عزةً لها

فإن الغنى أن لا تَجِنَّ لغنيان

وقد كنت تاجًا للقناعة في الغنى

وأحسب هذا التاج زينة تيجان

وكنت أميرًا في الصحافة فاغتدتْ

بسلطتها تعلو على كل سلطان

تهز العتيَّ الظلمَ وهْو مُدَرَّعٌ

وتهدي إلى الألباب طاقة بستاني

****

رثاء هندنبرج[1]

يا شهيدًا في (تِنِنْبِرجَ)[2] أفاء:

هكذا المجدُ ووحْيُ الشهداء!

عشتَ للشعب ومتَّ المرتجى

باذلَ النفس شعاعًا ومَضَاء

ليس من يمضي شهيدًا في الوغى

فوق من يمضي شهيدًا في البناء

ليس من يحفظ حق الأقوياء:

مثل من يرجع حق الضعفاء:

نم هنيئًا! ذاك حق نلته

بالخطير النصر بدءًا وانتهاء

واسع الحيلة منقضًّا بها

فإذا الباغي هباءٌ في هباء

نم هنيئا إن يك الموت وغًى

فخلود الذكر حرب للفناء

نم بترب ناضر قَدَّسْتَهُ

بالضحايا البسلاء السعداء

---

(١) احمد زكي ابوشادي، الأعمال الشعرية الكاملة: ص٤٧٥ – ٤٧٧. (عندما توفي زعيم الأمة الألمانية وقائدها الأعلى في الثاني من اغسطس سنة ١٩٣٤م).

(٢) تننبرج: هي القرية التي دفن فيها المرثي.

كـل شـبـر مـنـه ذكـرٌ رائـعٌ

ومـعـانٍ مـن تـفـانٍ وفـداء

ضـمَّـخَـتْـهُ عـزةٌ روحـيـةٌ

ودمـاءٌ قـدرهـا فـوق الـدمـاء

شـرف الأوطـان جـيـشًـا مـزبـدًا

وإبـاء الـضـيـم فـي يـوم الإبـاء

حـيـنـمـا حـاصـرت جـيـشًـا مـزبـدًا

بـيـن نـاريـن لأجـنـادٍ ومـاء

حـيـنـمـا غـطـى الـبـحـيـراتِ اللظى

وتـراءى شـعـلـة نـفـس الـهـواء

والـعـدو الـضـخـم فـي مـصـيـدةٍ

فـاتـت الـيـأس ولـم تـعـد الـرجـاء

لـم يـجـد فـي الأرض أدنـى مـهـربٍ

وتـنـاءت عـنـه أسـبـاب الـسـمـاء

وهـوى فـي الأسـر لا عـن ضـلـة

أو غـبـاء، وهـو فـي أسـر الـذكـاء

إنـمـا صـادتْـهُ مـن أحـلامِـهِ

قـوةٌ فـوق الـقُـوى والأقـويـاء

قـوة الإخـلاص فـي تـضـحـيـةٍ

عـنـد مـا أحـدق بـالـشـعـب الـبـلاء

قـوة تـعـريـفـهـا أسـمـى مـدًى

مـن تـعـاريـف الـتـفـانـي والـفـداء

☆☆☆☆

يـا دفـيـنًـا فـي (تِـيـنْـبـرْجَ) أفـاء

هـكـذا الـمـجـد ووحْـي الـشـهـداء

بطلُ الحربِ جريئًا فاتحًا
يملأ الرعب لذكراه الفضاء
والأجل الشهم في كسرتِهِ
يجعلُ التسليم كالفتحِ سواء
شامخ الرأس يُفَدِّي تَاجَهُ
ويصون الشعب صَوْنَ الأمناء:
يا عظيم الخلق سلمًا ووغًى
وعديم المثل في يوم الوفاء
لم يُغالِ الشعبُ في تكرمةٍ
أو بقربانٍ لحبٍّ ووفاء
كيف والنفس التي بَدَّدْتَهَا
هي أسمى من بروجٍ وبناء؟
نعشُكَ الهادي وما أشبهَهُ
بسكون الدهر من بعد القضاء
حاطه من كل ذكر أثرٌ
ناطق قبل البرايا بالثناء
دائم الرهبة من شخصك في
حَرَمِ الخُلْدِ ومحرابِ البقاء
دائمِ الروعةِ في تقديسِهِ
وكأنَّ الحبَّ هالاتُ الضياء

☆☆☆☆

يا دفينًا في (تننبرج) أفاء
هكذا المجد ووحي الشهداء

لك في الموت الذي كنت تشاء:

من وفاءٍ، ولك الحيُّ النداء

ولك المجد الذي أطلعتَهُ

لشعوب الأرض نورًا يُستضاء

معجز القرن الذي لم يحتفلْ

أهلُهُ إلا ببطشٍ أو رياء

جئتَهُ المنقذَ مِن أدوائهِ

بالعظيم الخُلْقِ حيِّ الكبرياء

آه! مَنْ لِي أن أرى في وطني

هذه العزة في يوم العزاء

نحن صرعى مأتم في مأتمٍ

حرم الذل به حتى البكاء

بينما شعبُكَ في لوعتهِ

رافع الهامةِ محسودَ اللواء

يا زعيمٌ أنجبتْهُ أمةٌ

مثل مَن أنجب فيها الزعماء

إيه (هندنبرج)! هذي غايةٌ:

عَظُمَ الموتُ ووحيُ العظماء!

****

علي الغاياتي[1]

السين يضطرب والنيل ينتحب[2]

ما لقلب السين يضطربُ
وأخوه النيل ينتحبُ؟

بلغَتْ باريس غايتها
فتولى نهرها الطربُ

ودهت مصرًا نوائبُها
فأصابت نيلها النُّوب

إن يغض فالوجد مستعرٌ
أو يفض فالدمع منسكب

فهو في حاليه مكتئب
كاد منه الماء يلتهب

---

(١) علي الغاياتي (١٣٠٣ - ١٣٧٦ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٥٦ م) شاعر مصري عاش في مصر وتركيا، واستكمل تعليمه بجنيف بسويسرا، وأتقن الفرنسية وألف بها. اشتغل بالصحافة واشتهر بمواقفه النضالية، وقد صدر ديوانه الأول وطنيتي ١٩١٠م، وكان ذلك سببًا في هروبه من مصر إلى تركيا ومنها إلى سويسرا، ولم يعد منها إلا عام ١٩٣٧م. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٣/ ٤١٨.

(٢) علي الغاياتي، وطنيتي، القاهرة ١٩١٠م: ص ٨١-٨٤. وقد نشرت هذه القصيدة في جريدة اللواء يوم الخميس ٢٣ محرم ١٣٢٨هـ الموافق ٣ فبراير ١٩١٠م بمناسبة فيضان نهر السين الذي أغرق باريس.

زاده شجوًا على شجنٍ
ذلك القلب الذي يجب

أيها السين اتئد فلقدْ
فاض منك الويل والحَرَبُ

أصبحَتْ باريس باكيةً
فبكى الأعجام والعرب

إن باريسًا وبهجتها
نعمة الدنيا ولا عجب

أشرقَتْ في الغرب ساطعةً
وضياء الشّرق مغترب

فلمحنا عند طلعتها
حجب الأنوار تحتجب

ورأينا في مشارقنا
نائيَ الآمال يقترب

****

محمد الأسمر[1]

الشرق والغرب .. إلى الأمم العربية[2]

أي فجر على البلاد أطلا
فلعل الصباح آتٍ لعلا
يا ضيوف الحمى وأنتم ذووه
مرحبًا مرحبًا، وأهلاً وسهلا
يعلم الله أنكم مذ أتيتم
ما حللتم إلا القلوب محلا
إنما الشرق أسرةٌ وذووه
إخوةٌ فهو يجمع الكل أهلا
فَرَّقَتْ بينه حوادثُ شتى:
وحدوه يدًا وقلبًا، وعقلا

(١) محمد الأسمر (١٣١٨ – ١٣٧٦هـ = ١٩٠٠ – ١٩٥٦م)، شاعر مصري، تخرج من الأزهر الشريف عام ١٩٣٠م، وعمل بالتدريس في المعاهد الدينية المختلفة، كما عمل أمينًا لمكتبة الأزهر الشريف. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٥/٥٩١، ٥٩٢.

(٢) محمد الأسمر، ديوان الأسمر، ط دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥١م: ص١٨٧ – ١٩٠. نظم الشاعر هذه القصيدة سنة ١٩٤٤م بمناسبة افتتاح جلسات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي بمصر.. وقد حيى الشاعر فيها الوفود العربية بمناسبة زيارتها لمصر، وحث على الاتحاد ونبه إلى أفاعيل الغرب مع الشرق.

نالت العز بالتضامن (أمريـ
ـكا) فهلا بنو العروبة هلا
واستقلت حقًا، فليست كمن با
ت أسيرًا وقيل عنه استقلا
ما الذي صيَّر العروبة أجزا
ء وكانت من قبلِ ذلك كُلا
فأعيدوا - وليس ذلك سهلًا -
بعض ما كان للعروبة قبلا
هذه الحرب آذنت بانتهاءٍ
إن حرب السلام أكثر هولا
فتواصَوْا بالحق والصبر فيها
وانزلوها نصلاً يؤيد نصلا
وأعدوا ليومها ما استطعتمْ
لا تخوضوا تلك المعارك عزلا
وحذار الوعود فهي سراب
وكلام منمق ليس إلا
نحن منها في مصر نبني من الما
ء قصورًا ونفتل الرمل حبلا
قل لحلو الوعود ليتك أنجز
ت قليلاً منها فذلك أحلى
ساسة الغرب وعدُهم كله مَطْـ
ـلٌ وشر الوعود ما كان مطلا
كم مواثيقَ سطروها بأيديـ
ـهم، وليست إلا أساطير تتلى

كـم عـقـود مـشـوا بـهـا لأنـاس

فـاسـتـحـالـت مـن بـعـد ذلـك غـلا

مـا وراء الـكـلام غـيـر كـلامٍ

أو أبـاطـيـل تـخـدع الـنـاس شـكـلا

صـوروهـا فـي صـورة الـحـق لـلـنـا

س ولـيـس إلا افـتـراء وهـزلا

مـسـرحـيـات مـخـرجٍ أسـأمَـتْـنَـا

مـلَّـهـا الـنـاظـرون فـصـلًا فـفـصـلا

أيـهـا الـمـخـرج الـقـديـم رويـدًا

بـعـضَ هـذا، عـرضُ الـحـقـائـق أولـى

☆☆☆☆

أيـهـا (الـغـرب) حـسـبـك الـيـوم تـمـثـيـ

ـلًا وأَرْخِ الـسـتـار فـالـشـرق مَـلا

أيها (الغرب) أنصفِ (الشرق) إن الشْـ

ـشَـرق أصـفـى قـلـبًـا وأكـثـر نـبـلا

وهـو يـوم الـمـقـال أصـدق قـولاً

وهـو يـوم الـفـعـال أمـجـد فـعـلا

مـا كـسـاه الـضـبـاب ثـوب خـفـاءٍ

بـل تـجـلـى كـالـصـبـح حـيـن تـجـلـى

أمـه الـشـمـس فـهـي أصـل لـمـا شبْـ

ـبَ عـلـيـه، ونـعـمـت الـشـمـسُ أصـلا

مـهـبـط الـوحـي مـبـعـث الـهَـدْي كـم أطـ

ـلـع مـن أفـقـه الـمـهـيـمـن رسـلا

خـصَّــهُ الـلــه بـالجـلـيـل مــن الـنُّـعـ

ـمـى فــأخـلِـقْ بــأن يـكــون الأجــلا

☆☆☆☆

أيـهـا (الـغـرب) أنْـصِـفِ (الـشـرق) واعـلـمْ

أن لــلــشــرق مــثــل فــضــلــك فــضــلا

أنــت لــولاه لــم تــواصــلْ خـطـى الحــر

ب، ولـــولاه نـــؤت بـــالحـــرب حـمــلا

لا تـكــافـئـه فـــي الـــغـــداة إذا مـا

قــال حــقــي نــفــيًـا وســجــنًـا وقــتــلا

واذكـــر الـــيــوم مــا ابـتـلـتـه بــه الحـر

ب ومـــا قـــدَّمَـــتْ يـــداه وأبـــلـــى

هـــذه هـــذه الـــنـــهـــايـــة لاحـــت

فــضــع الأُسَّ لــلــعــروبــة عــدلا

لا تــقــل أهــلــهــا ضــعــافٌ فـمـهـمـا

يــعــلُ أمــر الــقــويِّ فــالحــق أعــلــى

إن فــيـهــا مــن قــال والـسـيـف مـسـلـو

ل عــلــيــه لحــامــل الــســيــف، كـلا

نــحــن إن نــفــتــدِ الــعــروبــة بــالـغـا

لــي مــن الـــروح فــالــعــروبــة أغـلـى

لــم تــعــد دمــيــة تــقــاذفــهــا الأيــ

ــدي، ولا أكـــل مـــن يــحــاول أكـلا

أيـــن مــنــهـا الـــغـــداة كُـــلُّ بـنـيـهـا

لـــتـــرى الاتحـــــاد أجـــمـــع شـمـلا

أيـن مـنـهـا (بـنـو الجــزائــر) فــي الـغـر

ب، ومـــن حــولــهــم لـــتــــزداد حــولا

☆☆☆☆

يا بني (الـشـرق) أسرعوا أسـرع (الغر

ب) فــلا تـسـمـعـوا لمــن قـــال مـهـلا

واسـتـهـيـنـوا بـكـل صـعـب إلـــى أن

تـصـبـحـوا لـلـذيـن فـي الـغـرب مِـثْـلا

كـــل صـــعـــب مـــن الأمــــور إذا مـا

صـــادف الـعـزم، صـــار بـالـعـزم سـهـلا

مـا على (الـغـرب) لـو تـآخـى مـع الشر

ق فـــصـــارا كـــالــروض مـــاءً وظـــلا

****

إيليا أبوماضي[1]

بائعة الورود[2]

مِـن الـفِـرَنْـسـيـسِ قَـيْـدَ الـعـيـن صـورتُـهـا

عـــذراءُ قـد مُـلـئـتْ أجـفـانُـهـا حَـوَرا

كـأنـمـا وهَـبـتْـهَـا الـشـمـسُ صـفـحـتَـهـا

وجـهـاً، وحـاكَـتْ لـهـا أسـلاكُـهـا شَـعَـرا

يـدُ الـمـنـيّـةِ طـاحـتْ غِـبَّ مَـوْلـدِهـا

بـأمِّـهـا، وأبـوهـا مـاتَ مـنـتـحِـرا

فـي قـريـةٍ مـن قُـرى بـاريـسَ مـا صـغُـرت

عـن الـفـتـاة، ولـكـنْ هـمُّـهـا كَـبُـرا

والـنـفـسُ تَـعـشـقُ فـي الأهـلـيَن مـوطـنَـهـا

ولـيـس تـعـشـقُـه يَـحـويـهِـمُ حُـفَـرا

---

(١) إيليا ابوماضي (١٣٠٧ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٥٧ م) شاعر لبناني كبير، من ابرز شعراء المهجر الامريكي، عاش طفولته وشبابه في لبنان ومصر، ثم استقر بالولايات المتحدة الأمريكية حيث انضم إلى «الرابطة القلمية» وكان من ابرز اعضائها. منحته الحكومة اللبنانية وسام الارز ومنحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق. اصدر اول دواوينه «تذكار الماضي» ١٩١١م. وفي عام ٢٠٠٨م اصدرت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري اعماله الكاملة بمناسبة انعقاد دورتها الحادية عشرة بالكويت. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٤/ ٧٦٠.

(٢) إيليا ابوماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، جمع وتقديم عبدالكريم الأشتر ط١ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٨م: ص٣٥٥ - ٣٦٢.

وتعظُمُ الأرضُ في عينيكَ محترَماً

وليس تعظُمُ في عينيكَ مُحتقَرا

فَغادَرَتْها وما في نفسِها أثَرٌ

منها، ولا تركتْ في أهلِها أثرا

إلى التي تَفتِنُ الدنيا مَحاسنُها

وحُسْنُ مَن سكَنوها يَفتِنُ البَشرا

إلى التي تَجمعُ الأضْدادَ دارَتُها

ويحرُسُ الأمْنُ في أرجائها الخَطَرا

إذا رآها تقيٌّ ظنَّها «عَدَناً»

وإن رآها شقيٌّ ظنَّها «سَقَرا»

تودّ شمسُ الضُّحى لو أنها فلَكٌ

والأفْقُ لو طلَعتْ في أوْجِهِ قَمَرا

والغربُ لو كان عُوداً في مَنابرِها

والشرقُ لو كان في جُدرانها حجرا

في كلّ قلبٍ هوًى منها كأن له

في أهلها صاحباً، في أرضها وطَرا

(باريسُ) أعجوبةُ الدنيا وجنَّتُها

وربَّةُ الحُسْنِ مطروقاً ومبتَكَرا

☆☆☆☆

حلَّتْ عليها فلم تُنكرْ زخارفَها

فطالما أبصرتْ أشباهَها صُوَرا

ولا خلائقَ أهليها وزِيَّهُمُ

فطالما قَرأتْ أخلاقَهمْ سِيَرا

وإنمـا أنـكَـرتْ فـي الأرض وَحـدَتَـهـا
كـذلـك الـطـيـرُ إمَّـا فـارقَ الـوَكَـرا
يـتـيـمـةٌ مـا لـهـا أمٌّ تـلـوذُ بـهـا
ولا أبٌ إن دعـتْـه نـحـوَهـا حَـضَـرا
غـريـبـةٌ يَـقـتـفـيـهـا الـبـؤسُ كـيـف مـشـتْ
مـا عـزّ فـي أرض «بـاريـسٍ» مـن افـتـقَـرا
مـرّتْ عـلـيـهـا لـيـالٍ وهـيَ فـي شُـغُـلٍ
عـن سـالـفِ الـهـمِّ بـالـهـمِّ الـذي ظـهـرا
حـتـى إذا عـضَّـهـا نـابُ الـطَّـوى نـفـرتْ
تـسـتـنـزلُ الـرزقَ فـيـهـا الـفـرْدَ والـنُّـفَـرا
تـجـنـي الـلُّـجـيْنَ ويـجـنـي الـبـاذلـوه لـهـا
مـن كـفِّـهـا الـوردَ مـنـظـومـاً ومَـنـتـثِـرا
لا تـتَّـقِـي الـلـهَ فـيـه وهـوَ فـي يـدهـا
وتـتَّـقـي فـيـه فـوقَ الـوَجـنـةِ الـنَّـظَـرا
تـغـارُ حـتَّـى مـن الأرواح سـاريـةً
فـلـو تمُـرّ قَـبـولٌ أطـرقـتْ خَـفَـرا
أذالـتِ الـوردَ قـانِـيـه واصـفـرَهُ
كـيـمـا تـصـونَ الـذي فـي خَـدّهـا نَـضَـرا
حَـمـتْـه عـن كـل طـرْفٍ فـاسـقٍ غَـزِلٍ
لـو اسـتـطـاعـتْ حَـمـتْـهُ الـوهْـمَ والـفِـكَـرا
تُـضـاحِـكُ الـخَـلْـقَ لا زَهْـوًا ولا لَـعِـبًـا
وتـجـحَـدُ الـفـقـرَ لا كِـبْـرًا ولا أَشَـرا
فـإن خَـلَـتْ هـاجـتِ الـذكـرى لـواعـجَـهـا
فـاسْـتـنـفـدَتْ طَـرْفَـهـا الـدَّمـعَ الـذي انْـحَـدرا

☆☆☆☆

تعلَّقَتْهُ فتًى كالغصن قامتُهُ
حلوَ اللسان أغرَّ الوجه مُزدَهِرا
وهامَ فيها تُريه الشمسَ غُرّتُها
والفجرَ مرتصِفاً في ثغرها دُرَرا
إذا دنا رغبتْ ألاّ يُفارقَها
وإن نأى أصبحتْ تشتاقُ لو ذُكِرا
تُغالبُ الوجْدَ فيه وهو مقتربٌ
وتهجرُ الغَمضَ فيه كلّما هَجَرا
كانت توقّى الهوى إذ لا يُخامرُها
فأصبحت تَتوقّى في الهوى الحَذَرا
قد عرّضَتْ نفسَها للحب واهيةً
فنال منها الهوى الجبّارُ مُقتدِرا
والحبُّ كاللّصِّ لا يُدريكَ موعدَهُ
لكنّه قلّما، كالسّارقِ، استَتَرا
☆☆☆☆
وليلةٍ من ليالي الصيف مُقْمِرةٍ
لا تسأمُ العينُ فيها الأنجُمَ الزُّهُرا
تَلاقَيا فشكاها الوجَدَ فاضطربتْ
ثم استمرّ فباتتْ كالذي سُحِرا
شكا فحرّكَ بالشكوى عواطفَها
كما تُحَرِّكُ كفُّ العازفِ الوَتَرا
وزاد حتى تمنّتْ كلُّ جارحةٍ
لو أصبحتْ مَسْمَعاً أو أصبحت بَصَرا

رانَ الـهُـيـامُ عـلـى الـصَّـبَّـيْن فاعتنقا
لا يمـلِـكـان الـنُّـهـى وِرْداً ولا صَــدَرا
«وكـــان مـــا كـــان ممـــا لـــســتُ أذكـــرُه»
تكفـي الإشـــارةُ أهـــلَ الـفِـطْـنـةِ الخَـبَـرا

☆☆☆☆

هـامـتْ بـه وفـــي لا تـــدري لِـشَـقْـوتِـهـا
بـأنـهـا قـد أحـبّـتْ أرقـمـاً ذَكَـــرا
رأتـــه خَــشْــفــاً فـــأدنَــتْــهُ، فـــراءَ بـهـا
شـــاةً، فـأنـشـبَ فـيـهـا نـابَـهُ نَـمِـرا
مـا زال يـؤمِـنُ فـيـهـا غـيـرَ مـكـتـرثٍ
بـالـعـاذِلـيـنَ، فـلـمّـا آمـنـتْ كَـفَـرا
جنـى عليها الـذي تَـخْـشـى، وقـاطَـعَـهـا
كـأنّـمـا قـد جـنَـتْ مـا لـيس مُـغْـتـفَـرا
كـانـتْ وكـان يـرى فـي خـدّهـا صَـعَـراً
عـنـه، فـبـاتـت تَـرى فـي خـدّه صَـعَـرا
فـكـلّـمـا اسـتـعـطـفـتْـه ازورَّ مُـحْـتَـدِمـاً
وكـلـمـا ابـتـسـمـتْ فـي وجـهـه كَـشَـرا
طـال الـنِّـفـارُ و«فـرجـيـنـي» عـلـى مَـضَـضٍ
تُـجَـرَّعَ الأنـقَـعَـيْنِ: الـصَّـابَ والـصَّـبِـرا
قـالـت، وقـد زارهـا يـومـاً، مُـعـرِّضَـةً:
متـى، لـعَـمـرُك، يَـجـنـي الـغـارسُ الثمرا؟
كـم ذا الـصُّـدودُ ولا ذنـبٌ جـنـتْـه يـدي
أرجـو بـك الـصَّـفْـوَ لا أرجـو بـك الـكَـدَرا

تَركتَني لا أذوقُ الماءَ من وَلَهي
كما تركتَ جفوني لا تَذوقُ كَرى

أشْفِقْ عليَّ ولا تَنْسَ وعودَك لي
فإنَّ ما بيَ لو بالصَّخرِ لا نفَطَرا

أطالتِ العَتْبَ ترجو أن يَرقَّ لها
فؤادُه فأطالَ الصَّمتَ مُختصِرا

وأخرجتْهُ لأنَّ الهمَّ أخرجَها
وكلَّما أحرجتْه راغَ معتذِرا

وضاق ذَرْعاً بما يُخفي فقال لها:
إلامَ ألزمُ فيكِ العِيَّ والحَصَرا

أهواكِ صاحبةً.. أمَّا اقترانُك بي
فليس يخطُرُ في بالي ولا خَطَرا

أهوى رضاكِ ولكنْ إن سعيتُ له
أغضبتُ نفسيَ والدَّيَّانَ والبَشَرا

عنَيْتُ ما ليَ من قلبين في جَسَدي
وليس قلبي إلى قِسمين مُنشطِرا

تُطالبِيني فؤادي وهْوَ مرتَهَنٌ
في كفِّ غيرِكِ، رُمْتِ المَطْلبَ العَسِرا

يكفيكِ أني فيكِ خُنتُ إمرأتي!
ولم يخُنْ قلبُها عهدي ولا خَفَرا

قد كان طيشاً هُيامِي فيكِ بل نَزَقاً
وكان حبُّكِ ضَعفاً منكِ بل خَوَرا

قالت: متى صِرتَ بَغْلاً؟ قال: من أمَدِ
لا أحسَبُ العمرَ إلاه وإن قَصُرا

يا هولَ ما أبصرتْ! يا هولَ ما سمعتْ!
كادت تُكَذِّبُ فيه السَّمعَ والبَصَرا
لولا بقيَّةُ صبرٍ في جوانبِها
طارتْ له نفسُها من وقْعِه شَذَرا
يا لَلخيانةِ! صاحتْ وهي هائجةٌ
كما تهيَّجَ ليثٌ بابنه وُتِرا
الآن أيقنتُ أني كنتُ واهمةً
وأنّ ما كلُّ برْقٍ يَصحَبُ المطرا
وهبتَ قلبك غيري وهو مِلْكُ يدي
ما خِفْتَ شَرْعاً ولا باليتَ مُزْدَجَرا
ليستْ شرائعُ هذي الأرضِ عادلةً
كان الضعيفُ ولا ينفكُّ مُحتقَرا
قد كنتُ أخشى يدَ الأقدارِ تَصدَعُنا
وكان أجدرَ أن أخشاكَ لا القَدَرا
وصَلْتَنِي مثلَ شمسِ الأفْقِ ناصعَةً
وعِفْتَنِي مثلَ جُنحِ الليل مُعتكِرا
كما تعافُ السُّراةُ الثَّوبَ قد بَليتْ
خيوطُه والرُّواةُ المَوردَ القَذِرا
خِفتَ الأقاويلَ بي قد نام قائلُها
هلاّ خشيتَ انتقامي وهْو قد سهرا
يا سَالبي عِفَّتِي من قَبلِ تهجرَني
أرْدِدْ عليَّ عَفافي واردُدِ الطُّهُرا
هيهاتَ هيهاتَ ما مِن عفّتي عِوَضٌ
لاح الرّشادُ وبانَ الغَيُّ وانحسرا...

☆☆☆☆

وأقبلتْ نحوَه تَغْلِي مَراجلُها
كأنها بركانٌ ثار وانفَجرا
في صدرها النارُ، نارُ الحقدِ، مُضْرَمةٌ
لكنّما مُقلتاها تقذفُ الشَّرَرا
وأبصرَ النصلَ تُخفيه أناملُها
فراح يركضُ نحو الباب مُنذعِرا
لكنها عاجلتْه غيرَ وانيةٍ
بطعنةٍ فَجَّرتْ في صدره نَهَرا
فخَرّ في الأرض جسماً لا حَراكَ به
لكنّ «فرْجينَ» ماتتْ قبلما احتُضِرا
جُنّتْ مِن الرُّعبِ والأحزان فانتحرتْ
ما حبَّتِ الموتَ لكن خافتِ الوَضَرا

☆☆☆☆

كانت قُبيلَ الرّدى منسيةً فغدتْ
بعد الحِمَامِ حديثَ القوم والسَّمَرا
تتلو الفتاةُ عِظاتٍ في حكايتها
كما يطالعُ فيها الناشئُ العِبَرا

****

أخت البلجيك[1]

يـا لـوعـةً حـار الـنِّـطـاسـي فـيـكِ
كـم يَشـتـكـي غـيـري وكـم أُخـفـيـكِ

إن بُـحْـتُ بـالـشـكـوى فـغـايـةُ مُـجـهَـدٍ
لـم تُـبْـقِ لـي كَـبِـداً فـأسـتَـبْـقـيـكِ

أجـنـايـةَ الـطَّـرْفِ الكحيلِ على الحشا
الـلـه حـسـبـي فـي الـدَّم الـمَـسْـفـوك

مـا فـي الـشـرائـعِ لا ولا فـي أهـلِـهـا
مَـن يَـسـتـحـلُّ الأخْـذَ مِـن جـانـيـكِ

يـا هـذه كـم تَـشْـحـذيـنَ غِـرارَهُ
أوَ مـا خـشِـيـتِ حـدَّهُ يُـؤذيـك

يـا أخـتَ ظـبـيِ الـقَـاعِ لـو أعـطـيـتِهِ
لَـحـظـيـكِ صـادَ الـصَّـائـديـه أخـوكِ

روحـي فِـدى عـيـنـيـكِ مـهـمـا جـارتـا
فـي مـهـجـتـي وأبـي فـداءُ أبـيـكِ

رمـتـا فـكـلُّ مُـصـمَّـم ومـقـوَّمٍ
نـابٍ، وكـلّ مُـسـرَّدٍ وحَـبـيـكِ

الـلـهَ فـي قـتـلـى جُـفـونـكِ إنـهـم
ظـلـمـوا نـفـوسَـهُـمُ ومـا ظـلَـمـوكِ

---

(1) إيليا أبوماضي، الأعمال الشعرية الكاملة، ص٤١٢ - ٤١٥.

إن تُبصِريني أتّقي فتَكاتِها
فلقد أَصولُ على القَنا المَشبوك

كم تجحَدينَ دمي وقد أبصرْتِهِ
وِرْداً على خدّيكِ غيرَ مَشُوك

رُدِّي حياتي إنها في نظرةٍ
أو زَوْرةٍ أو رَشْفةٍ من فِيك

لو تنظرين إلى قتيلِكِ في الدُّجى
يرعى كواكبَهُ ويَستَرعِيك

والليلُ من همٍّ الصباح وضوئه
حيرانُ حَيْرةَ عاشقٍ مهتوك

لَعجِبتِ من زُور الوشاة وإفكِهمْ
ومن الذي قاسيتُ في حُبّيكِ

حَولِي إذا أرخى الظلامُ سجوفَه
ليلانِ: ليلُ دُجىً وليلُ شُكُوك

تمتد فيهِ بيَ الكآبةُ والأسى
مثلَ امتدادِ الحرْفِ بالتَّحريك

ما لي إذا شئتُ السلوَّ عن الهوى
وقدرْتُ أن أَسْلُوكِ لا أَسْلوك

فُكِّي إساري إنَّ خلفي أمّةً
مضنوكةً في عالَمٍ مَضنوك

وأحبةً سدَّ القُنوطُ عليهمُ
والخوفُ كلَّ معبَّدٍ مَسْلوك

لا تسأليني كيف أصبح حالُهمْ
إني أخافُ حديثُهم يشجِيك

باتوا برغمهمُ كما شاء العِدا

لا حُزنُهم واهٍ ولا بِرَكِيك

لا يَمْلِكون سوى التحسُّرِ، إنه

جُهدُ الضَّعيفِ الواجدِ المَفْلوك

تترقرقُ العَبْراتُ فوق خدودهمْ

يا مَن رأى دُرَراً بغيرِ سُلوك

أخذَ العزيزَ الذُّلُّ من أَطْواقِه

والجوعُ يأخذ مُهجةَ الصُّعْلوك

قل للمبذِّر في المَلاهي مالَهُ

ماذا تركتَ لذي الأسى المثْروك

أيبيتُ يَشربُ من مَعين دُموعِه

وتبيتُ تَحسوها كعَين الدِّيك؟

ويَروحُ في أَطْماره، وتَميسُ في

ثوبٍ لأيامِ الهناءِ مَحوكِ

إن كنتَ تأبى أن تُشاركَه سِوى

نُعْمَى الحياةِ فأنت غيرُ شَريك

يا ضَرّةَ البلجيكِ في أحزانها

تبكيكِ حتى أُمَّةُ البَلْجيك

حُمِّلْتِ ما يُعيي الشواهقَ حَملُه

يا ليت ما حُمِّلتِ في شَانيك

سلَّ البُغاةَ عليكِ حُمْرَ سُيوفهمْ

لا أنتِ جانيةٌ ولا أهلوك

جُنَّ القضاءُ فغالَ حسنَكِ قُبحُه

وأذلَّ أبناءُ الطَّغامِ بنيك

لا أشتكي الدنيا ولا أحداثَها
هذي مشيئةُ ذي المشيئةِ فيكِ
لو أملِك الأقدارَ أو تصريفَها
لأمرتُها فجَرتْ بما يُرضيك
ولو أنها تدري وتَعقِل لانثنَتْ
تَرمي بأسهُمِها الذي يَرميك
إن يفتديكِ أخو الغِنى بنُضارهِ
فَبِدرهَمي وبمُهجَتي أَفديك
ومنازلُ البؤساء أَوْلى بالنَّدى
ولأنتِ أَولاها بمالِ ذويك

☆☆☆☆

يا أمةً في الغَرْب ينعُم شَطْرها
رِفقاً بشطرٍ بائسٍ مَنْهوك
جادت عليكُمْ، قبلما كنتُم، بكمْ
جودوا ببعض العَسْجدِ المَسْبوك!!

****

هَمْلِت(1)

[السريع]

يــا نــبــأً سُــــرَّ بـــه مَـسْـمَـعـي
حــتــى تمــنَّــى أنــــه الــنــاقــلُ

أنْــعــشَ فــي نـفـسـي الــمُـنـى مثلما
يُـحـيـي الجـديـبَ الــواكـفُ الـهَـاطـل

عــرفــتُ مــنــه أنّ ذاك الحِـمَــى
بــالــصِّـيـدِ مــن فـتـيـانـنـا آهــل

عِـصَـابــةٌ كــالـعِـقْـدِ فــي «أكــرنٍ»
يـعـتـزّ فـيـهـا الـفـضـلُ والـفـاضـل

مِــن كـل مِــقــدامٍ رجـيـحَ الــنُّـهـى
كـالـسَّـيـف إذ يـصـقُـلُـه الـصَّـاقـل

الـــبـــدْرُ مـــن أزراره طـــالـــعٌ
والـــغـــيـــثُ مـــن راحـــتـــه هـــامِـــل

وكـــلُّ طـــلْـــقِ الـــوجـــهِ مـــوفـــورِه
فــي بُــردَتــيــهِ ســيّــدٌ مــاثِــل

☆☆☆☆☆

شَـبـيـهـةَ الـشـرقِ، إنـعـمـي واسْـلـمـي
كــي تــسـلـمَ الآمـــالُ والآمـــل

---

(1) إيليا أبوماضي، الأعمال الشعرية الكاملة: ص491 - 493.

بكُمْ وبالرَّاقينَ أمثالِكمْ
يفتخرُ العالِم والعامل

بعثتُمُ «هَمْلِتَ» من رَمْسهِ
«فَهَمْلِتُ» بينكُمُ ماثل

يمشي ويمشي الطيفُ في إثره
كلاهما ممّا به ذاهل

لا يضحك السَّامعُ من هزْله
كم عِظةٍ جاء بها الهازل

روايةٌ يظهر فيها لكمْ
كيف يُداجي الصَّادقَ الخاتلُ

وتنكُثُ المرأة ميثاقَها
وكيف يُجزَى المجرمُ القاتل

وإنما الإنسانُ أخلاقُهُ
لا يستوي الناقصُ والكامل

والنفسُ كالمرآةِ إن أُهمِلتْ
يعلو عليها الصدأُ الآكل

والناسُ أدوارٌ، فَذا صاعدٌ
يراودُ الشُّهبَ وذا نازل

والدهر حالاتٌ، فيومٌ بِهِ
نحسٌ، ويومٌ سعدُهُ كامل

فَمَثِّلوا الجهلَ وأضرارَهُ
حتى يُعادي جهلَهُ الجاهل

ومثِّلوا الفضلَ وآياتِهِ
كي يستزيدَ الرجلُ الفاضل

وصوّروا المجدَ بلألائِهِ
عسى يُفيقُ الهاجعُ الغافل
ويرجعُ الشَّرقُ إلى أوْجِهِ
كما يعودُ القمرُ الآفل
وابنوا إلى الآتِينَ من بعدِكمْ
يَبنِ لمن يخلُفه القابل
ما دمتُمُ للحقّ أنصارَهُ
هيهاتَ أنْ ينتصرَ الباطل

****

عبدالرحمن شكري[1]

شكسبير

«يا معتق الأرواح ما أعتقتها»[2]

جـمـعـتْ عـلـى تـعـظـيـمـك الأقـــوامُ
وتـقـاربـتْ فـي مـجـدك الأرحـامُ

مـا مـر مـن عـام يـنـوء بـحـمـلـه
إلا وأعـلـتْ شـأنَـك الأعـوامُ

وحُـبِـيـتَ مـفـتـاح المـسـرة والأسـى
والـهـولُ يـعـجـز وصـفَـه الإفـحـامُ

دنـيـا مـن الـقـول المـبـين كـأنمـا
دنـيـا الـحـقـائـق بـعـدهـا أوهـام

فـوصـفـتَ فـيـه أعـالـيًـا وأسـافـلا
شـغـلَـتْ نـهـاك أخـامـصُ والـهـام

---

(١) عبدالرحمن شكري (١٣٠٤ - ١٣٧٨هـ = ١٨٨٦ - ١٩٥٨م)، أحد أبرز رواد الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث، سافر إلى إنجلترا مبتعثًا بعد أن تخرج من مدرسة المعلمين العليا لتلقي تعليمه العالي في جامعة شيفلد (١٩٠٩ - ١٩١٢م)؛ وهو المؤسس الحقيقي لمدرسة الديوان. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٠/٦٧٦.

(٢) عبدالرحمن شكري، المؤلفات النثرية الكاملة، ط المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مج٢ ص٥٥٤ - ٥٥٥.

وملكت أجناد الخيال تقودها

للحق فهي نظائر خدام

جوّابُ آفاقِ القريضِ وبحرِهِ

فيه السرائر درة تُستام

مثلتْ أمامك يامُمَلَّكَ أمرِها

كهلٌ وطفلٌ سيدٌ وغلامُ

وَسَلَلْتَ من قُبْح الحياة جمالها

سحر القريض على الحياة وسام

فجمعتَ بين جميلِهِ وجليلِهِ

وتقاربتْ في بعدها الأنغام

زدتَ الزهورَ نضارةً وعلا على

مرأى العظيم بوصفك الإعظامُ

وأعدتَ ما طوتِ الدهورُ كأنما

لم تغبرُ الأزمان والأقوام

كالضوء في الأفق البعيد يصونها

من بعد ما عبثت بها الأيام

بل بذَّ منه صيانةً في موجهِ

قلم لديك مرجَّبٌ قَلاَّمُ

جحدوك علمًا كي تزاد فطانة

عنتًا وأنت الباحث المقدام

ما شأن قولك إنه متردد

في السمع يؤلف وقعه ويرام

من جدة أبدية ما إن لها

نقصٌ ففيضُ مياهها فعام

لقحتْ عقولٌ من مقالِكَ ريما
جهلتُكَ أنك لاقح قوام
كحبوب مُتْك الزهر تخصب ميسمًا
وكأنّ سعْيَ لقاحها استكتام
أعتقتَ أرواحَ الورى من جهلها
(بامورى) والجاهل الأثّام
يا معتق الأرواح ما أعتقتها
من طبعها وقضاؤه مقحام
عظُمَتْ حياةٌ أن يُراض مصيرُها
أو أن يُحدَّ مرادها ونظام
والنسل يكثر والحياة حريصةٌ
تحيى الحياة إذا أباد حمام
والناس كالقول المعاد كأنما
عود الأمور فريضة وقوام
والخلق عدوى لا الفهيم بمأمنٍ
من صولها كلا ولا العلام
طبع الأوائل في الأواخر حاكمٌ
مهما استتر وقدوة وإمام
والحمد للمنصور حول ركابه
تعنو القلوب وتخشع الأفهام
كم ظافرٍ بالحمد لولا نُجْحُهُ
لم يَغْدُ وصف فعاله الإجرام
والنفس تنسى ما ترى نسيانَهُ
زينًا لها فبيانُه إعجام

عبَّأتَ مآثمها لكاهلِ غيرِها
ومضَتْ وما تعتاقها الآثام
والنفس تكره حين تُظلم أن ترى
من عذْبتهُ وما له لوّام
والحق ما تهوى فميزانٌ لهُ
في فهمها حب لها وغرام
والمحض مردود إذا ما لم يكُنْ
شغفٌ يَعُزُّ نضاره وهيام
والدرهم المغشوش يغني غنيةً
إن لم يمزْهُ الصيرفِي الفهّام
ورسالة القول المبين علالةٌ
أمل يعيش به الورى وحسام
ورأى حجاك من الحياة تمردًا
سحر الخيال خطامه ولجام
بالسحر قد بدأ الأنام حياتَهُمْ
وبحثت ثم سكت وهو ختام
شفق الأصيل وفي مقالك مثلُهُ
للسحر في وهجانه إفحام

****

كلمة في الشاعر بيرون[1]

تقول قولًا فتُذْري الدمع من شجنٍ
كأن قلبك مدلول على العِبَرِ
ألبستَهُ من سواد الحزن ضافيةً
فخلتها من سواد القلب والبصر
فكرٌ كأن ملاك الوحي يسعدُهُ
مُوَكَّلٌ بصروفِ الدهر والغِيَرِ
إذا ظفرتَ بمعنى كان موقعُهُ
ألذُّ من وقعاتِ النجح والظفر
قد اجتبيت من الآراء أشرفَها
حتى كأنك معنى الصدق في الخبر !

****

(١) عبدالرحمن شكري، ديوان عبدالرحمن شكري، مراجعة وتقديم فاروق شوشة، ط المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م: ١/ ١٠٠. وجورج بايرون (١٧٨٨-١٨٢٤م) شاعر إنجليزي من اعلام الاتجاه الرومانسي.

أبناء الشمال[1]

(الآريون)

إن أبــنــاء الــشــمــالِ
عــمّــروا الأرض وصــالــوا
ورثــوا الــمــلــك جــمــيــعًــا
كــل مــن يــســعــى يــنــالُ
إن لــلــمــلــك اعــتــزازًا
لــيــس يــدنــيــه اتــكــال
فــلــهــم فــيــه فــلاحٌ
ولــهــم فــيــه مــجــال
عــمــروا الأرض ونــمــنــا
داؤنــا الــداء الــعــضــال
ولــهــم فــي الــكــون عــرشٌ
قــيــمــة الــعــرش الــرجــال
كــل شــيء لــهــمُ فــي الــ
ــعــيــش مــبــذولٌ حــلال
حــرّم الأمــر عــلــى الــعــا
جــز لا يــخــدعــك آل
إنــمــا الــقــدرة إيــمــا
ن وآمــال ومــال

☆☆☆☆

---

(١) عبدالرحمن شكري، ديوان عبدالرحمن شكري: ٤/ ٣٤١ - ٣٤٢.

إن أبناء الشمالِ
عمروا الأرض وصالوا

ورثوا العزم جميعًا
ما عرا القوم ملال

هم لداعي السعي والآ
مال عُمَّالٌ عِجَال

تعرف البيداء مسعا
هم وتنبيك الجبال

وببطن الأرض مسعى
ولدى الجو منال

سل أقاصي الأرض تخبر
عظُمتْ تلك الفعال

هل تنبى عن جلال الـ
ـنفس للنفس جلال

بيديهم لجُمُ الأقـ
ـدار يجريها الصيال

يركض الدهر لديهم
مثلما شاء الرجال

من ثمار القدرة العلـ
ـم وفي العجز الضلال

عيشهم كالنهر يجري
فهو حال ثم حال

كل يوم في جديد
كشفتْ عنه الفعال

وجـــديـــد المــــرء يـبـلـيـ
ـــه ويــفــنـيــه ابــتـــذال

ويـــكــاد الــغــيــب يــبـدو
لــــهــــمُ مــــنــــه المــــآل

عـــرفـــوا الــعــيــش فـــفــازوا
إنمــــا الـــعــيــش قــتـال

إنمــــا الــعــيــش طــمــوحٌ
واعـــتـــزام واحـــتـــيـــال

بــــين عــــجــــز وافـــتــــدارٍ
ضـــاق بـــالـــعـــجـــز المـــجـــال

إنمــــا الـــعـــجـــز هـــو الـــذلْـ
ـــلُ إذا اشـــتـــد الـــنـضـال

قـــيـــمـــة المــــرء مـــســـاعـــيـ
ـــه إذا عـــز المـــنـــال

☆☆☆☆☆

إن أبــــنــــاء الــــشــــمـــالِ
عـــمـــروا الأرض وصـــالـــوا

لــــم يَـــرُعْــهُـــمْ فـــشـــلٌ إنْ
ثـــبــط الــــغــــرُّ المـــطـــال

بـــذلـــوا الـــنـــفـــس لـــيـحـظـوا
إنمـــــا الـــبـــذل نـــوال

قـــد بــــروا أهــــل الجــمــودِ
مــثـلـمـا تـــبـــرى الـــنـــعـــال

ويـــل أبــــنـــاء الجـــنـــوب اعـــتـ
ـــتـــز بـــالمـــلـــكِ الـــشـــمـــال

****

حنين غريب[1]

ابـغِ فـي مـصـر آمـرًا بـالـتـأسـي
وتمـهـل وانـظـر أمـاكـن أنـسـي
خـذلـتـنـي فـقـمـت أنـشـد حظي
فـي سـواهـا فـكـان مـورد نـحـسـي
أنـشـقـونـي نـسـائـم الـنـيـل إنـي
لـعـلـيـل والـنـيـل حـاجـة نـفـسـي !
مـن مـعـيـنـي عـلـى خـواطـر إمـا
طـرقـتـنـي أغـرت هـواي بـأمـسـي
حـيـث وجـه الـنـهـار يـضـحـك بـالـبشـ
ـر فـيـروي ظـمـاء زهـرٍ وغـرس
أنـا فـي بـلـدةٍ يمـر بـهـا الـدهـ
ـر حـزيـنًـا لا يـسـتـضـيء بشـمـس
فـهـي مـثـل الـسـجـن الـعـبـوس نـهـارًا
قـد رمـتـنـي فـيـهـا الـخـطـوب بـيـأس
لـبـسـت فـوقـنـا الـسـمـاء حـدادًا
فـكـأن الـسـمـاء قـبـة رمـس !

****

(١) عبدالرحمن شكري، ديوان عبدالرحمن شكري: ٢/١٨٦.

محمود الخفيف[1]

النسر المهيض[2]

[بونابرت]

حلمك القيصريُّ كيف تقضَّى

أيها الساهم الملقَّى الهوانا

شاق عنك القضاء طولًا وعرضًا

وتعاليْتَ لستَ تحفل بغضا

لا ولا كنت أمس تحفِل حبًّا

لبني الطين أو تهاب الزمانا

كنت بالأمس الامبراطور تُدْعَى

بعد نعت بالكَرْسَكِيّ الصغير

تتهاوى ألقاب مجدك صرعى

وترى من والوك كرهًا وطوعا

بين راثٍ وشامت يتشفَّى

في مصير ما مثله من مصير

---

(١) محمود الخفيف (١٣٢٧ - ١٣٨١ هـ = ١٩٠٩ - ١٩٦١م) شاعر مصري، تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٣١م؛ واشتغل بالتدريس، وغيره من الوظائف الإدارية. سافر إلى إنجلترا عام ١٩٥٥م في بعثة لإعداد المعلمين. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٥٠٧/١٩.

(٢) محمود الخفيف، مجلة الرسالة، عدد ٣٥٠، تاريخ ١٩٤٠/٣/١٨م: ص٥٠١ - ٥٠٢.

لـم تـر الأرض مـثل عـقـبـاك عقبى

هـل رأت مـثـل مـا بـلـغْـتَ ارتـقـاء

نِـلْـتَ مـا نـلـتَ مـن زمـانـك غـصـبـا

لـم تجـد فـي الحـيـاة سـهـلاً وصـعـبـا

ثـم حـلّـقْـتَ تـبـتـغـي غـيـر وانِ

أيـهـا الـنـسـر، أن تـنـال الـسـمـاء

قُـضـيَ الأمــر هـل رضـيـتَ الـقـضـاءَ

أيـهـا الـلاعـب المـهـيـض الجـنـاحِ

كـيـف تـرضـى ومـا عـرفـتَ الـرضـاءَ

مـرةً أمـسِ أو عـدمْـتَ الـرجـاءَ

أيـهـا الـواجـم الـعـبـوس تـلاشـت

خُـدَعُ الحُـلْـمِ فـي يـقـين الـصـبـاح

قـد تـزيَّـدْتَ فـي غـرورك حـتـى

كـدْتَ تُـنْـمَـى لـغـيـر هـذا الـوجـودا

وتَـأتّـى مِـن زُوره مـا تـأتـى

فـتـغـابـيْـتَ فـي مـواطـنَ شـتـى

لـشـجـانـي بـرغـم ذلـك مـرأى

شـبـح الـذل فـي الـعـقـاب الـصـيـود

تَـصِـفُ الـعـين فـي مـحـيـاك خـوفًـا

وابـتـئـاسًـا وذلـةً وانـكـسـارا

لا يـوفِّـيـكَ غـيـر مـرآك وصـفًـا

عُـدْتَ كـالـنـاس بـل لـقـد زدتَ ضـعـفًـا

لـيـت شـعـري يـا مـن هـزمـت المـنـايـا

كـيـف تـحـيـا؟ هـل تـسـتـطـيـع اصـطـبـارا

بـهـر الــنــاس فـــي صــعــودك بــرقٌ

لـم يـــروْا فـــي ســنــاه مـنـك الـعـيوبا

كــل إفـــنٍ أرَدْتَــــــهُ فــهْـو حــقٌّ

وتحـــــدِّي الـــزمـــان عـــنــدك سـبـقٌ

تشفـق الـعـين أن تـرى الشمس حتى

تــتـــراءى لـــهـــا تـــريـــد الـــغـــروبا

كــم تـــرى الـــعـــين فـــي غـــروبــك مما

يمـــلأ الـقـلـب مـــن شـتـيـتِ المـعـانـي

أنت فـي الأرض من بني الأرض مهما

مـــلأَتْــكَ الحـــيـــاة وهــمًّـــا وعــزمَـــا

عـبـقـريّ الحــــروب، كـــم كـنـت تـبـدو

أمـــسِ كـالـطـفـل أطـمـعَـتْـهُ الأمـانـي

رحــت كـالـطـفـل لاعـبًـا بـالـعـروشِ

لـــعـبًـا حـــار جـنـدُ عـــرشـك فـيـه

الـنـجـيـع الـصـبـيـب أبــهــى الـنـقـوشِ

والــــدمـــــى مــــن أَسِـــــرَّةٍ ونــعــوشِ

كـــرةُ الأرض بـــين رجـلـيـك حـيـرى

والمـــنـــايـــا تجـــري بمـــا تـشـتـهـيـهِ

ويــك! قـد كـنـت كـالـشـهـاب الْـتـمـاعـا

وســـنــــــاء وروعــــــــة وانــطـــلاقـــا

كـلـمـا زاد فـــي الـســمــاء ارتـفـاعـا

وتـــبــدَّى لـــلـعــين أبــهـــى شـعـاعـا

ومـــضـــى يـخـطـف الـعـيـون سـنـاه

لـــم يــــزده المـــضـــاء إلا احـتـراقـا

أشبهَتْ ملكك الفقاقيع معنى
وبناءً وبسطةً وفناء
بهرج المجد كان زورًا وإفنا
وبريقًا يكسو الفقاقيع حسنا
وهي مثل الهواء أو هي أوهى
وهي كالبرق ومضة وانطفاء

****

مصطفى عوض الكريم[1]

غريب[2]

ولا سلوى بلندن عن ... بلاد كلها سحرُ
فوا ظمئي لماء النيـ ... ـل وهو السائغ الثرُّ
فأين بلاديَ الحسنى ... وأين ظباؤها العفرُ
وأين شواطئ الوادي ... يرف بروضها الزهر
وهل لي أن أمر بأر ... بعٍ يسمو بها الطهر
وألثم في ربى السودا ... ن تربًا دونهُ العطر
وأجلس في ظلال النخـ ... ـل يسقط حوليَ التمر
كأني تحتها كسرى ... وأن غلاميَ الدهر
أنا في معشرٍ كالنمـ ... ـل لا يدركهُمُ حصر
أناس لست أفهمهمْ ... يلوح عليهم المكر
أرى شيئًا فيُحنقني ... فألقاهم به سُرُّوا

---

(١) مصطفى عوض الكريم (١٣٤٢ - ١٣٨٢ هـ = ١٩٢٣ - ١٩٦٢ م) شاعر سوداني حصل على درجة الدكتوراة من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن عام ١٩٥٩م، وعمل بعدها أستاذًا للأدب الأندلسي بجامعة الخرطوم. صدر له علاوة على مؤلفاته الأدبية ديوانًا وحيدًا بعنوان «السفير» عام ١٩٦١م. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٢٠/ ٣٧٩.

(٢) مصطفى عوض الكريم، السفير، ط ١٩٩١م: ص٣٠ - ٣٢.

معاشرُ مثلما شاءتْ ... طبيعة أرضهم زهر
ولكن بين أضلعهمْ ... قلوبًا دونها الصخر
تراقبني عيونهمُ ... كأني عندهم سر
وحيَّرَهُمْ سواد اللو ... ن في جسمي فلم يدروا
فمنهم قائل: شخصٌ ... يغطي جسمه الحبر
ومنهم قائل: «بل سا ... حر غيَّبه السحر»
ومنهم قائل: «بل أبـ ... ـيض أحرقه الجمر»
فقلت لهم: «من السودا ... ن إنسان ولا فخر
فقالوا لي: وما السودا ... ن؟ قلت: «فإنه قُطْرُ»
وخط الإستواء جنو ... به، وشماله مصر
وفيه النيل لم يعرفْ ... بمثل بهائه نهر»
فقالوا: إنه يهذي ... فما النيل؟ وما مصر؟
وخط الاستواء كذا ... ك أمرٌ قاله نكر
لحاها الله دنيا لا ... يُنال لبحرها غور
تطيل الهم في قلب ... المحب فيقصر العمر
يمر اليوم بي دنفًا ... ويتلو شهريَ الشهر
أقول لعلها الأحلا ... م تنأى إن أتى الفجر
فَعِلَّةُ مهجةٍ كانتْ ... يروح بفضلها الضر
وقلبٌ طالما قد ضا ... ق دون نضاله الصدر
فيطرد هذه الأحلا ... مَ هذا الواقع المر
متى ألقاك يا ليلى ... وثغر الدهر مفترُّ
دعوتُكِ دعوةَ المضطرْ ... رِ لمَّا ضاق بي الأمر
فلبى دعوتي طيفُ الـ ... ـخيال وبيننا البحر

وصــحــراءُ تَــضَــلُّ سبيــ ــلها فيها القَطَا الكُدْر
ولــيــس يهمني سود ولا بيض ولا حمر
عَــلَــيَّ إذا رجعتُ إليــ ــك يا محبوبتي نذر
بــأن أبقى لديك فلا يفرق بيننا الدهر

****

الرتيرو[1]

وخميلة سَكِرَ الندامى بالهوى
في ظلها لا بابنة العنقودِ
مشمولة قد رفرفَتْ أطيارها
فوق الغصون وجُدْنَ بالتغريدِ
وتفتحَتْ أكمامُها وتمايلَتْ
أغصانُها فحَكَتْ قدود الغيد
رق النسيم بها وداعب أوجَها
مسحورةً من أعين وخدود
والناس في الحلل الموشى رقمها
فكأنما انتشروا صبيحة عيد
سلكَتْهُمُ كفُّ الأصيل لآلئًا
منظومةً من توأم وفريد
سجدوا لآلهة الهوى والطيب والـ
ألحان والألوان أي سجود
وتعددتْ أربابهم وهم الألى
دانوا لرب العرش بالتوحيد

****

(١) مصطفى عوض الكريم، السفير: ص ١٢٣. والرتيرو منتزه سكان مدريد.

عبدالقادر رشيد الناصري[1]

شهرزاد مدريد[2]

عبرَتْ بي، وهي شقراءُ لها وجهٌ صبوحُ

في مساء تعبق الفتنة منه وتفوح

شاعريُّ الظل، مخضلٌّ، له النور مسوح

قلت: يا ضاحكة العينين! ماذا لو أبوح؟

أنا، لو تدرين، قلب بهوى الغيد جريح

شاعر طوَّف في الأرض فأشقاه النزوح

سئم القيد ببغداد وأدمتْهُ الجروح

فأتى باريسَ في ظل الأماني يستريح

☆☆☆☆☆

---

(١) عبدالقادر رشيد الناصري (١٣٣٩ - ١٣٨٢ هـ = ١٩٢٠ - ١٩٦٢ م) شاعر عراقي، انقطع عن الدراسة عام ١٩٣٣م، وعكف على تثقيف نفسه ذاتيًا؛ إلى ان اوفد إلى باريس لإكمال دراسته عام ١٩٥٠م، غير انه عاد بعد عدة اشهر نتيجة تقلب الأحوال السياسية على نحو افضى به إلى حال متدهورة. عثر على جثته ميتًا في أحد شوارع بغداد. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ج ١١ ص ٥٣٥.

(٢) عبدالقادر رشيد الناصري، ديوان عبدالقادر رشيد الناصري، جمعه وطبعه كامل خُمَيِّس، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٦٥م: ج١ ص ٣٤-٣٦.

فـــرأى حـلـمَ لـيـالـيه بـعـيـنـيك فـهـامـا
وتـسـامـى نـغـمًا يـشـرق بـالـحـب ضـرامـا

☆☆☆☆

ووقـفـنـا نتملى «الـسـين» والـلـيـل سـكـونُ
الـثرى سـحـرٌ، ونـور القمر الظامي حنينُ
عُـرُسٌ، فـالـورد والأنـسـام رقـص ولحـون
وعـذارى الشـهب في حاشية الأفـق عيون
فتعـانَقْنا بروحـينـا وهـزَّتـنـا الـشـجـون
وهتفنا: لمن الـصـهـبـاء والـلـحـن الحـنـون؟
ها هنا يحلو لعشاق الـلذاذات الجنون
فـهَـلُـمِّـي نـتـعـاطـاهـا فـدنـيـانـا فـتـونُ

☆☆☆☆

مـا عـلـى مـغـتـربـي دارٍ بـبـاريس أقـامـا
إن أحـالا الليل جامًا والمسرات مداما؟

☆☆☆☆

وانـتـحـيْـنـا حـانـةً تحكي أساطير الليالي
السنى في جوها الصاخب شرقي المثال
واندفـعـنـا بـين حشد من نسـاء ورجـال
يتسـاقـون عـلـى نـخـب لـيـالـي «الـكـرنـفـال»
قلت: يا ملهمتي الشعر ويا وحي خيالي
انزعيها من جنى «بوردو»[1] ومن تلك الدوالي
خـمـرة تكشف للشاعر عن سـر الجمال

---

(١) بوردو: مدينة فرنسية تقع على نهر الجارون بالقرب من مصبه جنوب غرب فرنسا.

ما علينا لو أذبنا الروح في نار الوصال

أنت يا زهرة مدريد ويا زهو الدلال:

☆☆☆☆

عيدَ أفراحي، وعطري، ومدامي، والندامي

قرِّبي ثغركِ أسكبْ فوقه روحي هياما

☆☆☆☆

قالت: اشرب قلت: (سنيورا) اشربي نخب لقانا

لا تقولي قد خلا الحان ولم يبق سوانا

الهوى العاصف لا يعرف للنجوى مكانا

نحن أغرودةُ حبٍّ ردَّدَ الدهر صدانا

ما علينا لو ختمنا بدم القلب هوانا

حسبُنا أنا احترقنا في جحيمٍ من أسانا

قَدَرٌ نادَى، وقلبان أجابا من دعانا

فعسى نبعث ذكرى «شهر زاد» والزمانا

☆☆☆☆

وتلاقت شفتانا ساعة كانت مناما

أَمَرَ الحبُّ فكنا في فم الدنيا ابتساما

****

محمود شوقي الأيوبي[1]

الغرب الجائر[2]

يــا رب إن الـــــداءَ داءٌ مــوجِــعُ
بـريـوعـنـا والـلـيـل لـيـلٌ أَسْــفَـــعُ
يـا رب إن (الــغــرب) شــذَّ بـجـورهِ
وعــلــى هـــوى (أذنـــابـــه) يـتـشـيـع
هـــذا (يـــهـــوديٌّ) وذلـــك (خـــائـــنٌ)
والــكــل فــي الــوطــن المــعــذب يـفـزع
أنــى نــظــرْتَ إلــى الـربـوع وجــدتَ من
ظـلـل المـصـائـب والـــردى مــا يُـفـجـع
بـــعـــض إلـــى شـــهـــواتـــه مـتـحـفـزٌ
مـتـكـالـبٌ عــن غــيِّــهِ لا يـرجـع

(١) محمود شوقي الأيوبي (١٣١٩ - ١٣٨٦ هـ = ١٩٠١ - ١٩٦٦م) شاعر كويتي تتلمذ بالمدرسة المباركية ثم التحق بدار المعلمين ببغداد وأنهى دراسته بها عام ١٩١٧م؛ اشتغل بالتدريس في العراق والكويت وأندونسيا ونشر الثقافة العربية وعمل بها طيلة إحدى وعشرين سنة حتى عاد للكويت عام ١٩٥٠م. أصدر عددًا من الدواوين الشعرية، أولها «رحيق الأرواح» ١٩٩٥م. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦٩١/١٩.

(٢) محمود شوقي الأيوبي، ألحان الثورة، ط١ الكويت ١٩٦٩م: ص٣٧٧ - ٣٧٨.

والغرب لاستعبادنا لا ينتهي

من جوره، يزجي الخطوب ويصفع

والبعض منا وهْو سيد قومهِ

يمشي مع المستعمرين ويخنع

حاشا الأباة الثائرون فإنهُمْ

عند العروبة نورها المتشعشع

بهمُ تعز محارمٌ ومواطنٌ

ولَهُمُ إذا حُمَّ القضاء المرجع

هم بيضوا تلك الوجوه وسجلوا

صحف الخلود بصنعهم وترفعوا

هذي مآثرهم تهلل في الحمى

وبكل قلب ضوؤها يتجمع

وشبابهم في الدهر ثورة شعبنا الـ

ـعربيِّ عند جلاله نتخشّع

مجدٌ بَنَى شهداؤنا أبراجَهُ

فيها محاريبُ العبادة تلمع

****

أحمد خيرالدين[1]

على شاطئ «نيس»[2]

هـنـا تـرقـد الـشـمـس وقـت الأصـيـلِ
وتـسـتـيـقـظ الأعــين الـسـاحـرةْ
هـنـا هـيـكـلُ الحـبِّ، عـشُّ الـغـرامِ
هـنـا مـسـبـحُ الأنـفـس الـشـاعـرة
عـلـى شـاطـئ «نـيـسَ» حـيـثُ الـعـذارى
يُـحَـيِّـينَ بـالـبـسـمـةِ الـفـاتـرة
تَـرَاهُـنَّ يمـرحـن مـثـل الـظـبـاءِ
ويـخـطـرن فـي الحـلـل الـسـاخـرة!
مـن الـشـمـس ينـسـجـن ثـوبًـا عـجـيـبًـا
بـه يـتَّـقـين لـظـى الـهـاجـرة
....
....

---

(١) احمد خيرالدين (١٣٢٤ - ١٣٨٧هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٧م)، شاعر تونسي درس بجامع الزيتونة، واشتغل بالتعليم وبالإذاعة، وكانت له عناية واضحة بالمسرح والترجمة. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ٢/٥٥٨.

(٢) احمد خيرالدين، ديوان واغاني احمد خيرالدين، ط الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨١م: ص ١٣٨ - ١٣٩. ونيس مدينة متوسطية وهي عاصمة الريڤير الفرنسية المشهورة في جنوب شرق فرنسا.

وتندى من الحر أجسادهن

كمثل ندى الزهرة العاطرة

تلفعن في (ثوب حَوّاءَ) كي لا

تُرى بيننا غادةٌ سافرةْ

خلعن الشفوف فَخِلْتَ الورود

تُفَتِّقُ أكمامها الناضرةْ

وأسرعن لِلْيَمٍّ وهو غضوبٌ

يعانقن أمواجه النافرة

ويرقصن رقصا خليعًا بديعًا

كمن جُنَّ بالنغْمة الساحرة!

وهُنَّ اللآلي بدورُ الليالي

ولغزُ الجمال، لدى السامرة

وطورًا تراهن مستلقياتٍ

يناجين بالهمسة الحائرة

إطارٌ من الشَّعر قد ضم (بدرًا)

تداعبه نسمةٌ عابرةْ

جسوم تمرغ فوق الرمال

من الشوق (كالحية) الثائرة!

فتنفق إذ ذاك سوق التجني

وتنبعث البسمة الماكرة

ملاكُ سلام، قصيدُ هيام

وشيطانُ يُلْهِي عن الآخرة!

وتصبح صفرَ اليدين وحيدًا

بعيدًا عن (الظبيةِ النافرة)

وإن بتَّ يُضنيك (داءُ الهوى)

فأجدى دواءٍ هو (الطائرة)!

☆☆☆☆

أخا الشعر إن رُمت تَحيا هنيئًا

وتخلدُ كالمُثُلِ السائرة

فلذ (بالطبيعة) وانشد جمالا

طهورًا لدى (الزهرة الطاهرة)!

ورفرف بروحك - روح الشعور -

على كل زنبقة ناضرة!

ولا يخدعنْكَ ابتسامُ الغواني

وإياك والغادة الفاجرة

فلا عيب في (نيسَ عُشِّ الجمالِ)

سوى العيشة الحرة الفاخرة!

وتلك الدواهي (نجوم الملاهي)

وكل (عجوزٍ) تُرى سافرة!

****

الأخطل الصغير[1]

الحرب بالكلمات[2]

نحن في لبنان

طُلْتَ يا ليليَ أو لم تَطُلِ
مثلك الفجر الذي سوف يلي

أيها الليل استطِل مهما تشا
وتحكم يا كرى في المقلِ

ما يفيد النور في إشراقِهِ
إن يكن أُطفئَ نورُ الأمل

أنا، مهما تطرد الشمس الدجى،
لا تزل نفسي بليلٍ أليل

أعشق الليل وما لي والضحى
عشت يا ليل: ألا فانسدل

---

(١) بشارة عبدالله الخوري (١٣٠٣ - ١٣٨٨هـ = ١٨٨٥ -١٩٦٨م) شاعر لبناني كبير عرف نفسه إلى قراء الشعر العربي بلقب الأخطل الصغير بعد أن وقَّع إحدى قصائده بهذا الاسم المستعار. أصدر صحيفة البرق، وصار نقيبًا للصحفيين اللبنانيين ومثل بلاده في عديد من المؤتمرات الأدبية، وبويع بإمارة الشعر سنة ١٩٦١م. وكرمته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين بأن أقامت دورتها السادسة ببيروت ١٩٩٨م باسمه ودارت ندوتها الأدبية حول فنه الشعري وأصدرت على هامشها طبعة كاملة لإبداعاته. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦٣٠/٣.

(٢) الأخطل الصغير، الديوان الكامل إعداد سهام أبوجودة، ط١ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت/ بيروت ١٩٩٨م: ج٢ ص١٦٤ - ١٧٤.

انسدِلْ تحجبْ عن الطرف الشقا

يا لطرفٍ بالشقا مكتحل

لا يرى، إذ تطلع الشمس، سوى

سائل أو عاجز أو وكلِ

عصف الفقر بهم، فانتشروا

كانتشار الوابئ المستفحل

يلهمون العشب من جوعِهِم

ويحهم ما تركوا للهملِ؟

بجسوم هزل، تحملها

بعباء واهيات الأرجل

ووجوه، كَتَبَ الموتُ على

صفحتيها: هذه الأوجه لي

صدق الموت بما قد قاله

ما ترى أشلاءهم في السبل؟

☆☆☆☆

الدول العظمى

دولةَ الماءِ، ولا تجري إذا

لم تشائي، قطرة في جدول

هو ذا النجمُ قريبٌ فاعتلي...

ما على الأسطول من أسطولِهِمْ

أيخاف البازُ شرُّ الحجَلِ؟

☆☆☆☆

ذكر «السين» عهودًا للتي

تيمت مهجتَهُ وهو خَلِي

فـــإذا بـــالــنــار فـــي أحـــشـــائِـــهِ
وإذا بـــالجـــرح لـــم يـنـدمِـل

فـمـشـى يـقـسـم أن لا يـنـثـنـي
عـــن لـقـا «ألـــزاســـه» أو يُـقـتـل

فَـلْـتَـكُ «الألـــزالـــس» يـا «ســـينُ» لهم
إنمـــا المـــلـــك لـــرب الأزل

لـــك عـــرش الـعـلـم فـــي أُبْـــهَـتِـــهِ
ولـــه ســـلـــطـــانُـــهُ فـــي الـــمِـــلـــل

حـــلـــم الـــقـــيـــصـــر أن يـــرفـــعـــهـــا
دولـــة «لـــلـــسَّـــلْـــفِ» فـــوق الـــدول

واســـتـــلـــذ الحـــلـــم...فـــاســـتـــعـــجـــلـــه
بـــالـظـبـى الـبـيـض وسُـــمـــر الأسَـــلِ

عـقـت «الـــبـــلـــغـــار» والحـــلـــم قـضـى
وتـــلاشـــى فـــي شـــهـــور الحَـــمَـــل

☆☆☆☆

قـيـصـرَ الـــروس، ولـــم يـحـلُـمْ بما
حُـــزْتَـــهُ تـــاجُ الـــمُـــعِـــمِّ المـخـول

لـــك نـصـف الـــنـــاس، لـــو تـنـهـضم
كـــانـــت الأمـــلاك بـعـض الخـــول

☆☆☆☆

إيـــه «غـلـيـوم» اسـتـزد مـن حـشـدهـا
واسـتـبِـح أبـنـاءهـا واسـتـرسـل

إنمـــا الأمـــة لـــلـــجـــيـــش... وقـــد
رَضِـيَـتْ فـاضـرب بـهـا واستـبـسـل

ومُرِ المَغْمَلَ في تسليحها
هو يُدعى معملٌ: فليعمل
واملأ البحر سفينًا، والفضا
«زبلينًا»... ساء فأل الأعزل
ومتى ينهضْ عزيزٌ فازْدِهِ
ومتى يجهل مليكٌ فاجهل
نم على صهوته أو لا تنم
وانطلق مثل النسيم المرسل
ترتجي أن تصبح الكف، وأن
تصبح الأملاك بعض الأنمل
أمل ناجزتهم من أجله...
ولقد يُردى الفتى بالأمل

☆☆☆☆

«فنون» الحرب

ليتنا في الكهف، حتى ينقضي
- لا شفاه الله - جهلُ الدول
سعروها. لو أصابت جبلا
راسخًا، لانهد ركن الجبل
أو أصابت جحفلًا، ما تركت
رجلاً حيًّا بذاك الجحفل
تارة وجه الثرى حربُهُمُ
وأحايين تراها من عَلِ
تقذف النار مناطيدهم
كانقذاف النيزك المشتعل

تسبق الطير إذا سابَقَهَا

ويهي الطير ولما تزل

وإذا ما سَعَّروها في الدجى

وترقّوا للسِّماك الأعزل

وترامَوْا باللظى واشتعلوا

وتهاووا كالقضاء المقبل

خِلْتَ أن النجم في عالمه

بات في كارثة لا تنجلي

سعَّر الحربَ فنادى المشترى

يالِثارات العلى من زحل

وبدا «الليث» على أنيابه

قطرات من دماء «الحمل»

بدع، لو لم تُشَاهَدْ، حُسِبَتْ

من أساطير الشعوب الأول

ورموا بالغاز قتالاً، فإن

ينتشر ينشر حبال الأجل

تحسب الجيش، وقد نُشِّقَهُ،

أخضر السنبل تحت الشمأل

يأخذ الفيلق إذ يبكمه

ولقد يأخذه بالخبل

ولقد ينساب في أنفاسه

مثلما انساب دم في مفصل

ولقد يتركه ذا صمم

ولقد يتركه ذا شلل

عدد، كانت لتشفى عللاً،
صيروها لاختلاق العلل...

ولجوا بطن الثرى، فهو بهم
جبهة الليث وحد المنصل

بل عرين يبعث الهول بما
ضم من ليث وليث مشبل

تركوا ضرب الظُّبى، كي يضربوا
في جلاميد الصفا بالمعول

وإذا ما خندقُ الأعدا بدا
نسفوه وانثنوا في عجل

فهنا: قد زلزلت زلزالها
ورمت بالجلمد المشتعل

فإذا الترب، لمن كانوا به،
كَفَنٌ بالدمع لم يغتسل

وإذا الخندق أمسى منزلا
أبديًّا... يا له من منزل

يا لعينيك ترى غواصة
نزلت من لجِّه في الأسفل

ولقد تُلمح في الماء، كما
يُلمح المعنى خلال الجُمَل

عجبا للحوت في أحشائه
بشر ما يأمروا يَمْتَثِلِ

حوت «يونان» حواه رجلاً...
ويحوت اليوم كم من رجل؟
وُجِدَتْ كي تصل السُّبْل، وقد
صارت اليوم لقطع السبل

☆☆☆☆

ويلات الحرب

يا لهول الحرب في ويلاتها
رمت الكون بخطب جلل
تلهم المليون لا يشبعها
ومتى تطعم أخاه تأكل
كم شموس في سما الماضي، وكمْ
من نجوم في سما المستقبل
ويتيمات فنون جمةٍ
حسبت من معجزات الأول
فإذا تلك انطفت شعلتها
وإذ هذي كَبَالِي طلل
ولكم روضة بيت ذبلتْ
وهي لولا حرها لن تذبل
وفتاة طفلة قد سألت
أمها - أين أبي لم يقبل
فلقد طالت بنا غيبته
وأنا اشتقت لتلك القبل؟..

ولكم عذراء كالبدر، على

قامة كالغُصُنِ المعتدل

تلمس النجمة في مبسمها

ويرى ذوب الدجى في المقل

سامها الفقر، وكانت قبلَهُ

تتغذى بخيوط المغزل

فأباحت ثغرها مرغمة

وهي، لولا جوعها، لم تفعل

أنا، مهما قلت في ويلاتها،

كنت ممن قنعوا بالوشل

☆☆☆☆

«مؤتمر الجماد»

أدوات الحرب، عنها أضربت،

والتقت أجمعها في محفل:

وقف الفولاذ فيهم خاطبًا

بكلام كالرحيق السلسل

قال: لو أنصفت، ما كنت سوى

سكةٍ أو معولٍ أو منجلِ

أسعف الإنسان في الحرث، ولا

أتوانى عند حصد السنبل

مؤثر لو كنت مسمارًا - ولا

خجل - في نعل طفل محول

أمنع الأشواك أن تجرحهُ
وأقي أرجله من بلل
☆☆☆☆
عند هذا الخَشَبُ اهتز وقد
قال: فلتُقطع يمينُ الرجل
حبذا اليوم الذي كنت به
غُصُنًا عند ضفاف الجدول
لي من الأوراق أبهى حلل
ومن الزهر نفيسات الحلى
وتثنيني نسيمات الصبا
ويسليني غناء البلبل
أحمل الأثمار يجنيها بنو
آدمٍ سائغة كالعسل
فإذا بي تارة مركبة
تحمل المدفع ثقل الجبل
وإذا بي تارة في سابح
وإذا بي تارة في معقل
أنا لو أنصفني المرء، لما
كنت إلا مغزلًا في معمل
أنسج الصوف فأكسوه ولا
أشتكي من تعب أو ملل
☆☆☆☆
عند هذا، الكهربا قالت، وقد
لمعت أنوارها للمجتلي،

قوتل الإنسان كم دمر بي..

وأنا روح النظام الأمثل

أحفظ الأجرام في أفلاكها

وأقيها عاديات الخلل

أنا ملء الكون: ما فيه سوى

خدمي أو خولي أو رسلي

قسمًا، لو كنت أدري أنهُ

بسوى الآثام لم يشتمل

لتَحَجُّبْتُ... فلم أظهر لهُ

ولما دنَّس يومًا هيكلي

ولما جَشَّمَنِي أثقالَهُ

ولما فارق ظهر الجمل

أنا لو خُيِّرْتُ لاخترت الخفا

ورجوعي للخمول الأول

☆☆☆☆

فانبري البارود، في حدتهِ،

وهو يغلي غليان المرجل

قال: لم ينكب بهم مثلي، ولم

يحتمل منكم بهم محتملي

قوتلوا من بشر، أفضلهمْ

إنْ يفاضل أي وحش، يفضل

أقذف المدفع، في أحشائهِ

للمنايا زمزمات الهول

حـمـم ظـمـأى، مـتـى مـا انـطـلـقـتْ،

فـدم الإنـسـان أروى مـنـهـل

تـصـدم الـحـصـن، فـتـذريـه وقـد

قـهـقـهـتْ مـن شـائـديـه الجُـهَّـل

أنـا، لـو خُـيِّـرْتُ، لاخـتـرت الـبـقـا

فـي يـد الآسـى وعـلـم الـصـيـدلـي

أنـقـذ الإنـسـان مـن آلامـه

ولـقـد أدرأ بـعـض الـعـلـل

☆☆☆☆

هـذه، وهـي جـمـاد، أَنِـفَـتْ

أن تـرى الإنـسـان يـهـوي مـن عل

يـدعـي الـعـقـل، ولـكـن حـربُـهُ

أنـبـأتْـنَـا أنـه لـم يـعـقـل

☆☆☆☆

أيها العصر

أيـهـا الـعـصـر الـذي آيـاتـه

سـامـتْـتْ آي الـكـتـاب الـمُـنْـزَلِ

كـم تَـنَـقَّـصْـتُ عـصـورًا سـلـفـت...

ويـلـنـا مـن عـصـرك المـكـتـمـل!

قـسـمًـا، لـو بُـعـثـت واتُّـهِـمـت

بـالـذي جـئـت: ارتـدت بـالـخـجـل

عـصـر «نـيـرون» و «نـيـرون» مـعًـا

رفـضـا، لـو خُـيِّـرا، بـالـبـدل

ضحك الجهل من العلم وقد
فاخر الجدّ بماضي الكسل

☆☆☆☆

قَذْكَ يا عصرُ اختراعًا، إنه
مكمن الويل ولكن قد طُلي
كالمُرائي لابسًا شفافَةً
للتقى فوق فؤاد دَغِل
أو كصمصام، بخديه الردى
كامن، والغمد زاهي الخلل
تغمر الكون، لكي تهدمه،
ليت ذيّاك البنا لم يكمل
وتربي الطفل، كي تقتله،
ليت أحشاء النسا لم تحمل

☆☆☆☆

يا لخطب العلم في أبنائه
إنه منهم بداء معضل
قوسوا من ظهره، فيما جنوا،
فهو قد شاب ولم يكتهل
نعم، عُقّتْ له في جيدهم،
فهي، من كفرانها، في عَطَل

سنة١٩١٥

****

إبراهيم زكي[1]

لوديج فان بيتهوفن[2]
١٧٧٠ - ١٨٢٧م

إن غبت عنا فلم تسمع ولم تُجِبِ
فإن صوتك في الأسماع لم يغبِ
وإن غدوت بدنيا أهلها صَمَتٌ
فقد تركت نواحي الأرض في لجب
أو باعدتنا أصول منك واختلفتْ
أنسابنا فكفى بالفن من نسب
وإن طوتك المنايا غير حافلةٍ
فالفن ينشر ما تطوي يدُ العَطَب
وإن تجردْتَ من حسٍّ فحسبك ما
يوحيه فينا حلال الفن من طرب
وإنما الفن إحساس إن امتلأتْ
به الجوانح من أدوائها تَطِبِ

(١) إبراهيم زكي، (.... - .... هـ = ... - .... م)، شاعر مصري ولد في مطلع القرن العشرين، وعاش اغلب فترات حياته بالإسكندرية، درس القانون واشتغل وكيلًا للنائب العام سنة ١٩٢٧م، ثم قاضيًا بالمحاكم الأهلية عام ١٩٤٣م. راجع: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ٣٠٣/١.

(٢) إبراهيم زكي، الأشعار الأولى، القاهرة ١٩٢٧م: ص٦ - ٩.

وإنما الفن إلهام ومقدرة

وليس في الفن من لهو ومن لعب

والفن نور من الرحمن ينشرُهُ

على الوجودِ فيجلو ظلمةَ الكُرَبِ

وقوة من قوى الدَّيَّان كامنةٌ

في النفس تسخر بالتيجان والنشب

وإنما الفن كل الفن مهبطُهُ

وادي أغانيك وادي السحر والعجب

أبُّ الاغاني وما ناديتَ مستمعًا

هذي أغانيك تشجي مسمع الحقب

هذي أغانيك من أحزانك انسجمت

كم من أغانٍ حواها صدر منتحب

هذي أغانيك تدنينا وتبعدنا

من كل مبتعد منا ومقترب

هذي أغانيك تطوينا وتحجبنا

عن العيان وتبدي كل محتجب

أبُّ الأغاني وما فاتتك أغنية

تسقي النفوس كسقي الطَّلِّ للعشب

تغيب بالنفس في مجهول عالمها

وكم تمنيت أن النفس لم تؤب

هذا الوجود لقد أنطقت أعجمَهُ

فأي سمع إليه غير منجذب

وللوجود لغات أنت تعلمها

لا في المعاجم معناها ولا الكتب

لــولا أغــانــيـك مــا كـنــا نــواجــهــهُ

إلا بــقــلــب مــن الأوهـــــام مــضــطــرب

أمــا ســمــعــت لــه فــي الــبــحــر زمــجــرةً

والــبــحــر يــزخــر بــالــتــيــار والــعــبــب

وفـــي الــريــاح عــويــلًا وهـــي صــافــرةٌ

فــي المهمه الـقـفـر أو فــي المـربـع الخـرب

وفـــي الــرعــود هــزيمًــا وهـــي قــاصــفــةٌ

وقـــد تــلــبــد وجـــه الجـــو بــالــســحــب

أبُّ الأغـــانـــي أمـــا لــلــمــوت أغــنــيــةٌ

طُــولَــى تَــطُــوحُ بمــا لــلــمــوت مــن رهــب

حــســب الحــيــاة أغـــانٍ مــنــك طــائــحــةٌ

بمــا تــصــم بــه الأســـمـــاع مـــن كـــذب

****

عادل الغضبان[1]

أيها الجندي[2]

عرف الناظم في أحد المصايف المصرية إبان هذه الحرب جنديًّا من جنود الحلفاء كان على جانب كبير من الثقافة وكان يجيد عدة لغات منها العربية فرغب إلى الناظم أن يهدي إليه إحدى قصائده على سبيل التذكار فنظم له هذه القصيدة:

وطـــن فـــي ســاعــة الــهــول أهــابــا
والــعــوالــي دونـــه كـــن الجــوابـــا

وتـــقـــاضـــاك عـــلـــى مــذبــحــهِ
أنـــفَــسَ الــذخــر فــقــدمــت الــشــبــابــا

وتـــخـــذت الـــنـــار والـــشـــرك أخًـــا
بـعـد إذ فـارقـت أهــلاً وصحـابـا

وتـــبـــدلـــت بـــربـــع مـــؤنـــسٍ
مـسـكـنًـا وحـشًــا وصـحــراء يـبـابـا

---

(١) عادل الغضبان (١٣٢٦ - ١٣٩٢ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٧٢ م) ولد بتركيا ونشا بحلب واستوى عودًا وتكوينًا ثقافيًا في القاهرة وفيها عاش ومات. اشتغل بالتدريس، وتسلم بعض المناصب الثقافية والصحافية في مؤسسة دار المعارف، زار معظم البلدان الأوروبية سائحًا أو مشاركًا في بعض المنتديات الأدبية والشعرية. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ج٩ ص ٦٧٥.

(٢) عادل الغضبان، مجلة الكتاب، المجلد الأول، السنة الأولى، ج١، تاريخ نوفمبر ١٩٤٥م: ص٩٩ - ١٠٠.

يا لها في الأرض من تضحية
عظمت في الملأ الأعلى ثوابا

☆☆☆☆

قم إلى الحرب وخض منها العبابا
وامتطِ الفولاذ في الروع ركابا
غص بقعر البحر واسبق حوته
واعلُ في الجو وشُقَّ فيه السحابا
زلزل الأرض وروِّع أهلها
بزئير يفزع الأُسْدَ الغضابا
وابعث النيران سيلًا عاصفًا
يجرف السهل ويجتث الهضابا
واملأ القسوة جنبيك وقل
إن عند الله للباغي العقابا

☆☆☆☆

دمك الطاهر إن يرو الترابا
ولئن يصبغْ من الأرض الجنابا
أو يمزق جسمك الغض الردى
ويزاحم فوقه النسر العقابا
أو يُوَسِّدْك ثرى غير الذي
ذقت من خيراته الشهد المذابا
تشترِ العزَّ وترفعْ للحمى
فوق أشلائك صرحًا وقبابا

وتكن فيه مسيحًا ثانيًا
حمل الآلام عنه والعذابا

☆☆☆☆

إن صبح النصر مهما يك غابا
فغدًا تلقاه قد شق الحجابا
فانتظم تاجك من لألائه
واخفض السيف وأودعه القرابا
خمدتْ نار الوغي فارجع إلى
بيتك الحر ولو أمسى خرابا
واسمع الأوطان تشدو طربًا
وتغنيك الأناشيد العِذابا
أيها الجنديُّ قد صنتَ الحِمى
أيها الجنديُّ حررت الرقابا

****

عبداللطيف النشار[1]

بين أثينا وبين روما[2]

بـــين «أثـــيـــنـــا» وبـــين «رومـــــا»
تـــغـــوص بـــالـــفـــكـــر أم تـــطـــيـــرُ؟
فـــــي ظـــلـــمـــــاتٍ بـــــقـــــاع يمٍّ
لـــيـــس بـــهـــا ذَرَّةٌ تـــنـــيـــرُ
تـــخـــتـــنـــق الـــعـــين فـــــي دجـــاهـــا
والـــنـــفـــس والـــــروح والـــضـــمـــيـــر
فـــتـــلـــك «رومـــــا» الـــتـــي يـــبـــاهـــي
بمـــجـــدهـــا جـــيـــلـــهـــا الأخـــيـــر
ضـــخـــامـــة مـــا لـــهـــا رواء
يـــنـــكـــرهـــا الحـــس والـــشـــعـــور
يـــا زهـــــرة مـــا لـــهـــا عـــبـــيـــر
فـــي ظـــلـــك الـــضِّـــيـــقُ والـــنـــفـــورُ

---

(١) عبداللطيف النشار (١٣١٣ - ١٣٩٢ هـ = ١٨٩٥ - ١٩٧٢ م)؛ شاعر مصري، قضى حياته بين مصر وإنجلترا وفرنسا؛ اشتغل بالعمل الصحفي في مدينة الإسكندرية، وكان له نشاط بارز في ميدان الترجمة. راجع معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١١/ ٦٧٨.

(٢) عبداللطيف النشار، مجلة الرسالة، عدد ٣٨٦، السنة ٨، تاريخ ١٩٤٠/١١/٢٥م: ص١٧٥٠.

يا زمنًا لم يزل يدور

مبدأ روما هو المصير

شعب ضعيف يسير كرهًا

كما يرى حاكم كبير

هيهات هيهات يا أثينا

لن تقبلي الحكم إذ يجور

دنيا من الحسن يا أثينا

لا بَرِحَتْ شمسها تنير

يريد إطفاءها غشومٌ

هذا لعمري هو الغرور

قد عاش حرًّا ومات حرًّا

ذلكمو الشاكر الصبور

وَارِثُ سقراط في حجاه

تعجز عن كيده الدهور

في الحرب والسلم يا أثينا

تشرق في جوك البدور

فيك بشير بكل ما لم

يأتِ بمصرٍ له بشير

لو لم تكن مصر لي بلادًا

لقلت في أرضك النشور

لبيكِ لبيكِ يا أثينا

أسمَعَنِي صوتُك الجهير

ما جُنَّ «بيرون» في هواها

لكنه شاعر بصير

****

أبناء نيرون[1]

أبـنـاء بـرلـين لـهـم عـذرهُـمْ
خـيـالـهـم طـاغٍ عـلـى الـواقـعِ
إلا تـكـن حـقـا أمـانـيُّـهـمْ
فـإنـهـم فـي حـلـم رائـع
أهـل حـروب صـادفـوا أهـلـهـا
فـدافـعـوا عـن حـسـب رافـع
إن يـخـفـقـوا فـي الـحـرب، ولـيـخـفـقـوا،
فـقـد أتـوْا بـالـعَـجَـبِ الـرائـع
وأنـت يـا رومـا بـلا عَـاذر
شـربـتِ مـن سـم الـوغـى الـنـاقـع
(وإنـمـا الـفـتـك لـذي خـسـةٍ
شـبـعـان أو ذي كـرم جـائـع)
حـسـبُـكِ يـا رومـا رضـى الـقـانـعِ
أو فـارقـبـي عـاقـبـة الـطـامـع
كـرامـة الـدافـع والـوازع
هـمـا عـمـاد الـفـاعـل المـانـع
وأنـت لا حـقٌّ ولا قـوةٌ
ولـسـتِ أهـلاً لـلـسـنـا الـلامـع

(١) عبداللطيف النشار، مجلة الرسالة، عدد ٣٩١، السنة ٨، تاريخ ١٩٤٠/١٢/٣٠م: ص١٨٨٧.

وأنت لا شيء سوى نعرة
أبلغُ ما فيها أذى السامع
دعتكِ برلين فسايرتِها
هيهات ما المتبوع كالتابع
أبناء نيرون بكم ما به
من قدرة، لكن على الوادع
أبناء نيرون بكم ما به
من جزع في الموقف الفاجع
أحرق روما طالبًا لذةً
لذته في موقف الضارع
منتحرًا يبكي على نفسه
بين وميض اللهب الساطع
في كفه الموسى وألحاظه
حائرة في المحجر الدامع
أبناءه لم تتركوا نهجه
كلكمو من ذلك الطابع
وكلكم أجرم إجرامَهُ
وما له في الغد من شافع
وكلكم موساه في كفهِ
فلتثأروا للأمل الضائع
أو هادنوا الإغريق من قبل أن
يتسع الخرق على الراقع
أو أحرقوا روما كنيرونكم
تنجو من المخدوع والخادع

****

كأس سقراط[1]

رأى المـوتَ سـقـراطٌ فلم يـخش وجـهَـهُ
فـهـل ضـل سـقـراطٌ وقـد كـان هـاديـا

وهـل كـره الـدنـيـا مـوَدِّعُ حسنها
إذا هـو لـم يـلـق المـنـيَّـة بـاكـيـا

تـقـول الـتـي عـن بيتـهـا خـف رحـلـهِ
«لـقـد مـات مـظـلـومـا!» فـقـال مداجيا

«وهـل كـان خـيـرًا أن أودع ظـالمًـا؟»
وجـرّع كـأسًـا لـلـمـنـيـة راويـا

إذا أنـا ودعـتُ الحـيـاة فـإنـنـي
أودعـهـا جـذلان فـرحـان راضـيـا

ومـا ذاك عـن كـره لـهـا غـيـر أنـنـي
أرى كـل شـيء حـادثًـا مـرضـيًـا ليا

أرى الـقـدر المـقـدور عـدلًا ولـم يـكُـنْ
ليغضبني عـدلٌ إذا مـا اعـترانيا

ومـا المـوت إلا حـادث فـي حياتنا
ولـسـت لـشـيء فـي حـيـاتـيَ قـالـيـا

أهـش لـكـأس الـسـم والـكـأس فـي يدي
وأرحـل والـدنـيـا لـديَّ كـمـا هـيـا

---

(١) عبداللطيف النشار، ديوانه، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٨م: ص٢٢٧ – ٢٢٨.

ولست بمختار الحياة على الردى

فإني وجدتُ الحادثين سواسيا

ولست بمختار الردى قبل حينه

ولا قائلًا لو كنت أرجع ثانيا

عليَّ لنفسي أنني قد عرفتُها

فأعطيتُها من عملة الجهل شافيا

فلست الذي يأسى إذا حم حينه

كما قال قيس[1] حين أجهش باكيا:

«قضاها لغيري وابتلاني بحبها

فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا»

ولكنني قد عشت ما عشت راضيا

فإن مت لاقيت المنيَّة راضيا

ولما عرفت النفس أقنعتُها بها

فما خلتني قد قلت (يا ليت ذا ليا)

طماحُ قَنُوعٍ أو قناعةُ طامحٍ

فإني أرى عرفانك النفس كافيا

وما الموت حدًّا للذي عاش رأيه

فأبلغُهُ أحفادُهُ والذراريا

ومن لم يعش حرًّا فلا عاش لحظة

أَنِرْ يا ضياء النفس هذي الدياجيا

****

(١) إشارة إلى قيس بن الملوح شاعر الغزل العذري المشهور وصاحب القصة الذائعة مع محبوبته ليلى العامرية.

وقفة على نهر التاميز[1]

هـــذا هــو الـتـامـيـز لـيـس كنيلنا
فــرعٌ تـنـافـسـه الــفــروع فـيـضـؤُلُ

لـكـنـمـا قَــسَــمَ الـحـظـوظَ مـقـسِّـمٌ
فــي كــل شـــيء لا مــحــالــة يـعـدل

هـــذا لـمــاضـيــه وذاك لـحــاضـر
مــنــه، وذاك نـصـيـبـه الـمـسـتـقـبـل

ويــحــوِّل الأشــيــاءَ وفــق مـشـيـئـة
مــن دونــهــا سـتـر عـلـيـهـا مـقـفـل

يــا نـيـلَـنـا أَهْـــلٌ لـمـاضٍ لـم يـدم
يــا نــيــل لـكـنـي أراك تـؤهـل

أو هــكــذا أرجــو الإلـــه وآمـــلُ
أو لا.. فـخـاطـر شـاعـر يـتـخـيـل!

وأراك يــا تـامـيـزُ تـهـبـط هـاويًـا
وكـمـا نـزلـنـا مــن سـمـاءٍ تـنـزل!

والـلـه لـيـس شـمـاتـةٌ مـا يـنـطـوي
قـلـبـي عـلـيـه فــإن قـلـبـي أعـدل

---

(1) عبداللطيف النشار، ديوانه: ص٢٨٠.

لكنْ هي الدنيا مواكب أعصرٍ

في سيرها المحمول والمترجل

الآن يا تاميز تروي غُلّتي

والنيل كنت أعلُّ منه وأنْهَلُ

عذبٌ مذاق الماء عندك في فمي

لكن ماء النيل عندي أجمل

****

محمود غنيم[1]

محنة فرنسا[2]

رحماك رب إلام نصلى نارَها؟
فَنِيَ العبادُ ولم تضع أوزارها
غابت ملائكة السماء، وأصبحتْ
تذرو أبالِسَةُ الجحيم غبارها
قبضت على سكانها يد ماردٍ
جعل الصبيب من المداد بحارها
في كل وادٍ ثورة مشبوبةٌ
لا يطفئ البحر الخضم شرارها
حتى كأن الأرض من إعيائها
سكنَتْ وأخطأت النجوم مدارها
كتب الفناء على البرية.. ويحهُمْ
ما بالهم يستعجلون دمارها

---

(١) محمود غنيم (١٣٢٠ - ١٣٩٢ هـ = ١٩٠٢ - ١٩٧٢م) شاعر مصري، تخرج من كلية دار العلوم عام ١٩٢٩؛ اشتغل بالتدريس وترقى في وظائف التعليم حتى صار عميد مفتشي اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم. شارك في الكثير من المهرجانات الأدبية العربية والدولية، وأصدر عددًا من الدواوين الشعرية أولها «صرخة في واد» ١٩٤٧م. راجع: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٩/٢٠.

(٢) محمود غنيم، الأعمال الكاملة، ط دار الغد العربي، القاهرة ١٩٩٣م: مج١ ص٤٣ - ٤٧.

زمــرٌ مــن الأســمــاك نــاطــقــةٌ إذا

ما جاعتِ ازدرد الكبار صغارها

☆☆☆☆

حــربٌ رأيــت الجــوع بعض سهامها

فرضت على المتراشقين حصارها

غــدتِ الجبـال الشامخات سفينها

والزاحفات من الحديد مهارها

الــزيــت والــبــتــرول مــن آلاتــهــا

والعلم ينفخ إن خبت أكوارها

قــد ســيــرت فــوق الــثــرى دبّابها

وإلى الكواكب صعّدت طيارها

مــلأت قذائفها العباب، فعكرَتْ

زَبَدَ البحار وكدرت أغوارها

يا بحر ما فعلَتْ مياهك - ويحها -

برفات قوم يسكنون قرارها

ضــجّــتْ بنات الماء منه، وأوشكتْ

تجفو الطيور لأجله أوكارها

☆☆☆☆

يــا رُبَّ شــعــبٍ فــي حــمــاه وادعٍ

جرفَتْهُ لُجّتها فخاض غمارها

ومــحــاريــين لغيرهم أسلابُها

لكنهم يتحملون خسارها

وذوي عــروش طــوَّحَــتْ بعروشِهِمْ

وتخطّفَتْ من حولها أمصارها

تتطاير التيجان عن أربابها
كالقِدْرِ تنفث في الفضاء بخارها
عِبَرٌ على مر القرون تشابَهَتْ
حتى أجاد العالم استظهارها
وروايةٌ من عهد ذي القرنين، ما
برح الزمان مرددًا أدوارها
أوَ كلما كادت تتم فصولها
مُنِيَتْ بشيطان يزيح ستارها

☆☆☆☆

سائِلْ ضفاف «السين» كيف استُهدِفَتْ
للغزو، واقتحم العدا أسوارها
خَطٌّ حسبنا الجن لو مرت به
ولَّتْ أمام حصونه أدبارها
أترى «فرنسا» أطبقت أجفانها
من خلفه، وتجاهلت أخطارها
هيهات! لا الحصن المنيع أقالها
كلا، ولا الأدب الرفيع أجارها
لا تعدم المرآة كسر زجاجها
يومًا وإن كان الحديد إطارها
إن المعاقل لا تحصن أهلها
ما لم تُحَاكِ قلوبُهم أحجارها
قالوا: مهادنة فقلنا: حبذا
لو أن هدنتها تقيل عثارها
هيهات! ما أرضت بذاك خصومها
كلا، ولا استبقت به أنصارها

مـــاذا تـقـول إذا الجـدود تـعـثـرَتْ
وإذا المشيئة أنفذت أقدارها
وإذا قـضـاء الـلـه أحـدق بـالـشـرى
لـم تـلـقَ آســادُ الـشـرى أظـفـارهـا
كـالـوا المـلام لـهـا، فـقـلـت: تـريـثـوا
يـا قـوم، والـتـمسوا لـها أعـذارهـا
أو مـا كـفـاهـا أنـهـا مـا سَـلَّـمَـتْ
حـتـى طَـلَـتْ بـدمـائـهـا أنـهـارهـا
إن قـيـل: عــارٌ أن تـسـلِّـم أمـةٌ
نـهض الـدم المسـفـوح يـغـسل عـارهـا
إنـــي لأشـفـق أن يـكـون مـصـابـهـا
أزرى بـجـوهـرهـا، وشـان نـضـارهـا
ومـحـا مـحـاسـنـهـا فـعُـدْنَ مـسـاويًـا
وأحـال لـؤلـؤهـا: فـصـار مـحـارهـا
مـن يـكـبُ لـم تـعـذره عِـثْـرَتُـهُ، ومـن
يـنـهـضْ تُـقَـلِّـدْهُ الأعـادي غـارهـا
والـنـفـس تـعـجـب بـالـقـوي وإن يـكـن
جـلاد تـلـك الـنـفـس أو جـزارهـا

☆☆☆☆☆

أسـألْـتَ «بـاريـسَ» المهيضةَ: مـا لـهـا؟
سـل أهـلـهـا: هـل قـوَّمـوا مـنـهـارهـا
سـلـهـا بـربـك: كـيـف ذل عـزيـزهـا
وتـحـمـلـت أسـد الـعـريـن إسـارهـا
كـيـف الـغـوانـي والمـغـانـي بـعـدمـا
طـمـس المـغـيـر بـجـيـشـه آثـارهـا؟

بالله هل عاث العدو بأرضها
وهل استرق ببأسه أحرارها
ماذا أصاب مدينة الأزياء؟ هل
أبلى القتال المستحر إزارها
هل أظلمَتْ آرادها؟ ولطالما
حسد النهار وشمسه أسحارها
وهل المخابئ أصبحت مأوى لِمَنْ
كانت مقاصير المسارح دارها
راعت أراملها الحروب وخلّفت
في حسرة لا تنقضي أبكارها
من كل نافرة يدق فؤادها
لم ينفر الظبي الغرير نفارها
نفرَتْ من الحرب الضروس وطالما
كان النِّفار من الدلال شعارها
ما للتي أَلِفَ المزاهر سمعُهَا
وزئير آلاف الوغى وخوارها
حملَتْ هموم الحرب في «باريس» مَنْ
كانت يداها تشكوان سوارها؟
كم غبَّرَتْ بدُخَانها وجهًا، إذا
بَصُرَتْ به شمس السماء أغارها
سائِلْ عن القبلات أهليها: أما
زالت تحس شفاهُهُمُ تيَّارها
كيف القلوب الخافقات صبابةً
تفشى مواعيد الدجى أسرارها

شـــهـدَتْ خـمـائـلـهـا مـــواقــعَ لـلـهـوى

مـــا حـــرَّكــت مـــن خـيـفـة أطـيــارهـــا

شـــتـــان بـــين مَـــــواقـــعِ ومَـــــواقـــعِ

كـلـتـاهـمـا تـشـكـو الـضـلـوع أوارهـــا

☆☆☆☆

مـــا كـنــت، يـــا بـــاريـــس إلا روضـــةً

مُـنـيـتْ بـسـائـمـةٍ رَعَـــــتْ أزهـــارهـــا

أصـمـى الـحـضـارة مـن رمـــاك، فـإنـهـا

مـنـك اسـتـعـيـرت مـن ســـواك أعـارهـا

وجـــنَـــتْ يــــداه عـلـى عـلـوم طـالـمـا

أجـريْـتِ شِـرْعـتـهـا وشِــــدْتِ جـدارهـا

مـــا ضــرنـي أن لـــم أزرهـــــا طـالـبًـا

وقـــد اقـتـبـسْـتُ الـعـلـم مـمـن زارهـــا

بـــاريـــس، أيـــن دمـشــق أو بــغـداد، هـل

قـصَّـتْ عـلـيـك رواتُـــهـــا أخـبـارهـــا؟

الـمــــدْن مـثـل الـنـــاس فـــي أجـالـهـا

تـفـنـى الـبـلاد إذا قـضـت أعـمـارهـا

****

شبح الحرب[1]

هو الموتُ إن قامتْ على ساقها الحربُ
وإلا، فحسْبُ الناسِ ما يفعل الرُّعبُ

يلوح لهم في الصَّحْو والنوم طيفُها
ودون انتظار الخَطْب أن يقعَ الخَطْب

فزِعْنا، فلا جفنٌ من الخوف مطبقٌ
ولا مستقِرٌ في مضاجعه جَنْب

ولا أنفَ إلا عالق بكِمامةٍ
ولا دار إلا شُقَّ في جوْفِها جُبُّ

وما اكتوَتِ الأيدي ولا احترق الحشا
بجمرٍ كجمرٍ لا يشبُّ ولا يخبو

فيا أيها الليثُ المكشِّرُ للورى
حنانَيْك! إمّا الانصرافُ، أو الوثْب

مطامعُ غرّ الغربَ وَمْضُ سرابها
فأصبح يَصْلَى نارَها الشرق والغرب

كأني بها قامَتْ، وشبَّ أُوارُها
وقد جفَّتِ الأقلام، وانطوتِ الكُتُب

سفينٌ بلُجِّ البحر يرميه مثلُه
وسِربٌ بأعلى الجو يقذفُه سِرب

---

(١) محمود غنيم، الأعمال الكاملة: مج١ ص٥٩ – ٦١.

وبينهما تمشي المنايا كأنها
طيورٌ، وأرواحُ الأنام لها حَبُّ
وَغًى، لا الدروعُ السابغاتُ موانعٌ
أذاها، ولا مُجْدٍ بها الصارم العَضْب
تثلّم حَدُّ السيف، وانقصفَ القنا
وأصبح لا طعنٌ هناك ولا ضرب
كأني بها ترمي مدافِعُها، فلا
يطيشُ لها سهمٌ، ولا مضربٌ ينبو
تُدمِّر ما تأتي عليه، لوَ انّها
تُصوِّب نحو الألْبِ، دُكَّ بها الألب
هي البرق خطّافًا، هي الرعد قاصفًا
هي الشهبُ إذ تهوي من الفُلُكِ الشهب
فمن كان يصطادُ الحَمام بنبْلِهِ
فإن لنا نبلاً يُصاد به القُطب
كأني بها والطائراتُ بغازِه
تجودُ كما جادت بوابِلِها السُّحْب
يمدُّ إلى الأرواح كفّيْه خلسةً
فلا الرأسُ مقطوعٌ، ولا الدّم مُنصبّ!
رقيقُ الحواشي لا تكاد تُجِسُّهُ
وألْيَنُ منه الصَّخرُ والمعدن الصلب
له قطراتٌ لا يُبَلُّ بها صدًى
ولا يابسٌ تُبقي عليه ولا رطب
إذا انتشرتْ في الأفق لم ترعَ حُرمةً
لأنثى، ولا شيخٍ علا رأسَه الشَّيب
إذا انتشرتْ في الأفق تصرَعُ كاعبًا
وتخنق أمًّا خلفها طفلُها يحبو

لقد شِيب بالسمِّ الهواءُ، فهل ترى

يُشاب من الأنهار سائلُها العذب؟

☆☆☆☆

أرى الغربَ يدنو كالفَراش من اللَّظَى

ألِلقوم في إحراق أنفسِهم إرْب؟

ويا رُبَّ حربٍ منذ عشرين حِجَّةً

بكلِّ فؤادٍ من جراحَتِها نَدْب

أضرَّتْ بحِزبَيْها وإن تمَّ نصرُها

لحزبٍ، وقاسى ذُلَّ خِذلانها حزب

إذا ما ذكرناها اقشعَرَّت جلودُنا

إذ الناس كالأنعام قوتُهمُ العشب

وإذ همْ بأكناف الخنادق ما لَهم

مضاجعُ غير التُّربِ لو نفع التُّرب

يُقاسون حَرًّا ما لضَبٍّ بحمله

يدانِ، وبردًا ليس يحملُه دُبُّ

وحَشْوُ أنوفِ القوم غازٌ مسمَّمُ

وللنار في أبدانهم مرتعٌ خِصب

فيا لحروبٍ لا يجفُّ لها دمٌ!

ويا لشعوبٍ كلما نهضَتْ تكبو!

أجِدَّكمُ يا قومُ، طال بنا السُّرى

ولم يسترِحْ حينًا من السَّفر الرَّكْب

لقد سار نحو المجدِ قومٌ فأدْلَجوا

ولم يعلموا أين انتهَى بهِمُ الدرب؟

ولو أنفقوا في الخير ما يُنفقونَه

على الحرب، عمَّ الخِصبُ وانقطع الجَدْب

ولـم يـبـقَ طـاوٍ لـيـس يمـلـكُ قـوتَـه
ولـم يـبـقَ عـارٍ لـيـس يـسـتـرُه ثـوب

☆☆☆☆

شـعـوبٌ بـعـصـرِ الـنـورِ يـفـتـكُ بـعـضُـهـا
ببعضٍ كما يـعـدو عـلـى الحَـمَـلِ الـذئـب
يُمـثّـل بـالإنـسـان فـيـهـا، وربـمـا
أقـام قـريـرَ الـعـيـن فـي ظـلِّـهـا الـكـلـب
إذا قـنـص الـلـيـثُ الـغـزالـةَ سـاغِـبًـا
فـمـا عُـذْرُ شـعـبٍ بـات يـقـنـصُـه شـعـب؟
ذنـوبُ الـضِّـعـاف الـعـاجـزيـن كـثـيـرةٌ
ومـا لِـقـويّ إذ تُـحـاسـبـه ذنـب
كـأنْ لـيـس بـيـن الـعـالـمـيـن شـرائـعٌ
ولا خـلـفَـهـم بـعـثٌ، ولا فـوقَـهـم ربّ
ولا فـي قـوانـيـن الـبـريّـةِ رحـمـةٌ
ولا شـيءَ فـي الـدنـيـا يُـقـال لـه: الـحـب!
ولـم يـبـق مـعـبـودٌ سـوى الـقـوتِ وحـدَه
فـكـلُّ فـؤادٍ مُـسـتـهـامٌ بـه صَـبُّ
عـزاءٌ لـنـا أن الـحـضـارة أفـلـسَـتْ
فـرونَـقُـهـا زيـفٌ، ومـنـطِـقُـهـا كـذب
إذا مـا تـمـثّـلْـتَ الـحـضـارةَ، خـلْـتَـهـا
لـبـاةً لـهـا جـوفٌ، ولـيـس لـهـا قـلـب
سـلِ الـعـلـمـاءَ الـفـاخـريـن بـعـلـمِـهـم
أجـاؤوا بـنـور الـعـلـم أم نـارَهُ شـبُّـوا؟

****

عبدالرحمن صدقي[1]

ميناء نابولي[2]

صحوتُ على التهليل والهاتف العالي:
هنا نابلي في الأفق تختال كالآل
فما صكَّ تهليلٌ بأرضك مسمعي
على غفلة حتى وثبت إلى بالي
وثرت إلى ظهر السفينة معجلا
كأني هنا لاقيك من بعد أجيال
يصافح عيني الماء أزرق صافيًا
وقد شابه ورد الصباح بجريال
ولاح بأقصى الأفق «فيزُوفُ» داخنًا
كظيم اللظى يطوي كوامن أهوال
صهير الحشى جهم الجناب محمَّمًا
يحدث عن حالي ومضمر بلبالي

---

(١) عبدالرحمن صدقي (١٣١٤ - ١٣٩٣هـ = ١٨٩٦ - ١٩٧٣م)، شاعر مصري مجدد، اشتغل بالصحافة وعمل بالتدريس في المعهد العالي للفنون المسرحية، وعُيِّن مديرًا لدار الأوبرا حتى خروجه للتقاعد عام ١٩٥٦م. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٠/٦٨٤.

(٢) عبدالرحمن صدقي، من وحي المرأة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م: ص ٢٣٨ - ٢٤٢.

وقـامـت بـقـيـد الـعـين أهـضـاب جـنـة
مُـدارٌ عـلـى المـيـنـاء مَـشْـرَفُـهـا الـعـالـي
قـد انـتـظـمـتـهـا فـي جـلالٍ ورقَّـةٍ
نـظـام سـمـوط الـدُّرِّ فـي جـيـد مِـكْـسـال
مـغـانٍ كـشـرفـات الـجـنـان تمـثـلـت
لـنـاظـرنـا مـا بـين مـاءٍ وأظـلال
وأبـراجُ بـيـعـات وَدُورٍ مـنـيـفـة
وأسـوارُ آطـام وأمـجـاد أطـلال
تُـطِـلُّ عـلـيـنـا مـن عـلٍ فـي صـعـودهـا
قِـبـابٌ وأَنْـصَـاب مـن المـرمـر الـغـالـي
مُمَـرَّدةُ الـبـنـيـان زاه صـبـاغُـهـا
تَـوَهَّـجُ تحـت الـشـمـس كـالـنـار لـلـصـالـي
رَكِـبْـنَ الـرَّوابـي بِـدْعَـةً فـوق بـدعـةٍ
فـتـم بـهـا لـلـحـسـن أبـدع تمـثـال

☆☆☆☆

وألـقـت مـراسـيـهـا الـسـفـيـنـة ضـحـوةً
فـأسـلـمـتُ ظـهـر الأرض أقـدام جـوال
أَجُـوسُ دِيـارَ الـفَـنِّ دَهْـشَـان مـعـجـبًا
وأمـشـي كـأهـل الـفـن مِـشْـيَـةَ مـخـتـال
إلـى أن وَنَـتْ شـمـس الـنـهـار ورنَّـقَـتْ
وألـقـت عـلـى الآفـاق صُـفْـرَةَ أصـال
فَـمِـلْـتُ إلـى خَـانٍ أواكـلُ أهـلَـهُ
وأنْـقَـعُ مـن مـشـروبـهـم حُـرَّ أوصـالـي
وقـام مُـغَـنِّـيـهـم يـغـنـي شِـرَابَـهُـمْ
عـلـى مِـعْـزَفٍ مُـسْـتَـكْـمَـل الـنـطـق قـوَّال

يغني أغانيهم جِرارًا شجيةً

بِنَغْمٍ شديد الوقع في القلب فعال

يلذ لأسماع الخَليِّينَ وقعُهُ

ولكنه عند الشَّجِيْ جِدُّ قتال

توالى على سمعي، وأفضى لمهجتي

وفضَّ مغاليقي وحطم أقفالي

فهَبَّتْ من الأعماق هوجًا عنيفةً

براكين أشجاني فزلزلن زلزالي

وثارت إلى عيني الدموع سخينةً

وهزَّ كياني النَّشْجُ واشتدَّ إعوالي

إذ بي وأهل الخان حوليَ، رحمةً

وعطفًا، ولما يسألوا كُنْهَ أحوالي

وقد راعهم كأسي وخبزي ومطعمي

مبلَّلةً من واكف الدمع هطال

وجاءوا مغنيهم، فأجمل شدوَهُ

وقد أدركوا مأساةَ عمري بإجمال

لقد أدركوا - يا لحن عمريَ - أنني

طروبٌ إلى لحني، فلا لحنَ يهنا لي

وأنَّ لحونَ الحب مُذْكِرَتِي به

تَهيجُ له شوقي فيزداد بلبالي

وليس كأهل الفن من يَقْدُرُ الأسى

ويدري خصال الحب حالًا على حال

****

المدينة الخالدة[1]

سلامٌ على روما عروسِ الحواضرِ
بما وَرِثَتْ طول القرون الغوابرِ
طَوافي هنا لا في المكان وإنما
بجوف زمانٍ ذاهبِ الغور داهر
هنا حيثما انساقت خطاي معالمٌ
تحدث عن ماضٍ من المجد دابر
خرائب تستعدي الجلال على البلى
وتزهي بمطموس من الفن داثر
جواثمُ إلا أنها في جثومها
تَنُصُّ جبينًا مشخنًا غير صاغر
بقايا أساطين فُرادى منيفةٍ
جِلادٍ على الأيام غير خوائر
تطل على الأنقاض حول نصابها
وكل العلا في نقضها المتناثر
لها روعة في النفس تشعر أنها
محاريب رَبٍّ أو قصور قياصر

(١) عبدالرحمن صدقي، من وحي المرأة: ص ٢٤٣ – ٢٦٤، مجلة الكاتب المصري، عدد ٢٦، نوفمبر ١٩٤٧م: مج ٧ ص٢٢٩.

بيوت عبادات ودور سيادة

ببابهما ذلَّت جباه الجبابر

لقد دثرت، لم يَخْمِ رَبُّ بناءه

فأهوى وما لاقى مقيلًا لعاثر

سوى معبد الأرباب جمعًا كأنما

أفاد القوى من سرها المتضافر[1]

عظيم من البنيان كالطود راسخُ

يَخِفُّ من التنسيق خفة طائر

له قبة روحاء ينفذ أَوْجُها

إلى القبة الكبرى بتدبير ساحر

وثمة ألطاف وآثار نعمة

شواهد عيش رافهِ الظِّلِّ ناضر

وأطلال حَمَّامٍ عَفَتْ عَرَصَاتُهُ

وكانت عباقًا بالطيوب العواطر

وجفت حياضٌ فيه كانت رويَّةً

يساق إليها الماء فوق القناطر

كم ازدحمت أحواضه وأريكُهُ

بأبناء روما المترفين السوادر

وثمة بين الرَّبْوتين بلاقعُ

هي السُّوق كانت ندوة للتشاور[2]

ذكرنا عليها رأي شيخ مُحَنَّكٍ

وقول خطيب ذي شَقَاشِقَ هادر

---

(١) معبد الأرباب: هو البانثيون أمر ببنائه الإمبراطور الروماني أجريبا ليكون معبدًا لسائر الآلهة.

(٢) الربوتان: هما ربوة البالاتين وربوة الكابتول وكانت تقام بينهما الأسواق الرومانية القديمة.

وكانت جِمَى رأيٍ ومَرْقَى بلاغةٍ
ورمزًا لحق الشعب عند الأباطر

وأجداث أَقْيَالٍ تَهَيَّبَهَا البِلَى
وسَبْيُ مِسَلَّاتٍ جلائبَ جائر[1]

وصِنْوٌ لأهرام الفراعين يقتدي
بمصر، ولكن في قوام البحاتر[2]

وأسوار آطامٍ وشمٌّ معاقل
تدرع للعادي بصبر مُصابر

وأعمدةٌ قد كان تمثال ربِّها
على رأسها سَحْبَانَ تلك المنابر[3]

وأقواس نصرٍ خلَّدَتْ جنباتُها
على الصخر ما أملى رواة البشائر

لكم مرت الأجناد تحت عقودها
خِفافًا بأعلام النسور الكواسر

كتائب جرَّارٍ يَصِلُّ سلاحها
وترفع بالإنشاد هُوجُ العقائر

مرددة الأبواق تعلن نصرها
وثم هتاف الشعب ملء الحناجر

وفي الصدر منها مركبُ النصر عاليًا
كبرج من الإبريز أَفْرَهَ سائر

(١) إشارة إلى المسلات الفرعونية التي نقلها الرومان إلى روما.

(٢) إشارة إلى هرم كايوس تشيوس احد زعماء روما (ت ٤٣ ق.م)؛ وهو هرم قصير لا يزيد ارتفاعه على سبعة وثلاثين مترًا.

(٣) سحبان: إشارة إلى سحبان وائل خطيب العرب المعروف قبل الإسلام.

تجـــرره الأفـــــراس مـــن كـــل مـحـضـر

لدى السبق، هِمْلاجٍ لدى العرض خاطر[1]

تجـلــى عـلـيـه ذو جـبـيـن مـكـلـلٍ

لـه فـوق عـرش الـعـاج جِـلْـسَـةُ ظافـر

يـروع بـوجـه أحـمـر الـصُّـبْـغِ مشرقٍ

يـخـال سـنـاه وهـج شـمـس الـهـواجـر

وحُـلّـتُـهُ مـن أُرْجُـــوانٍ وعَـسْـجَـدٍ

وزيـنـتُـهُ مـن دُمْـلُـجٍ وأسـاور

وبـيـن يـديـه يـعـرض الـنـصـر سـوقَـهُ

غـنـائـمَ حـرب فـي الـعـجـال الـمـواقـر

وتـمـشـي حـفـاةً فـي الـسـلاسـل رُسَّفًا

أَسَـاراه مـثـل الـهَـدْي صـوب الـمـجـازر

مـواكـب تـجـتـاب الـمـديـنـة كـلـهـا

تـطـوف نـواحـيـهـا طـواف مـفـاخـر

وتفضي - وللشكران عقبى مطافها -

إلـى مـعـبـدٍ فـي ذروة الـطـود كـابـر[2]

ومـا أَنْـسَ لا أَنْـسَ الـمـلاعـب شـادهـا

عـواهـلُ رومـا نـزهـةً لـلـخـواطـر

ونـزهـتـهـمْ فـيـهـا صـراعُ عـبـيـدهِـمْ

وإعـتـاق أسـراهـم بـحـز الـمـنـاحـر

وطـرح الـنَّـصـارى لـلـسـبـاع تـشـفـيًا

لأربـاب رومـا مـن تـمـرد ثـائـر

---

(١) الهملاج: سريعة الجري.

(٢) إشارة إلى معبد جوبيتر حامي روما المقام على صخرة الكابتول.

ملاعب قد دك الزمان صروحها
أوائلها قيد البلى كالأواخر
سوى مَلْعَبٍ أبلى الليالي مناعةً
وشقٌّ على أرجائهنَّ الدوائر[1]
تعالى طباقًا أَزُجٌ فوق أَزُجٍ
يزاحمنَ أبراج النجوم الزواهر[2]
قد انفسحت أقطارُهُ وتحلقَتْ
مقاصيرُهُ ترعى عرين القساور
إذا بثت القمراء فيه ظلالها
ورفت به أنفاس هُوجٍ زوافر
تخال به أبناء روما وغيدها
مهللة تلهو بدامي المناظر
ولكنَّ دورًا قد رعى الدهرُ عهدها
وإن عُطِّلت فيها عِتاقُ المشاعر
علتْها يدُ الإنسان بالمقت والقِلى
وجبُّ اختلاف الدين عقد الأواصر
سباها الألى ارتادوا الدياميس مفزعًا
وباتوا وموتاهم ببطن مغاور[3]
وغادرها الدين الجديد لربِّهِ
وبيعاته الكبرى ركامَ محاجر

(١) هو ملعب الكولوسيوم الذي بدا بناءه الإمبراطور فسبازيان سنة ٧٢م، واكتمل سنة ٨٠م في عهد خلفه الإمبراطور تيتوس، ولا تزال معالمه قائمة إلى الآن.
(٢) الأزج: جمع الأزج وهو بناء يبنى طولاً.
(٣) الدياميس: جمع ديماس وهو السرداب.

كنائس قامت للمسيح مقامَها
وتاهت بقبات لها ومنائر
وجدَّت فنون طبق الأرضَ صيتُها
تجلَّى بها فنُّ الثِّقات العباقر
فيا رُبَّ حيٍّ صوروهُ تخالُهُ
وأنفاسه - كالحيِّ - ملء المساحر
يُزَادُ من التجسيم فضلَ ضلاعةٍ
وروعةَ تأثير وفتنة فاخر
فأَعْجِبْ بأطياف الأساطير حيةً
على سقف محراب هنالك غائر[1]
ويومٍ عصيبٍ للحساب كأنه
حقيقة حس لا خداع نواظر[2]
وشِبْهٍ لموسى لا محالة ناطقٍ
بتمثاله، بادي الجلالة آمر[3]
شديد القوى، وافي الشطاط، مؤربٌ
له بأس جبار وبنيةُ حادر
وحق كليم الله في الطور أن يرى
- بما دك منه الطور - صلب المكاسر
عجائب فن قد أتيح لربِّهِ
- علي فضل هذى - فضل بان وشاعر
لقد جمعوا أطراف كل صناعةٍ
وأوتوا على التكوين قدرة قادر

(١) إشارة إلى المحراب السستيني الذي أمر ببنائه البابا سستو الرابع، وأبدع تصويره الفنان مايكل انجلو.
(٢) إشارة إلى صورة يوم الحساب الأخير في صدر المحراب السستيني من تصوير مايكل انجلو.
(٣) التمثال نحته مايكل انجلو وهو موجود بكنيسة القديس بطرس بروما.

شخوصُ تماثيل وبدْعُ زخارفٍ
وإعجاز تصوير وسحر عمائر
على كل ميدان وفي كل مفرق
تقوم الدمى في حفلها المتكاثر
وتنْثر هُولاتُ الفساقيِّ ماءَها
بتصنيع مُفْتَنٍّ وصنعة ماهر[1]
أضافوا إلى غرٍّ الأعاصر عصرهم
وعصرُهُمُ في الفن زين الأعاصر
كذا أنتِ يا روما جماعُ ذخائرٍ
وتاريخ أكوان وسفر مآثر
كذا أنت أمٌّ للحضارات تنطوي
حضارة ماضٍ في حضارة حاضر
وَرَدتكِ مشتاقًا إلى الفن ظامئًا
وَعُدْتُ على شوقي بنَغْبة طائر
سجلُّك مسجورٌ، وفنك باذخٌ
عميق، فما توفيك زورة زائر
تلبَّثتُ لو أني وزوجيَ ها هنا
ولكنَّ زوجي في عقال المقابر
ضجيعة أرض طاول النجمَ مجدُها
وأنتِ جنينٌ في غيوب المقادر[2]
لقد طفتُ يا روما ربوعَكِ موحدًا
فيا حسنَها لو كان زوجي مجاوري

---

(١) الهولات جمع هولة: كل ما كان غريب الخلقة.
(٢) إشارة إلى مصر وحضارتها القديمة.

أراني على الأطلال أطولَ وقفةً

وأمعنَ تسريحًا لفكري وناظري

أراعي إلى قدس المعابد أصبحَتْ

مدارج أقدام ومجرى حوافر

وأربابها صرعى التماثيل ضُيَّعُ

وكانت تُرَجَّى في الخطوب الكبائر

وأحنو على آي الجمال تناثَرَتْ

حصًى أو بقايا في ضمان الجبائر

رسومُكِ يا روما القديمة عبرةٌ

لأرملَ ملتاعِ الجوانحِ عابرِ

مصارع مجدٍ شامخ الشأو نادرٍ

ومدفن حسنٍ مُعجزِ الصنع باهر

تأسيتُ يا روما بهذي جميعِها

وإن تك أوثانًا بمحراب كافر

تأسيتُ بالأرباب لاقت حتوفَها

ولم تنجُ من سهم الردى المتواتر

تأسيتُ يا روما ولو بعضَ ساعةٍ

فلستُ على رغم الهوى بمكابر

****

فلورنسا[1]

إلـيـك فـلـورنـسـا شـقـقـتُ طـريـقـي
بـقـلـبٍ شـديـد الـخـفـق جـدٍّ مـشـوقِ
تـوالـى عـلـى عـيـنـي الـبـلادُ أجـوزهـا
كـسـهـم مـريـشِ الـجـانـبـيـن مَـرُوقِ
تَـوَالَـى سـراعًـا روضـةٌ بَـعـد روضـةٍ
دوالـيـك فـي نـظـم لـهـن نـسـيـق
لـهـن كـمـسـنـون الـزمـرد جـلـوةٌ
مـضـاعـفـةٌ مـن خـضـرةٍ وبـريـق
تَـخَـلَّـلُـهَـا الأشـجـار هـيـفًـا فـوارعًـا
زهـاةٌ بـمـمـشـوق الـقـوام رشـيـق
وقـد ألَّـفَـتْ قـضـبـانُ كـرم شـتـاتَـهـا
مـشـبَّـكَـةً سـوقًـا هـنـاك بـسـوق
تَـمَـثَّـلُ لـي والـريـح تـلـوي قـوامَـهـا
وتـهـفـو بـمـنـشـورِ الـشـعـور وَرِيـقِ
صـبـايـا إلـه الـخـمـرِ تـرقـصُ رقـصَـهـا
وقـد أُسْـكِـرَتْ فـي عـيـدِهِ بـرحـيـقِ
وأرقـى الـروابـي ربـوةٌ بـعـد ربـوةٍ
بـأَحْـنَـاءِ شـعـبٍ لاحِـبٍ ومـضـيـقِ

---

(١) عبدالرحمن صدقي، من وحي المراة: ص ٢٦٥ - ٢٧٣. وفلورنسا هي اكبر مدن إقليم توسكانا في وسط إيطاليا وأهمها تراثًا تاريخيًا وفنيًا، واكثرها قيمة اقتصادية وإدارية.

وفـوقـي رِغَـانٌ وعـرةٌ مـن مـعمَّـم

بـثـلـجٍ، وحـالٍ مُـشْـجـرٍ، وحـلـيق

وتحـتـي مـهـاوي المـوت تُـفضـي كمثلِهِ

إلـى قـاعِ جـنـاتٍ خـوالـدَ رُوقِ

يُـدار بـرأسـي فـي الـذرى فإخـالـني

وأربـاب «أولـب» بـذُرْوةِ نـيق

تـلـوح الـسـمـاوات العلى قيد إصبعي

ودنـيـا الـورى كـالـذَّرِّ تحـت طريقـي

وهـام خيـالي فـي الأسـاطيـر شـاردًا

هـيـام عـقـاب فـي الجـواء أَبُـوق

وأهـوى بـنـا لـلـسـهـل سـائـق ركبنـا

ومـا زلـت كـالـسـكران غـيـر مُـفـيقِ

وقـالـوا «فـلـورنـسـا!» فـأُذكـرتُ زوجتـي

وثُـبْـتُ إلـى حـالـي وسـرِّ طـروقـي

أحـج لأرض حـقـقـت حـلـم مـهـجتـي

وأنـس حـيـاتـي، بـرهـة، ورفـيـقـي

مـنـابـت أهـلـيـهـا فـلا بـدْعَ ضـوعفَتْ

عـلـى طيـبـهـا طـيـبًـا بـقـلـب صـديـق

وكـانـت مـنـارًا لـلـمـدائـن كـلـهـا

ورائـد عـصـر لـلـفـنـون طـلـيـق

أعـلـلُ نـفـسـي بـالمـعـابـد والـدمـى

تَـعَـرَّفْـتُـهـا فـي الـطـرس عـلـم سبـوق

وأرسـل طـرفـي رائـدًا مـتـرقـبًـا

مَـطَـالِـعَ حُـسْـنٍ طـارفٍ وعـتـيقِ

فما راعني إلا القبور طوالعًا
يطالعن في فيض المدامع مُوقي
قبور بأرباض المدينة جزتُها
فأذكرنني زوجي وهِجْنَ حريقي
هنا كان أَوْلَى أن يُشَقَّ لقبرها
فيلحق فرعٌ محدَثٌ بعروق
هنا كان أحرى أن تقام لحسنها
تماثيل تذكارٍ ورغي حقوق
هنا أم ضفاف النيل؟ سيان في النوى
لِمَيْتٍ رهين في التراب غريق
وأرخى علينا الليل سحق سدوله
مهلهلةً بالشهب ذات خروق
وملتُ إلى خان المدينة مجهدًا
أُصَانِعُ أشجاني لوقت شروق
فلما تولى الليل وانجاب جيشُهُ
أمام لواء للصباح خفوق
بَكَرْتُ - فلورنسا - إليكِ مُسَلِّمًا
مُصِرًّا على لقياك غير معوق
إلى القبة الكبرى تسامت كأنها
ركامُ رَبابٍ بالفضاء عَلوق[1]
إلى البرج طاقًا فوق طاقٍ أواهلا
بنقش شبيهٍ بالحياة نَطوق[2]
إلى المغسل القدسيِّ يُزْهَى بسقفِهِ
وبابٍ بأعتاب الجنان خليق

---

(١) القبة الكبرى: تتوج كنيسة فلورنسا العظمى.
الرباب: السحاب الأبيض.
(٢) البرج: برج الأجراس وهو طبقات اربع.
الطاق: ما جعل كالقوس من قنطرة أو نافذة.

عرائسُ بيضٌ من رخام ممرّدٍ

تحلى بتخطيط أحَمٌّ دقيق

يرف عليهن الضياء كأنما

يزل على سطح لهن زليق

روائع فنٍّ لا يضارع حسنها

وقد جُمعتْ طرًّا بساحة سوق

على أنه لم تخل منكَ بقيعةٌ

- على صِغَرٍ - من شائق وأنيق

طرائف شتى كلهن شواهد

على فضل بيت من بنيك عريق

وثمة فوق الفن سحرُ طبيعة

رهين بسرٍّ في ثراك عميق

وما الماء في مجراك من ماء كوثرٍ

ولا الترب من مِسْكٍ هناك فتيق

كأن هنا الطِّلَّسْمَ عُقْلَةَ قادمٍ

وقيدَ نزيل في هواك ربيق

تلفتُّ لما أن تركتك راحلا

تَلَفُّتَ عانٍ عاشق لعشيق

إلى القبة الكبرى تزينُ على الحمى

وقد أكسبَتْها الشمس لون عقيق

كذلك رانت في الحياة وفي الردى

على أفق عمري زوجتي وشقيقي

****

جِنْـوَا[1]

خليجُك، جنوا ! لازَوَرْدٌ وبلُّورُ
يَـرُدَّانِ طرفي عنك والطرف مبهورُ

سماؤك جلواءٌ، وماؤُك جوهرٌ
فأيهما استقبلتُ صافحني النور

وفي الأفْق شطٌّ حالمُ الحسن في الضحى
كما امتدّ وادٍ في الأساطير مسحور

شَجيرُ الروابي، مزهر القاع، وارفٌ
كثيفُ الدوالي، فارع السرو، منضور

يخايل كالفردوس من فرط حُسْنِهِ
فإن يكُ معمورًا فعامِرُهُ الحور

غدت بي عليه الفُلك - من بعد جريها
تهادتْ - كأن الفلك سكرانُ مخمور

وما بي إلى الفردوس والحور مأربٌ
على أن كل الركب نحوهما صُور[2]

حداني َ لا حبٌّ ولا طيبُ مربعٍ
ولكنما موتٌ بفنِّك منشور

---

(1) عبدالرحمن صدقي، من وحي المرأة: ص ٢٧٥ - ٢٧٨. وجنوا مدينة معروفة وميناء بحري كبير في شمال إيطاليا، وهي ذات تاريخ عريق وتقاليد بحرية ذائعة وهي إحدى الأقطاب الأساسية للاقتصاد الإيطالي.

(2) صور: جمع أصور وهو المائل.

هنالك في واديك، في حرَم الردى
حديث الهوى والموت في الصخر منقور[1]

تماثيل تستوحي الحياة مثالها
براها صَناعٌ بالتماثيل نحرير

يصوِّرُ حال الميْتِ والحيِّ: والدٌ
مسجًى، وجمع الأهل لهفان مذعور

ووالدة ولهى تهدل شعرها
وواحدها بين الذراعين مقرور

وخَوْدٌ تزيح الستر عن وجه زوجها
فتُجفل إذ جلَّى إلى الزوج مقدور[2]

وإلفان في ريق الشباب تعانقا
ولكنها وسنى وأجفانها غور

هي القُبلة الأخرى يبادلها لمًى
جليدٌ، وثغرٌ مضرم الشوق محرور

فجائع تستولي على العين والحجى
فيختل معقول ويسودُّ منظور

وفوق ثراها الزهر أنضر ما ترى
شقيقٌ ونسرينٌ وورد ومنثورُ

وحسبك زهرٌ بالجسوم مزوَّدٌ
وبالدم ممدود وبالدمع ممطور

كذلك مأساة الحياة نقائضٌ
شتات، ووجه الرأي فيهن مستور

(١) حرم الردى: المقصود به هنا مقابر ستاليينو في جنوا.
(٢) الخود: المرأة الشابة. جلى: سبق.

يطوف بعقلي طائف الشك عندها

فلا هو مقبول ولا هو منكور

وإني لأزجي الخطو أسوان واجمًا

أودع وادي الموت والعقل مقهور

إذا نُصُب «الإيمانِ» – وسط فنائه

وبين المآسي – ناصبُ الرأس منصور

****

البندقية

حلم من الأحلام الإيطالية[1]

هذه أنت يا عروسَ الماءِ
قد تجلَّيتِ تحت وردِ المساءِ

تترائين لي كَحُلْمٍ قديم
أبدعتْهُ بداهةُ القدماء

ربة الحسن قد تبدت من البحر
وليدًا من رغوة وضياء

هذه أنت تُسكرينني فما أغـ
ـرِفُ أرضى وماءها من سمائي

أسكرتني وليس من صهباء
رعشة الماء هاهنا والهواء

أسكرتي الخلجانُ منشعباتٍ
ضيِّقاتِ الشعابِ ذات الْتواء

كالأتاويهِ ملغزاتٍ تُعايى
باشتباك الدروب والأنحاء[2]

والخليج الكبير منفسحَ الجنـ
ـبين للفُلْك كانفساح الرجاء[3]

---

(١) عبدالرحمن صدقي، من وحي المراة: ص ٢٨٠ – ٢٩٦.

(٢) الاتاويه: الممرات الملتوية المتشابهة. عاياه: القى عليه كلامًا لا يهتدى لوجهه.

(٣) الخليج الكبير: طريق طوله نحو ميلين على شكل حرف (S) يشق مدينة البندقية (فينيسيا).

والخضمُّ المحيط أزرق رجرا

جًا عظيم العُباب ضاحي الفضاء[1]

هو عِرسٌ زُففتِ منه إلى أرْ

وع جمِّ الثراء جمِّ الرواء[2]

أسكرتْنِي طولَ الطريق أفانيـ

ـنُ جمالٍ هنا بغير انتهاء

حُببُكُ الماءِ فضةً ونضارًا

في اختلاف الأنوار والأفياء

وطوال الأوتاد عند المراسي

زاهيات الأعلام للإرساء

وتوالي الجسور من كل ممشو

قٍ أَقَبِّ الحشى دقيق البناء

غير جسرٍ ما بين صرحٍ وسجنٍ

جاد فيه الهلكى بباقي الذَّماء[3]

وانسياب «الجندول» يسعى خفيفًا

في سواد كالحية السوداء

مستدقًّا، ذا جُؤجُؤٍ مشرئبٌّ

شائل العَجْب، مستطيل المَطَاءِ

وعليه مقصورة ذات فرش

ورياش كالقبة الحدباء

---

(١) الخضم المحيط: هو بحر الأدرياتيك.

(٢) إشارة إلى احتفال ولاة البندقية كل عام بزواج المدينة من البحر، دليلًا على سيادتها.

(٣) هو جسر الزفرات الذي يصل بين قصر الوالي والسجن. وقد اطلق عليه هذا الاسم حيث كان نزلاؤه يواجهون غالبًا عقوبة الإعدام فيلفظون فيه زفراتهم الأخيرة.

الذماء: بقية الروح.

أسكرتْنِي منكِ القصور على الشطْ

ـطَيْنِ بيضًا كالشمعة البيضاء

راسياتٍ لا فوق حزن وسهلٍ

شارعات إلى شوارع ماء

شادها السيد المؤثَّل ذو النّعـ

ـمة من مرمرٍ شفيف الصفاء

حاليات بالطنف والطاق والأقـ

ـواس هيف الضلوع والأحناء

وكأن الرخام، من كثرة النقـ

ـش عليه، مخرَّمات الوشاء

أسكرتْنِي منك الكنائس في الما

ء كعيسى يمشي علىالدأماء

صاعداتُ القباب، عالية الأبـ

ـواب، غمر المحراب بالأضواء

قائماتُ المعراج في الماء يرقي

نحوها كالغريق أهل الخطاء

أسكرتني منك المنارة والسا

عةُ، كُلٌّ بالساحة الفيحاء[1]

يتنادى البرجان، يَؤْذِنُ هذا

بصلاة، وذاك بالآناء

---

(١) إشارة إلى ساحة القديس مرقص، في صدرها الكنيسة الكبيرة التي تحمل اسم هذا القديس وعن يمين الكنيسة ساعة الأجراس وعن يسارها ساعة البرج المشار إليهما في الأبيات التالية.

سـاعـة الـبـرج بـدعـة تـطـلـع الـنـا
ظـر طِـلْـعَ الـبـروج والأنــواء
يـتـلـقـى نـاقـوسـهـا ضـرب جـبًّـا
رَيْـنِ غُـزْبٍ بـالـرنّـة الـجـوفـاء[1]
وتـجـيـب الأجـراس فـي الـشـقـة الأخـ
ـرى بـأشـجـى الـتـرجـيـع والأصـداء
أسـكـرتْـنِـي هـذي الـمـجـالـي وِلاءً
شـد سـكـري مـن الـمـجـالـي الـوِلاء
وتـمـام الإسـكـار فـي الـسـاحـة الـغرْ
رَاء مـجـلـى الـكـنـيـسـة الـغـراء
تـوَّجَـتْـهَـا الـقـبـاب صـغـرى وكـبـرى
كـارتـكـام الـبـهـاء فـوق الـبـهـاء
وجـيـادٌ بـطـنْـفـهـا كـبـراق الْـ
ـوحـي شـبَّـتْ تـهـمّ بـاسـتـعـلاء
وَكَـسَـتْـهـا الـفـسـيـفـسـاءُ فـصـوصًـا
فـوق أرضٍ مـن عـسـجـد وضـاء
وزجـاج مُـلَـوَّنٍ فـي ذراهـا
يـخـطـف الـعـيـن بـالـسـنـى والـسـنـاء
قـد تـجـلـت فـي الـصـدر أروع مـا تـبـ
ـصِـرُ عـيـنٌ فـي هـذه الأرجـاء

☆☆☆☆

---

(١) إشارة إلى تمثالين عملاقين من البرونز اطلقوا عليهما (الغُرب) لما علاهما من سمرة الصدا، يهويان بمطرقتهما على الناقوس يدقان كلما حانت الساعات وأنصافها.

هـــذه أنـــتِ يــا عــــروس المـــاءِ

فـتـنـةٌ فـــي الـصـبــاح والإمـــســـاء

هـــذه أنـــت، غـيــر أنـــيَ مــا غَـنْـ

ـتَـمْـتُ أن هــيَّـجَ الـتـذكـر دائـــي

يــا جـلاء الـعـيـون بـالـنـور شَـعْـشَـا

عًــا مــن المـــاء والـصَّــفـا، والــهـواء

يـا جـلاء الـنـفـوس بـالحسن فـي البيـ

ـعـات والـــدور والـــدمـــى والـنـســاء

مــا لـعـيـنـي مــن دون نـــورك قـد غـا

م عـلـيـهـا كَـغَـيْـهَــبِ الـظـلـمـاء

مــا لـنـفـسـي حـيـال حـسـنـك قـد عـا

دت جـمــادًا كـالـصـخـرة الـصـمـاء !

قــد ركـبـت الجــنــدول فـيـك وحـيـدًا

هُـــــــزْأَةً بـــين ســائـــر الأحـــيـــاء

هــو فـلـك الـعـشـاق تحـنـو عليهم

بـضـلــوع مـــن فـــازة وطـفــاء

كـم أجـنـت مـن عـاشـقين عـلى الجـمـ

ـــر فـغـابـا عـــن أعــين الـرقـبـاء

يـطـفـئـان الـهـوى وقـد رَجَّـعَ الـنـو

تِــيُّ لحـنًـا فـــي الـلـيـلـة الـقـمـراء

وأنـــا ذلــك الـشـقـيُّ ارتـقـي الجـنـ

ـــدول فــــردًا إلا مـــن الـبـرحـاء

تَنْسمُ الريح من حوالي كالسُّكْـ
ـرَى بزفر الهوى وعطر رداء
قد تعللت لو أرانيَ ممطو
لًا بوعدٍ، فالوعد رهن وفاء
غير أن التي هويتُ لقاها
رهن قبرٍ، فلات حين لقاء
زوجتي وحدها عشيقي وإلفي
وهي أُنْسِي دون الورى وهنائي
يا ربوع «الليث المجنح» حزني
مخلبُ الليث غاص في أحشائي[1]
هيج الفكر والتذكر من نا
ري حتى لقد كرهت ثوائي
فتركت الخليج مُستعبِر العيـ
ـنَيْن أَغشو للماء من خلف ماء

****

(١) الليث المجنح: شعار مدينة البندقية.

وداع إيطاليا

على بحيرة كومو[1]

فـي شـطِّـكِ الأَخْـوى خـتـامُ مطافي

يـا جـنـة الـمـلـتـاع والـمـصـطـافِ

طـافـت بـشـطـيـكِ الـربـى مـخـضـرَّةً

بـالـسَّـرْوِ والـزيـتـون والـصـفـصـاف

وطـلـعـتِ كـالـقـدح الـمـدور متـرعًا

حـتـى الـطـفـافـة بـالـرحـيـق الـصـافـي

سـكـرَتْ بـمـرآك الـنـواظـر والحـجـى

والحـس سـكـرًا غـيـر ذي إنـزاف

وتـنـزلـتْ فـيـكِ الـسـكـيـنـة كـالـندى

فـي نـفـس مـجـروح الـحـشـى لـهَّـاف

طـاب الـتـوحـد فـي حـمـاك ولـم يكن

عـنـدي الـتـوحـد طـيـب الأوصـاف

مـا مُـوحَـدٌ مـن كـان فيك مصاحبًا

لـلـطـيـب والألـوان والأعـطـاف

أزهـار بـسـتـان، ودوح خـمـيـلـةٍ،

وشـذًا كـأذكـى الـعـطـر لـلـمـسـتـاف[2]

---

(١) عبدالرحمن صدقي، من وحي المرأة: ص ٢٩٩ - ٣٠٣.

(٢) المستاف: المستنشق.

يـا مـا أُحَـيْـلَـي سـاعـةً مُـلِّـيتُـهـا

فـي ظـل تـلـك الـدوحـةِ الـمضـيـاف[1]

فـي ظـلـهـا عـرفَـتْ أفـاويـقَ الـرِّضـا

مـن لـم تـكـن تـدريـه غـيـر نـطـاف

رود مـن الـمـلـكـات جـافـت خـدرَهـا

كـرهًـا ولـم تـخـلـع ثـيـاب زفـاف[2]

جـوابـة شـرقًـا تـهـيـم ومـغـربًـا

تـهـيـام لا وانٍ ولا وقَّـاف

هـامـت طـويـلًا مـا استـقـر بـهـا الـنـوى

إلا بـسـاحـل لجِّـكِ الـرجـاف

تـخـذتـك خـنـدقـهـا الـمـلَّاء دونـهِ

جـيـش مـن الـتـشـهـيـر والإرجـاف

يـا حـسـن مـائـك لازوردًا أزرقًـا

ذا رونـقٍ كـالـجـوهـر الـشـفـاف

عـيـنـي مـوكَّـلَـةٌ بـه مـسـحـورةٌ

تـرنـو إلـيـك بـنـاظـر مـسـراف

---

(١) إشارة إلى دوحة عظيمة بفندق فيلاديستي على بحيرة كومو.

(٢) الرود: هي الشابة الحسناء. وتلك الملكة الشابة هي الأميرة كارولين ابنة دولة برونزويك بالمانيا؛ تزوجها الملك جورج الرابع (١٧٦٢ - ١٨٣٠م) وهو ولي عهد إنجلترا؛ وانفصل عنها بسبب سوء قالة الصقت بها زورًا، ولم تفلح مساعي الصلح في رأب الصدع فرحلت كارولين عام ١٩١٤م إلى المانيا. ثم وجدت سلوتها في الأشعار حتى طاب لها المقام، واستقرت بشرنوبيو على بحيرة كومو وكانت خيرة معطاءة أينما حلت، فعرفت بالأميرة المحسنة. حاولت العودة إلى لندن بعد جلوس زوجها الملك جورج الرابع على العرش عام ١٨٢٠م إلا أنها منعت من المشاركة في حفل تتويجه بكنيسة وستمنستر فسرعان ما قضت نحبها بعد ثلاثة اسابيع من ذلك الحفل.

أبــــدًا تــفــرُّسُ فــي حــشــاكِ كــأنــهُ
يــطــوي عــلــى ســرٍ لــســحــرك خــافِ
يــحــكــي صــفــاؤك لــي - كــرؤيــا حــالــمٍ -
عــن كــل مــا فــي هــــذه الأكــنــاف
جــلــيــتــهــن فــكــل شــــيء لامــع
وشــفــفــتــهــن فــكــل شــيء طــافِ
رقــصــت بــصــفــحــتــك الــربــى وتــخــايــلــتْ
شــم الــجــبــال عــلــيــك كــالأطــيــافِ
ويــــدا الــــربــــاب عــلــيــك بــيــض مــلائــكٍ
تــهــفــو بــأجــنــحــة لــهــن لــطــاف
وتــــراءت الــجــنــات فــيــك وأصــلــهــا
فـــي ضــفــتــيــك شــوابــك الأطــــراف
لــلــه أنــــت، بــكــل ركــــنٍ آيــــةٌ
تــحــيــي يــقــيــن الــمــلــحــد الــمــتــجــافــي
لــــوددتُ، أحــيــا فــي ضــفــافــك مــخــلــدًا
بــعــض الــحــيــاة، هــنــا خــلــود كــافِ
لــــوددتُ، لــولا أن عــــودي مُــعْــجَــلٌ
نــادى بــه داعـــي الــهــوى الــمــتــلاف
نــادت بــه زوجـــي هــنــاك ضــجــيــعــةٌ
فــي أرض وادي الــنــيــل كــالأضــيــاف
يــا أرض إيــطــالــيــا الــوداع عــلــى الــهــوى
والــــود والــتــقــديــر والإنــصــــاف

أرض الطبيعة كالجنان تعرضتْ

في الحلم ألطافًا على ألطاف

أرض الفنون تجمعت آياتُها

كالشهب آلافًا على آلاف

لك من طبيعتك الجميلة غُنْيةٌ

عن عسجد اللبات والأشناف

ومن الفنون إذا دهتكِ كريهةٌ

ينبوع سحرٍ من جراحك شافِ

****

عزيز أباظة[1]

في دار شكسبير[2]

أنجبْتِهِ ذُخْـرَ الـوجـودِ وحـبـوتِـهِ سِـرَّ الخـلـودِ
وبـعـثـتـه إشـراقـةً للعقل ذي الـغـور البعيد
وركـزتـه عـلَـم الـبـيـا ن من الـقـديم إلـى الجديد
يـا مـهـد مـعـجـزة الـدهـور لأنـت مـعـجـزة المـهـود
حـلَّـيـتِ جـيـد الـكـون بـيـن يـديـك بـالـعـقـد الـفـريـد
حـبَّـاتـه لُـمَـعُ الجـمـال سُـلِـكْـنَ فـي الـبـصـر الـرشـيـد

☆☆☆☆

غـرفٌ ثـلاثٌ شَـعَّ نـور الـفـكـر فـيـهـا والحـصـاةِ
ضـاقـت بملـهـمـهـا فـسـلـسـل روحَـه فـي الـكـائـنـات
كـانـت حـراء الـشـعـر زان رفـيـعـه شـتـى الـلـغـات
كـشـفـت عـن الـنـفـس الـغـشـاوة لـلأسـاة ولـلـهـداة
فـي الـبـيـنـات المحـكـمـات مـن الـقـوافـي المـرسـلات

---

(١) عزيز أباظة (١٣١٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٩٨ - ١٩٧٣ م) شاعر مصري كبير زار عددًا من الدول الأوروبية. تخرج في مدرسة الحقوق العليا عام ١٩٢٣م. اشتغل بعدد من الوظائف الإدارية العليا، كما انتخب عضوًا بمجلس النواب ومجلس الشيوخ، وعضوًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. له عدد من المسرحيات الشعرية، وقدم طه حسين لديوانه «أنات حائرة». راجع: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٣/٧٥.

(٢) عزيز أباظة، ديوانه، دار الكتاب المصري/ دار الكتاب اللبناني: ص ٢٥ - ٢٧. وقد نظم الشاعر هذه القصيدة سنة ١٩٥٠م عند زيارته قرية ستراتفورد مسقط رأس شكسبير.

والنفس واحدة الخلائق في منوعة الجهات
والشعر إن صدقت روافده فأنفاس الحياة

☆☆☆☆

يا كاشف الإنسان والإنسان لغز لا يحلُّ
هو خسة وسماحة وهوًى وعارفة وجهل
للشر في أعراقِهِ رُحَبٌ وللحسنى مَطَلُّ
كيف اتخذت لفهمه سُبلاً فلم تُضْلِلْكَ سُبْلُ
وحَقَقْتَ ما أخفت طبيعته كأنك كنت تتلو
تلك النبوة والحجا الجبار والفَوْق الأجلُّ

☆☆☆☆

يا باعث القصص الخوالد فاستوت كالخلق خلقا
صوَّرت فيهن الحياة بما حوت بُطْلًا وحَقًّا
تلقى الروائع ضحلة المُنْساب وهي البحر عمقا
وإذا هَزَلْتَ - وكم هزلت - كسوت هذا الهزل صدقا
وإذا أثرت عظيمة حمَّلتها أفواه حمقى
سخر الذي خبر النفوس فَراعَهَا في الهون غرقى

☆☆☆☆

أَعْجَزْتَ فارعةَ العقول ورعتهنَّ بما فرعتَهْ
وشغلت من قاسوا مداك بمن خلفتَ ومن سبقته
قالوا فما تقوى العباقر أن تجيءَ بما خلقته
هو جهد أفذاذ البيان لَقَفْتَهُ ثم انتحلته
إضْحَك من الأقزامِ وَارْثِ لدائهم فلقد عرفته
قد يجمع الله الورى في شاعر فحل فكنته

☆☆☆☆

ألـيـصـــابــات[1] وعــهــدهـــا الــذهــبــي والمـــلـــك الــكـبـيــرُ

والـبـحــر والأرمـــــــاد[2] تــزهـــى فـيـه والــنـصــر الـخـطـيـر

والمــــجــــد حـيــث تـــــدور رايــتـــهـــا وســـاســتــهــا يـــدور

ذهــبــت كــأطـيــاف الـــرؤى وهـــــوت كـشــاقـبــة تــغــور

لــم يـبـق مـــن هـــذا الـــتـــراث الــضـخــم إلا شكسبير

عـــز الخـــلـــود عــلـــى الـــعـــروش وربُّـــــه الـقـلـمُ الـطـريـر

☆☆☆☆

أنـــا فـــي رحــابــك نــاشــد الــمُـثُـل الــوِضــاء ومُـجـتـديـهـا

مــــــاذا تـــركـــت لــقــائــل إلا الـشـفـافـة يـحـتـسـيـهـا

وفـتـــات مـــائـــدة إذا الْــتُــقِــطَــتْ سَــمَــتْ بـالـلاقـطـيـهـا

إنــــا لــنــغــلــق بـــالخـــوالـــف مـــن غـــبـــارك نــقــتـفـيـهـا

شَــعْــشِــعْ لَــنَـا قَـبَـسًـا يُـضِــيءُ عقـب الـسـبـيـل لسـالـكـيـهـا

واخْـــلُـــد عــلــى شــفــةِ الـــدهـــور هـــدى الـــدهـــور ومـــا يـلـيـهـا

****

(١) هي إليزابيث الأولى (١٥٣٣ - ١٦٠٣م) ملكة إنجلترا في أعظم عهودها من ١٥٥٨ إلى ١٦٠٣م. ابنة الملك هنري الثامن وآن بولين؛ كان أبوها يعدها ابنة غير شرعية وأوصى بعدم جلوسها على العرش بعد اتهامه أمها آن بولين بالخيانة. ولكنها تولت الحكم بعد شقيقتها ماري الأولى.

(٢) الأرمادا: لقب الأسطول الإسباني الذي لا يهزم، وكان مؤلفًا من ثلاثين ومائة سفينة وقد وجهه الإسبان لمحاصرة إنجلترا بعدما أعدمت إليزابيث الأولى الملكة «ماري استيورت» ملكة إسكتلندا التي لقبت بحامية العقيدة الكاثوليكية بعدما تورطت في مؤامرة ضد إليزابيث عام ١٥٨٧م.

روما وشوقي[1]

قف بروما في يوم موكبه الضخـ ـم وقل عشتِ معبد الفن روما
ليس من أهلها ولكن نجوم الدهر تَسْنى بكل أفق نجوما
وطنُ العبقري حيث يذوق الناس تنزيله العليَّ العظيما
هو روحٌ عُليا وهل تعرف الروح حدودًا في سبحها أو تخوما
ليس بدعًا أن تذكريه فقد أنجبْتِ أكفاءه العظام قديما
فحبوت الورى «بدانتي» و«فرچيل» كتابًا مُنَغَّمًا منظوما[2]
يقرأ القارئوه معجزة الأجيال فنًّا سمحًا وهديًا كريما
نسيَ الدهر مجد قيصر أو كاد ولم ينس شاعرًا وحكيما
ذاك يَبْني على دم، ويحيل الدمَّ هذان نضرة ونعيما
في بيانٍ نَدٍ كإشراقة الرَّاح يهز الوجود هزًّا رؤوما
آه لو يعلم العباقر أي الناس هم لامتلوا عتوًّا أثيما
إن فيهم ربًّا هو نايُه العذب وأستغفر الرحيم الحليما

☆☆☆☆

إيه روما أنصفت صناجة العرب وجزت الإنصاف للتكريمِ
قد سبقتِ الدنيا إليه وأنت الدهر سباقة لكل عظيم
منذ فجر التاريخ كنت منار الخلق والخلق في الظلام البهيم
جئت بالفن من أتينا ومصر فارتوى من رحيقك المختوم

---

(١) عزيز اباظة، ديوانه: ص ٣٠ - ٣١. وقد القيت هذه القصيدة في حفل إزاحة الستار عن تمثال شوقي الذي اقيم بروما.

(٢) دانتي شاعر الكوميديا الإلهية؛ وفرجيل شاعر الإلياذة.

وربَـا فـي ريـاك حتى كـأنَّ الـشعر أشـجى مـن الـغـنـاء الرخـيم
وكــأن الـغـنـاء شـعـر إذا الـشـعـر عـتـاب الــمُـتَـيَّـم المحــروم
وكـأن التصوير رسمًا ونحتًا حيواتٌ مصبوبة في جسوم
صـور أو دمًــى تـكـاد تـراهـا كـائـنـات تـسـعـى إذا قـلـت قـومـي
كمـلـت روعــة فـنـمَّ لـك الـظـاهـر عـمـا أخـفـى سـتـار الأديم
ولـقـد يـكشـف الـطـبـائـع والأخــلاق لطف الـتـلـويـن والتصميم
قيم الفن ليس خطًّا ونقشًا هـي دَرْكُ المجهول بالمعلوم

☆☆☆☆

لـم أحـدثـك عـن جـديـدك رومـا الجديد المجيدُ سُـؤرُ القديم
اسلمي واقبلي سلامًا من الشرق وشكرَ الكريم فضلَ الكريم
مِـنَــنٌ طوَّقـتـه تحـفـظها الآبـاء حـفـظَ الحـمـيـم عـهـدَ الحـمـيـم
وقـديمًـا كـان الـوفـاء شـعـار الـشـرق إلا لِـمُـعْـتَـدٍ أو خصيم

****

أمام تمثال جيته[1]

إن الخلود الحق أهلٌ لكمْ
يا قادة الفكر بهمس القلمْ
لله ما أضاله آلةً
فكيف يبني ويدكُّ الأمم
وكيف سال النور في وَشْيِهِ
مقتبسًا من قطرات الظُّلَمْ

☆☆☆☆

جوهرةٌ فيكمْ تُشِعُّ السَّنَى
تغمر فيه جلوات الشموس
تُرى أَمَثْوَاهَا أحاسيسكم
أم في طوايا القلب أم في الرؤوس
تبذل للكون كريم الطلا
لألاءةً في ذهبيِّ الكؤوس

☆☆☆☆

الله ما أجمله خالقًا
أضفى على الدنيا فنون الجمال
أحسب أسماها جمال الحجى
وَشُعَهُ الشعر بسحر حلال
باق على الدهر جديد الحلى
موتلق الغرة سَكْبَ الطلال

☆☆☆☆

---

(١) عزيز اباظة، ديوانه: ص ٣٢ - ٣٤. نظمها الشاعر في فرانكفورت في يوليو ١٩٥٥م.

يا مشعل النفس وعش الهوى

أي البُراقين لديك الأثيرْ

ركبت هذا فشققت الدُّجى

واجتزت بالآخر سُدْم الأثير

ما دان ما أثّلت من معجز

إلا لذي قلب كبير كبير

☆☆☆☆

شيطانك الحي الذي تمّحي

هذي الدنا وهو الدؤوب العتيدْ

كأنما الكون إذا لم يَعِثْ

فيه فسادًا موشك أن يبيد

الخير إن غاض فأهون بِهِ

والشر أصلٌ في بناء الوجود

☆☆☆☆

قَدَّرْتَ شيطانك مستعظمًا

تجديده لو قد عداك الردى

هذي الحضارات له مرتع

أوغل فيها هابطًا مصعدا

انساب في الخلق فَذَلُّوا له

واستمرءوا الشر وجازوا المدى

☆☆☆☆

ترى أشيطانك أغواهمو

أم هم دعوهُ فأجاب الدعاءْ

تــرى أمــن أنــفــسـهِـمْ نـفـسُـهُ؟

أم آنـس المـثـوى حـفـيًّـا فـجـاء

تـرى أظـلـوا عـنـد منـهـاجـه

أم شـيـدوا فـوق الـبـنـاء الـبـنـاء

☆☆☆☆

الخـتـل والـغـدر وحـب الأذى

والـكـيـد والـسـطـو وهـضـم الـشـعـوبْ

والـهـدم والـسـلـب وشـل الـقـوى

والحـقـد إن شـعـشـع فـكـر خـصـيـب

هـذي دسـاتـيـر الـورى صـاغـهـا

مـنـذ سـقـى الأرض الـنـجـيـع الـصـبـيـب

☆☆☆☆

مـا يـدفـع المـرء إلـى عـانـدٍ

رثْـقٍ مـن الأخـلاق.. هـل قـلـت لـي؟

هـل خـسـة الأنـفـس خـلـق إذا

دافـعـهـا ذو الـعـزم لـم تـنـزل

أم أنـهـا الـنـطـفـة؟ أم عـلُّـهـا

غـريـزة لـلـفـوق لـم تـصـقـل

☆☆☆☆

الخـيـر والـشـر جـواثـيـمُـهـا

مـركـوزة فـي خـلـقـة الـكـائـنـاتْ

بـشّـرت بـالخـيـر وغـلّـبـتـهُ

مـنّـي تـعـلـلـت بـهـا كـاذبـات

«فاوست» لم تعصمه أخلاقه
بل إنها أخلاقك العاصمات

☆☆☆☆

يا شاعر الحب الذي لم يغض
في قلبه العمر ولم يفترِ
ما كانت السن حجازًا له
لا سن للخلّاقة العبقري
أحببت شيخًا فقمعت الهوى
وذقت ما دق على «فرتر»

☆☆☆☆

يا صاحب التمثال يهفو له
من أمم الأرض حجيج الأدبْ
أخوك في مصر كأن لم يكن
صناجة الإسلام ناي العرب
شوقي لئن أنصفه قومه
صاغوا له تمثاله من ذهب

☆☆☆☆

يا مصر كرُمتِ ولم تبخلي
إلا على الموهوب والنابِهِ
هذا ابنك المُضْفِي عليك السنى
ينهل من معجز آدابه
إن قيل ما شأوك في حاضر
لم تعرفي يا مصر إلا به

****

حديث الحجر[1]

وقفة في ميدان الباستيل

معقلٌ نُطِّقَ مرفوع الذرى
دُكَّ فانقضَّ فأمسى خبرا
جعل القوم عليه آيةً
نصبًا يروي الأمور الكبرا[2]
حجرٌ يلحظه الدهر إلى
يوم يطوى خاشعًا منبهرا
خضخض التاريخ فاهتزَّ كما
هزت النكباء غصنًا ثمرا
فهفا يخفض في حضرتهِ
رأسه مختشعًا منكسرا
قال والنشوة في غرته
كافح الإنسان ثم انتصرا
كان حتى أمس عبدًا بشرًا
فاستوى اليوم إلهًا بشرا

☆☆☆☆

حجر لو قد تغرَّسْتَ به
لم تشمْ عيناك إلا حجرا

---

(١) عزيز اباظة، ديوانه: ص ٣٨ - ٤٠.

(٢) النصب التذكاري المقام في مكان سجن الباستيل.

أدكن اللون وفي دكنته

ألق النور إذا النور سرى

يا لأشلاء عليه ودمٍ

أنْشَرا الحق وكان اندثرا

ليس حيًّا ضارعٌ منخذلٌ

مُؤْثرٌ دون مناه الحذرا

إنما الحي من انصبَّ على

ظالميهِ حممًا منصهرا

يتحدى كل من دافعهُ

عن مقام الحر حتى القدرا

☆☆☆☆

طفت حوليْهِ أناجيه كما

طفتُ في بطحائها معتمرا

إنه منها... ألم يهد الورى؟

فاهتدى بالمثل العليا الورى

قلت حدثني فإنَّا أمة

نفضَتْ حاشدة عنها الكرى

ومضت تسعى إلى غاياتها

تركب اليسر لها والعُسُرا

قال لي ثورتكم نقدُرُها

كرمتْ فرعًا وطابت عنصرا

ثورة عَفَّتْ فلم تهرق دمًا
وهو في الثورات يجري غدرا
لم نكن في كرهنا مثلكمو
بل ركبناه عرامًا أشرا
فقتلنا ونفينا زمرًا
وهتكنا وفضضنا سترا
وأكلنا في سعار كَلِبٍ
محسنًا أبلى ونذلًا غدرا
كانت التهمة إن يقذف بها
- وهي خرقاء - دليلًا سفرا
ثم دب الذعر في أقطابها
فمشى كلٌّ لكلٍّ مُضْجِرا
ثم أفضينا لما تعرفه
فندمنا الندم المستعرا
قلت ما هذا الذي أنشده
لم تزد عَمًّا وعينا خبرا
قال هل يبذل نصحًا حجرٌ؟!
قلت قد تقدُرُ مصر الحجرا
إنها تقرأ في أهرامها
سورًا مزدحمات صورا
عزة جللها الفن سَنًى
وكساها الظلمَ وَشْيًا نضرا

قـــال لا تــنــحــرفــوا عـــن كـــرم

إن فـــي إهـــــداره المـــنـــحـــدرا

إنمـــا الـــثـــورات فـــي مـيـــلادهـــا

رجــفــةُ الــكــبــتِ إذا مــا انــفــجــرا

فـــــإذا أوفـــــت إلـــى أهــدافــهــا

فـاحـطـمـوا الـنـاب وهُـضُّـوا الظُّفُرا

ادفــنــوا المـــاضـــيَ، مَـــن فــي دهـــرهِ

لــم يــســئ؟ كـــلُّ جـــوادٍ عــثــرا

لا تـــقـــولـــوا فـــئـــة ظـــالمـــة

إن فــيــهــم - قــد عــلــمــنــا - غــررا

أو تــقــولــوا أوجــــه مُــخُــلــقــةٌ

يــعــتــق الــخــمــر فــيــزكــو ســكــرا

لــيــس يــجــديــكــم ولا يــكــرمــكــمْ

أن تــشــلــوا الــكــافــيَ المــقــتــدرا

وعـــلـــيـــمًـــا خـــبـــر المـــــال ومــــا

دقَّ مـــن مُـــعـــضـــلـــه واســـتـــترا

لـــيـــســـت الـــخـــبـــرة إلا ثـــمـــرا

لـــلـــتـــجـــاريـــب فـــصـــونـــوا الـــثـــمـــرا

لا تـــبـــيـــتـــوا بـــصـــدور نَـــغِـــلَـــتْ

لـــن يَـــحُـــلَّ الـــفـــضـــل صـــدرًا وغـــرا

فـــاقـــرنـــوا الـــصـــفـــح إلـــى الـــعـــدل فـــمـا

صـــفـــح الـــعـــادل إلا كـــبـــرا

واجـــمـــعـــوا أمـــتـــكـــم فـــي نـــســـقٍ

وارتـــقـــوا الـــشـــمـــل وشـــدوا بـــالـــعـرى

واركــبــوا الــصــبــر إلـــى مطلبكمْ

تــبــلــغــوه والـــفــتـــى مـــن صــبــرا

إن تــرسّــمــتُــمْ خــطــى مــن قبلكمْ

فــخــذوا الــصــفــو ونــحــوا الــكــدرا

غــلــب الأيــــام مـــن واكــــب فــي

سِــفْــرِهــا أحــداثــهــا فــاعــتــبــرا

☆☆☆☆

هـــكـــذا قــــال فـــأثْـــبـــتُّ ومــا

ســـاق لـــي إلا الــحــجــى والــبــصــرا

****

في پلاتزا فينيزيا[1]

«تحت شرفة موسيليني الشهيرة»

رأيتك مذ إحدى وعشرين حجةٍ
على الطُّنُف المحزون تهدر كالبحرِ
تدوِّي فيغشَى الخلق والأرض رِعدةٌ
ويبلغ أقصى شأوَه فزعُ الدهر
وحولك شعبٌ ما رأى منذ قيصر
سواك إلى أعلى هُماماته يجري
خفيفَ الخطى للعسر ما سُقْتَه له
ثقيلَ الخطى إن قلت حتى على اليسر
أَحَبَّكَ لم يعلم أَحُبٌّ مُوَسَّدٌ
على الحمد أم حب التوجس والذعر
ولِلذعر حبٌّ أن تجف عروقه
تَخَطُّ لألوانٍ من المَقْتِ والغدر
ضربت عليه القهر ضربة لازبٍ
فأرقل للعلياء في ذلة القهر
أصابَ ثراءَ العبد في ظل رَبِّهِ
وقد كان يرضى دونَهُ فاقةَ الحُرِّ

(١) عزيز أباظة، ديوانه: ص ٥٣. كتبها في روما ١٩٥٠م.

تعلّمْ فحكم الفرد مهما يكن هدًى

وعدلًا فلن تحليه من طعمه المر

ومن صورة ألوانها الدم والدجى

فتحمر في عصر وتعبر في عصر

ولم أر مثل الحكم عبئًا لأهله

ولم أر كالحكام أبعد عن أجر

ولم أر كالمحكوم يسلخ عمرهُ

على قلق لا ينقضي أبد الدهر

يضيق بما يلقاه صدرًا فإن مضى

تمناه محشورًا له ضيّق الصدر

يندد بالشورى وينكر فضلها

لما يصحب الشورى من المد والجزر

فإن لاح حكم الفرد لج لجاجهُ

وقال منينا بالهوان وبالنكر

فإن زال لم يحمد وإن دام لم يطقْ

دواليك محذول السكينة والصبر

هي النفس والأهواء ملء فروجها

يروق لها التغييرُ حتى إلى شر

متى يكرم الإنسان حتى ليرعوي

بغير أمير ما؟ أيبلغ؟ من يدري

****

جعفر الناصري[1]

باريس[2]

دع الـوقـوف علـى الأطــلال والـدمـنِ
ومـا تُـهَـيِّـجُ مـن شـجـو ومـن شـجـنِ

وعَــدِّ عـن ذكْـر جـيـران بـذي سلم
وعـن بكـاء اللـواتـي رُحْـنَ فـي الظعن

ولا تـهـمْ بـزمـان زال رونـقُـهُ
وعيشـه قـد مضـى أحلـى مـن الوسـن

والـيـوم قـد درسـت عـنـا مـعـالمـه
كـأن بـهـجـتـه الـغـراء لـم تـكـن

إن المـنـازل مـن سـلْـعٍ ومـن إضَـمٍ
مـعـاهـدٌ أقـفـرَتْ فـي سـالـف الـزمـن

---

(١) جعفر الناصري (١٣١٠ - ١٣٩٦هـ = ١٨٩٢ - ١٩٧٦م)، شاعر مغربي زار باريس فبهرته الحضارة الغربية وانطبعت صورها في وجدانه العربي، وسجل هذه الزيارة في كتاب له بعنوان «الرحلة الباريسية»، تولى عدة وظائف رسمية كما اشتغل بالتدريس والوعظ. راجع، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٥/ ٥٦١.

(٢) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: مج٥ ص٥٦١.

واذكر محاسن باريسٍ وما جمعتْ

مما يسليك عن أهل وعن وطن

فكل شئ بها مستحسن حسنٌ

وكل نفس بها تسلو عن الحَزَنِ

فالروض مزدهر، والزهر منتثرٌ

والوُرْقُ أعربَتِ الألحان في فنن

ناهيك من منظر عز النظير له

وحار في وصفه البليغ ذو اللسَن

لله أنهارها الملتف جانبها

ذات الخمائل والأدواح والغُصُن

أما القصور فقد أضحت مصافحة

نجم السماء وقد أزرت على القنن

كم في جوانبه من كل آنسة

بين الحسان أتت كالبدر في الدجن

فالورد من خدها استعار حمرتَهُ

والشمس في وجهها تجري مدى الزمن

في طرفها دَعَجٌ يزينه غَنَجٌ

وثغرها الجوهريْ درٌّ بلا ثمن

والقد يحكيه غصن البان في مَيَسٍ

وخصرها ضامر والردف ذو سمن

وكل من راءها سَرَتْ محبتها

في قلبه سريان الروح في البدن

إذا تذكرتها طار الفؤاد أسى

وسح دمعي كَسَحِّ العارض الهتن

باريس قد حزت في ذا العصر منزلة

وتهت عجبًا على الأحياء والمدن

لا زال ربعكِ ما هو لا يطيف به

أهل الخلاعة والمجُون.والددن

****

خيرالدين الزركلي[١]

في غابة بولونيا[٢]

غَنِّ بالذِّكْريات لا بالأماني
إنما الذكريات عمرٌ ثانِ
ليَ أمسي ولستُ أملك يومي
وغدي ما يزال ملك الزمان
بالصبابات والتباريح شدوي
وإليهن بعد لأيٍ حناني
ضحكتْ لي غابات بولون يومًا
وأرتني الجنان تلك المغاني
نَسَّقَتْ دوحها ظلالًا لأسرا
بٍ من الريم رُتَّعٍ في أمانِ

(١) خيرالدين الزركلي (١٣١١ - ١٣٩٦ هـ = ١٨٩٣ - ١٩٧٦ م)، شاعر سوري تنقل بين لبنان وسوريا ومصر والحجاز والأردن والمغرب والعراق، وزار إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان، عمل أستاذًا للتاريخ، وتقلد بعض المناصب الرسمية لأولاد الشريف حسين إبان الثورة العربية، كما مثل الحكومة السعودية في عدد من البلدان الغربية وزيرًا مفوضًا ومندوبًا فوق العادة. كان عضوًا بمجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد. وهو صاحب موسوعة «الأعلام». له ديوان بعنوان «ديوان الزركلي» ١٩٢٥م. راجع: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٧/ ٥٠٠.

(٢) خيرالدين الزركلي، ديوان الزركلي (الأعمال الشعرية الكاملة)، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م: ص ٢٩٣ - ٢٩٤. وقد كتب هذه القصيدة بباريس عام ١٩٤٦م.

فَـــرَشَ الـسُّــنْـدُس الـبـهـيـجُ بـسـاطًـا
زانـــــه لُـــؤلـــؤٌ مِـــــنَ الـــغُـــدران
وتـــبـــارت أزهـــارهـــا والـــغـــوانـــي
أيُّـــهـــنَّ الأشـــهـــى لـقـلـب الـعـانـي
حـسـد الـنـرجـس الـعـيـون مـتـى كـا
ن لـــه مـــا بِـــهِـــنَّ مـــن لـمـعـان
وقـــدود الـحـســان يَـخْـطِـرْنَ أنَّـى
مـــثـــلُ مـــيـــلاتـــهـــنَّ لـــلأغـــصـــان
كُـــتَـــلٌ مـــن خـــلائـــق الـــلـــه تَـــدَّفْـــ
ـــفَـــقُ مـــن كـــل جـــنـــة زوجـــان
كـــل إلـــفـــين بـــين صَـــفَّـــيْنِ مـــن زهـــ
ـــر الأقـــاحـــي والـــرَّنْـــدِ مـلـتـفـان
ســاعـــدٌ آخـــذٌ بـمـقـعـدِ خـصـرٍ
ولـــســـانٌ تـمـتـصـه شـفـتـان
شَـغـل الـنـاس، كُـلُّ قـيـسٍ بـلـيـلا
ه فـمـا لـلـفـضـول مـن سـلـطـان
قُـبُـلاتٌ لا تـسـمـعُ الأُذْن إلا
نـغـمـاتٍ لـهـن كـالألـحـان
مـلـتـقـى مـوعـد، ومـبـعـث حـب
مـا «كـيـوبـيـدُ» فـيـه بـالمـتـوانـي
☆☆☆☆
مـــيُّ مـــهـــلًا، هـــنـــا مـــثـــار صـبـابـا
تـــي ومـــهـــوى روحـــي ومـــثـــوى جـنـانـي

نـولـيـنـي، هـل نـحـن إلا كـمـن نبـ
ـصـر؟ قـلـبـان فـي الـهـوى خـافـقـان
هـي بـاريـس يـا أمـيـمـة حِـلٌّ
لـلـمـحـبـين فـي حـمـاهـا الـتـدانـي
أوَ تَـنْـسَـيْن يـوم «دُوفِـيـل»[1] والـنجـ
ـم شـهـيـد ونـحـن مـنـتـشـيـان
قـال حـوذيُّـنـا وقـد هـتن الـغـيـ
ـث: أواريـكـمـا فـتـسـتـتـران
و «بِـرِسْـبَـاي» والـنـدامـى صـحـاه
أسـكـر الـدن مـقـلـة الـديـدبـان
مَـدَّ أنـفًـا وهـز كـفًّـا وأومـى:
طـاب ممـسـاكـمـا وممـسـى الحـانِ
هـي بـاريـس يـا أمـيـمـة، مـا شئـ
ـت ومـا شـاءه الـهـوى شـرعـان
مـا عـلـى الـعـاشـقـين فـيـهـا جـنـاح
أو يـشـقـى فـي جـنـة عـاشـقـان؟
المـنـاجـاة فـي حـدائـقـهـا الخضـ
ـر تـرانـيـم، والحـديـث أغـان
لـتـلاقـي الـعـيـون نـشـوة خـمـر
ولـهـمـس الـقـلـوب وحـي بـيـان
المـنـى هـاهـنـا جـنـى لا الأمـانـي
والأمـانـي مـطـيـة الحـرمـان

☆☆☆☆

---

(١) دوفيل: مدينة شمال غرب فرنسا تقع في مقاطعة باس نورماندي، وتشتهر بطبيعتها الخلابة وطرزها المعمارية الساحرة.

ضمنا الليل بين جنحيه، صدرًا
فوق صدر، وعربد الثديان
لي من ثغرها ومن شفتيها
رشفات من مَغْسِل ريان
جسدان انضما لزامًا فما تحـ
ـسب أن الذي ترى جسدان
قلت: ماذا؟ قالت، ولم تتكلم:
بك ما بي؟ وتنطق العينان
فتناولتُها فما أقصر الليـ
ـل علينا ونحن معتنقان
تتلوى وتستكين إلى أن
رفع الديك صوته بالأذان

☆☆☆☆

ميُّ إن تذكري فبيض ليالٍ
نحن كنا منهن في مهرجان
خُلَسٌ هن، أغمض الدهر عنها
عينه وهو ساهر الحدثان

****

أمين نخلة[1]

إلى بُوذْلير[2]

(عاش بودلير عليلًا، بائسًا، وبقي شعره خامل الذكر حتى قضى أجله، فأخرجوا، يومئذ، ديوانه «أزهار الأذى»، فملأ اسمه الدنيا...)

بَــرَّدَ الــفــيءُ المــنــدَّى شــفــتــيــكْ!
ولـــوى بـــالــرِّفـــق والـــلِّـــين عـلــيــكْ

أنـــت أَشــقــى الخــلــق بــالــعــيــش، فــخــذْ
راحـــــة المـــــوت بــكــلــتــا راحــتــيــك

مـــتْ مــشــتــاقــًا كــظــيــمًــا ســـاهـــدًا
فـــــأَرِحْ صـــــدرك، وامــــلأْ مــقــلــتــيــك

أَمْـــرعَـــتْ «أزهــــــارك» الــيـــوم، وقــد
حــمــدوا الجــنــي، وقـــد فـــاؤوا إلــيــك

يـــا لــهـــا فـــي الـــزَّهـــر مـــن ريَّـــانـــةٍ
فـــكـــأنْ لـــم تـــســقــهـــا مـــن مــدمــعــيــك

---

(١) امين نخلة (١٣١٩-١٣٩٦هـ = ١٩٠١-١٩٧٦م) شاعر لبناني كبير، درس الحقوق في دمشق، وعمل بالمحاماة، وانتخب نائبًا عن جبل لبنان سنة ١٩٤٧م؛ وكان عضوًا في المجمع العلمي العربي بدمشق. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: / .

(٢) امين نخلة، ديوان امين نخلة (المجموعة الكاملة)، إعداد إيهاب النجدي، ط١ مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠١: ص٢٠١.

انظرِ الدنيا، تجدْها أَقبلتْ

تتمنَّى نفحةً عن جانبيك

ليت شعري، أيُّ خزيٍ يعتري

شعراء الأرض إن قاموا لديك!

أنا، لو بُلِّغْتُ جئت القبر في

حرمة الموت، وقبَّلتُ يديك

****

لامَرْتِين[1]

أُنشدت هذه المثناة في الحفلة التي أقيمت في الباروك، على النهر، لاستقبال الوفد الفرنسويِّ من «أصدقاء لامرتين» وقد جاء الوفد لبنان تذكارًا لمرور مائة سنة، على زيارة لامرتين لبلادنا، والتطويف في ربوعها، وكان له على ضفاف النهر في الباروك، (مسقط رأس صاحب الديوان) أيام هانئة.

يـا أيُّـهـا الـشـاعـر الحـبـيـبُ:
مـا الـبـعـد، مـا الـعـتـق، مـا الـزَّمـنْ!
مـزارك الأخـضـر الـقـريـبُ
فـي جـيـرة المـاء والـفَـنْ

☆☆☆☆

هـل تـذكـر «الـنَّـهْـرَ» فـي الـصـبـاحِ
و «الـنـهـرُ» فـي زيـنـة الـنـهـارْ
إذ تـبـسـط الـشـمـسُ خـيـرَ سـاحِ
ويـبـتـنـي الـظـلُّ خـيـرَ دارْ؟

☆☆☆☆

وأنـت فـي ظـلَّـةٍ مـقـيـمُ
تـنـظـرُ، أو تـسـمـع الـهـديـرْ
قـد أَمـسـك الـشـاعـرُ الـعـظـيـمُ
فـلا نـظـيـمٌ، ولا نـثـيـرْ

☆☆☆☆

---

(١) امين نخلة، ديوان امين نخلة: ص ٢٩٧-٢٩٨.

رأيتَ في «النهر» منك شيًّا

وفي الأفانين، والظِّلالْ

قصيدةٌ زدتَها رويًّا

قصيدةُ اللّهِ في الجمال!

☆☆☆☆

فنحن في بهجة الربيعِ

ما رقَّ ظلٌّ، وطاب ماء؛

نراك في شعرك البديع

على دواوين من بهاء!

☆☆☆☆

و«النَّهرُ» وهْو الوفيُّ، يجري

في أرض لبنانَ سرمدا

في كلِّ زاهٍ جرى، ونضْرِ

يحمل من شعرك الصَّدى

****

عبدالعزيز عتيق[1]

إلى الغرب[2]

أيـهـا الـغـرب عــذِّبِ الـشـرق عـذِّبْ
أضــــرِمِ الـنـار بـيـنـنـا والـدخـانـا
وتحـــكَّـــمْ فــي أهــلــه وتجـبـرْ
وتـفـنـــنْ فـــي قــهــرِهِ طُـغْـيـانـا
واحــشــد الـبـر والـبـحـار جـنـودًا
وإذا اسـطـعـت، فـامـلأ الجـو جـانـا
لـيـس تـهـديـدكـم لـنـا بمـخـيـف
لا، ولا عـسـفـكـم لـنـا أوهـانـا
إنـــه الحـــق، ســوف نـدفـع عـنـه
كـل بـــاغٍ يـســومــه الـعـدوانـا

☆☆☆☆

(1) عبدالعزيز عتيق (١٣٢٤ - ١٣٩٦ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٧٦ م) شاعر مصري تلقى تعليمًا دينيًا ثم التحق بدار العلوم وتخرج فيها عام ١٩٣٢م، ثم سافر إلى إنجلترا وحصل على الدكتوراة من جامعة لندن عام ١٩٤٨م. تقلد عددًا من المناصب الإدارية والثقافية، وعمل بالتدريس بجامعة بيروت العربية وكان أول من تولى عمادة كلية الآداب بها. راجع؛ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١١/ ٢٨٧.

(2) عبدالعزيز العتيق، أحلام النخيل، ط مكتبة مصر، القاهرة ١٩٦٠م: ص١٢.

أيـــهـــا الـمـســتـقـلُ دعـنـــي وشـــأنـــي

واقـــصـــر الـــلـــوم، إن قـــــدرت، الآنـــا

أيـــهـــا الـمـســتـقـل أنـــت طـلـيـقٌ

لا تـــبـــالـــي بـــكـــائـــن مَـــــنْ كـــانـــا

لا تـــلُـمـــنـــي إذا غـــضـــبـــتُ لـحـقـي

مـــا ألـــفـــنـــا الإنـــســـان يـبـقـى مـهـانـا

أيـــهـــا الـمـســتـقـل حـــســـبـــك ألا

تـــصـــحـــب الـــذل أو تـــــذوق الـــهـوانـا

****

الغرب والشرق[1]

قل لهذا الغرب: يا غربُ إلاما
تعشق الجور وتهوى الانقساما؟
كم بزيف القول أشقيتَ الورى
وبمحض الكيد آذيتَ السلاما
قد هبطتَ الشرقَ داءً معضلا
لم يَفُتْ شيخًا، ولم يرحم غلاما
فإلام العسفُ والغدر بنا؟
وعلام اليوم حرمت الكلاما؟
الخداع المحض قد حلَّلْتَهُ
والكفاح الحق قد أمسى حراما!
أشخوص نحن، أو قوم لنا
مطلب قامت له الدنيا قياما؟
لا تحدث عنك قومًا عرفوا
أنك الخطب الذي غشَّى الأناما
أو تلوِّح بالأكاذيب فما
أدوَمَ الذل، إذا ما القيد داما
كلما طفت بواد آمنٍ
طار عنه الأمن، والخوف أقاما!

☆☆☆☆

---

(1) عبدالعزيز العتيق، احلام النخيل: ص١٣ - ١٤.

يـا ذئـــاب الـغــرب قــد ضـقـنـا بكم

وسـئـمـنـا وجـهـكـم عـامًـا فـعـامـا

مـا عـليكم - لا جنيتم مطمعًا -

يـا ذوي الأطـمـاع أن تحـيَـوْا كـرامـا؟

أعـلـــى الـلـــه أخـــذتم مـوثـقًـا

أن تسوسوا النـاس ظلمًا واجتكاما؟

ذلــك الـشــرق الـــذي يـبـغـضـكُـمْ

أقــســم الــيــوم عــلــى ألا يـنـامـا

ذلــك الـشــرق الـــذي جــاز المـدى

يـــوم هِـمْـتُـمْ بـالـخـرافـات هـيـامـا

هـــب يـسـعـى مـسـتـعـيـدًا مـجـدَهُ

لـن يمـلَّ الـسـعـيَ، أو يلقى الحِمَاما

فـاتـقـوا الـشــرق، وخـافـوا بطشـه

إن «سـعـدًا» أيـقـظ الـشـرق ونـامـا[1]!

****

(١) هو الزعيم سعد زغلول.

محمود حسن إسماعيل[1]

راهب الغرب[2]

هـاجـهـا مـزهـري وقـد خـنـق الـقـيـ
ـــدُ أنــاشــيــدَهُ فـضـجَّ وثــارا
وهْــي حيرى تُـطِـلُّ لَـهْـفَـى على النيـ
ـــل وتـــرنـــو لـمـتـعـبـين حـيـارى
مـنـذ خـمـسـين.. لـم تحـرك إلـيـهـم
قـدمًـا، أو تُـطِـقْ إلـيـهـم مـزارا
درجَـتْ فـي الـسـنين من عـهـد «خوفو»
حـرة مـا وعـت لـديـهـا إسـارا
عـقـدت تـاجـهـا عـلـى الـشـمـس كـبـرًا
أن يُـحَـلَّـى جـواهـرًا ونـضـارا

---

(١) محمود حسن إسماعيل (١٣٢٨ - ١٣٩٧ هـ = ١٩١٠ - ١٩٧٧م) شاعر مصري كبير من أعلام الحركة الرومانسية العربية سافر إلى عدد من الدول الأوروبية، وعمل مساعدًا للدكتور طه حسين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وتولى إدارة البرامج الثقافية والدينية بالإذاعة المصرية، وأنشأ بها إذاعة القرآن الكريم، وعمل مستشارًا بلجنة المناهج بوزارة التربية بالكويت حتى وفاته. أصدر عددًا من الدواوين أولها «أغاني الكوخ» عام ١٩٣٥م. راجع: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ٦٠٩/١٩.

(٢) محمود حسن إسماعيل، الأعمال الكاملة، ط١ دار سعاد الصباح، الكويت/ القاهرة ١٩٩٣م: ص٩٩ - ١٠٦. القيت في أحد المؤتمرات الوطنية التي عقدها الشباب في مصر احتجاجًا على تصريح المستر هور وزير خارجية إنجلتر إبان ثورة سنة ١٩٣٥م.

وبـنـت عـرشـهـا عـلـى مـفـرق الأهـ
ـرام زهــوًا بـمـجـدهـا وافـتـخـارا
وجـــرى الـنـيـل سـاجـدًا بـين كفيـ
ـهـا جــلالاً وروعـــةً وصَـغـارا
ثـم دار الـزمـان دورة نـحـسٍ
فـإذا حـظـهـا مـع الـنـحـس دارا
وإذا راهـب أتـاهـا مـن الـغـر
ب تـقـيٌّ يـروم مـنـهـا الجـوار
قـال: إنجـيـلـيَ الـسـلام فـقـالـتْ:
مـرحـبًـا بـالـسـلام خـلًّا وجـارا
أنـا ريـحـانـة الـغـريـب، وكـهـفٌ
لِـلَّـذي عَـزَّهُ الحِـمَـى فـاسـتـجـارا
نـيـلـيَ الخـمـر.. ذق طـلاه وقـل لـي:
أيـن خَـفُّ الجَـنـان مـنـك فـطـارا؟
سَـلْسَـلٌ يُـلْـهِـمُ الـهـدى لـلـذي ضـل
لَ وإن كـان فـاجـرًا كـفَّـارا
وجـنـانـي مُـنَـضَّـرات حَـوَالٍ
حـالمـات تـروِّع الأفـكـارا
جَـوْسَـةٌ فـي خـلالـهـا تُـرقـص الـرو
ح صـفـاء، وتُـسـكـر الأعـمـار
كـانـت الـطـيـر سُـكَّـتًـا .. فـتـهـادت
فـي سـمـائـي فـهـاجـت الأطـيـارا
فـإذا مـا الـمـسـاء عـطَّـل فـاهـا
نـقـرَتْ فـي الـصـبـاح دُفًّـا وطـارا
أنـا فـي الـشـرق هـالـة لـو رآهـا
فـاقـد الـلـمـح فـجَّـر الأنـوارا

أنطقَتْ «بنتئور» في صمته الدهـ

ـر فغنى وخلَّد الأشعارا[1]

أنا دير الجمال يا راهب الغر

ب فهيِّجْ بساحتي المزمارا

جُسْ رِحابي وطف حواليَّ واخشع

وادعُ ما شئت جهرةً وسرارا

إن للضيف في حمايَ - وإن ذلْ

لَ حماه - معزةً، ووقارا

فشجى الراهب المقنَّع ماقا

لت، وألقى عن جانبيه العذارا

وسرى في الديار تصحبه الفتـ

ـكة أنَّى مشى وأيان سارا

ساطيًا في الخفاء آنًا، وآنًا

يختِلُ الناس لا يبالى جهارا

أطمَعَتْهُ غضاضة القوم حتى

ظنهم - ضَلَّةً - لديه أسارى

فبدا بينهم هِزبرًا إذا ما

صاح خلف القطيع ولى فرارا

كلما ضج منهمُ قلبُ حرٍّ

أترع الكأس من دماه عقارا

وقَّحَتْ طَبْعَهُ القذائف تُلْقى

لم يرعها الردى، ولم تخش ثارا

تسفك الروح باللظى وهي ثملى

راويات من الدماء، سكارى

عَلَّمَتْهُ السَّفاهَ في منطق الحقْ

قِ فأخزت حياءه المستعارا

(١) بنتاؤر: شاعر فرعوني قديم خلد موقعة قادش بملحمة من الشعر القصصي.

قالها «هُورُ» كلْمة ساقها البطـ

ـش فَجَرَّتْ على حمى النيل عارا

كم أست أنفسًا وأفنت ضحايا

في صداها، وجرحت أحرارا

أيقظت (مصر) من سبات لو ان الصّـ

ـصَخر فيه لما أطاق الغرارا

فرنت نحو ضيفها عَلَّ عُتبًا

يرعوي منه أو يسوق اعتذارا

فإذا بالمُسُوح شَغراتُ ذئبٍ

خشِيَ السطو جهرة فتوارى

وإذا الدَّيْرُ فَوْرَةٌ من دِمَاءٍ

تتلظى فتفزعُ الأقدارا

وإذا بالتي شجاها نشيدي

ومَرَى جفنها الدموع الغزارا

هي (مصر) التي أثار شجاها

أن تطيق القلوب عنها اصطبارا

كبَّلوها بكل قيدٍ أثيم

عاقها أن تجوس تلك الديارا

سألَتْهُم: علام أَسْرِي؟ فَصَمُّوا

وأصرُّوا واستكبَروا استِكبارا

☆☆☆☆

فابعثوها تُصِمُّ سمعَ اللَّيالي

ثَوْرَةً تُضرِمُ السَّمَاكَيْنِ نارا

ماتَ عهدُ الكلام فَلْنَجْعل الثَّوْ

رَةَ والموتَ للجِهادِ شِعَارًا

****

مرثية غصن الزيتون[1]

إلى رفات ملك إثيوبيا صرخة السّلام

في الحرب الإيطالية بالحبشة

لا زهــرُهُ يــنــدَى، ولا هــوَ يَنْفحُ
ذاوٍ على طرف الصَّبا مُتصوِّحُ
رَيَّــانُ أمْــيَــسُ هَــدَّلَــتْ أطرافه
هَــوْجــاءُ مــن نــارِ المطامع تَلْفحُ
فَــرْعٌ مــن الــزَّيْـتـون لـم يَخْفِقْ له
فَــنَــنٌ، ولـم يَسْجَعْ عليه صيْدَحُ
أنــداؤُهُ مــن حــكــمــةٍ أبَــدِيــة
صَمتَتْ فما تَلْغُو ولا تَتفصَّحُ
وغــذاؤه مــن رحــمــةٍ عُــلْــوِيَّــةٍ
يغفو بها طيفٌ هناك مجنّح
فخذِ السلام قصيدةً قدسيةً
يشدو بها شادي السلام ويصدح
لــو رن هــاتــفــهــا بــســمــع كتيبة
هــوجــاء فــي رَهَــجِ اللُّظى تترجح
ســجــدَتْ لــه الأسياف خجلى رهبة
وتــكــفَّــأتْ فــوق الــثرى تتطوح

☆☆☆☆

يـا سَــرْجـةً بِـرُواق «جـيـنـيـفَ» ارتـوتْ
مــن جــدولٍ بــدم الــضــحــايـا ينضح

(١) محمود حسن إسماعيل، الأعمال الكاملة: ص١٢٨ – ١٣٣.

نبعٌ من الأرواح سَلْسَلَ فيضهُ
وجرى على بطحائها يتفوّح
ينساب من خلل الجماجم صاخبًا
أمواجه من كل عِرْقٍ تطفح
ماذا دهاك فلم يدع سوسانة
- من هوله - في جانبيك تفتح
صوت من الطّليان أروع غاشم
متحفز بين الورى يتبجح
خدعَتْهُ صامتةُ القنابل حينما
ذهبت تهدد بالردى وتلوح
مجنونة بالموت جُنَّ حديدها
ومريدها خطرًا يَرُوع ويفدح
رعناء لو مسَّتْ مطارف شاهق
لانْدَكَّ من عالي الذرا يتطرح
سكرى بخمر الموت تهذي جهرة
بملاحنٍ من كبْرها تتوقح
خرساء لو نطقت أصمَّ ضجيجُها
أُذُنَ الحياة، فلا تعي ما تفصح
حبلى بنسل النار، يا ويلاه إن
ولدَتْ فحتفٌ للبرية يكسح
كم أفزعت «عزريلَ» حين تبرجت
تلهو على جثث العباد وتمرح

☆☆☆☆

سل أمة الأحباش.. كيف تفزَّعَتْ
وغدت على قُضُب القنا تترنح
لم تغنها الأجيال تعصم هاريًا
أو شاكيًا تحت المغامر يرزح
خيماتها في الحرب لو أبصرتَها
شعلاً على كنف الهواضب تلمح

هـي ألـسـنٌ لـلـحقِّ ذاع بيانها

ضـرمًـا عـن الـوجـد المـكتَّم يفصح

يـا رُبَّ مُـسْـوَدِّ الجبين بظلها

قسماته عند الـوغـى تتوضح

يصليه إيمـان العزائم باللظى

فيظل من قبساته يتروح

يَلْقَى الطغاة بعزمة لو صادفت

قلب الحديد لخر بالدم يرشح

☆☆☆☆

يـا فـارس الـروم العنيد تحية

من شاعر باللوم جاءك يصدح

أنغامه في النيل ضيَّعها الأسى

وهي التي بهوى البلاد تُسَبِّحُ

عذرية تشدو فإن هي أقبلَتْ

تأسو يراوغها الشمات فيجرح

صرخَتْ على حرية مسلوبة

شعراؤها في كل فج نُوَّحُ

ما ضر لو أمهلْتَ - طائشة الوغى

قومًا تغادوا بالشُّكَاة وروحوا؟

أوطانهم! يا رحمتا لمصيرها

أمل لسفاك الطغاة ومطمح

فزعوا من الغازات تخنُق جوُّهُمْ

فيضوع بالموت الأصم وينفح

الله طهَّره هـواءً طيبًا

كالروض ضمَّخَهُ العبير الأفيح

وابن التراب .. أحاله مسمومة

نكباء ذاريةٌ تُبيد وتفدح

****

إلى ضمير الإنسانية[1]

زفرة على فلسطين الدامية
وإلى ريح «التاميز» العاتية

صوتٌ بأرض القدس مشتعلُ الصّدَى
كادت له الأكبادُ أن تتوقدا
لما تأوَّهَ صارخًا بين الورَى
أسيانَ يُرْزِمُ تحت نيران العدا
جَزِعٍ «المسيحُ» له ولولا طُهْرُهُ
ما مدَّ للرحمات كفًّا أو يدا
رُهْبانه في الغرب منبعُ حِكمةٍ
ما غُلِّفت يومًا لملتمسِ الهدَى
رشفوا من «الإنجيل» فيض رشادِهِ
وتخشَّعوا حول الهياكل سُجَّدا
وشدوا بملْحمةِ السلام ورنَّموا
مزموره للكون خلَّابَ الصدَى
لكنَّ شعبَهُمُ أثار عَجاجةً
في الشرق طافحةً بأهوال الردَى
فإذا التعاليم التي هتفوا بها
من سَوْرَةِ الأطماع قد ضاعت سُدى

---

(١) محمود حسن إسماعيل، الأعمال الكاملة: ص٣٧٥ - ٣٨٠.

وإذا بلحن السلم بين شفاهِهِمْ
عصَفتْ به شَهواتهُمْ فتبَدَّدا
تَخِذوا الرصاصَ شريعةً قدسيَّةً
وقذائفَ الأرواح نهجًا مرشدا
لم يرهبوا التاريخ في استعمارِهِمْ
أنّى سَطَوْا وكَزوه أروعَ سيِّدا
لطموه في القدس المحرَّمِ لَطْمةً
كادت لها الأجبال أن تتهدّدا
مهْدُ الشرائع من قديم ما له
أضحَى لأحرار البريَّة مَوْقدا
في كل مُرتَبَعٍ به وحنيَّةٍ
تلقَى صريعًا في التراب مُمدّدا
هانت على البطل المجاهد نفسُه
فسعَى لحوض الموت يطلب مَوْردا
ألقى إلى اللهب المسعَّر روحَه
وكذا يكون الحرُّ في يوم الفِدا
الله في وطَن النبُوَّةِ ! نال من
شَرِّهِ الطُغاة اليومَ حظًّا أنكدا
الفتنةُ الشَّعواء هاجت قلبه
لم تُبقِ فيه كنيسةً او مسجدا
شرعت من الرقِّ البغيض سلاحَها
تتفزَّعُ الأقدار إما جُرِّدا
صرخ الضعيف شِكايةً من هولها
فمَحَا اللهيبُ صُراخَه فتشرّدا

فتخاله والصدرُ يَنْفثُ نارَه

من كل زافرة تُريق الأكبُدا

حَمَلاً يَدُ الجزّار دقّتْ عمرَهُ

فقضَى بصرخته على حَدِّ المُدَى

مِحَنٌ مُرزِّئَةٌ وموتٌ عاصفٌ

لم يُبْقِ شيخًا في الحمَى أو أمْردا

يا رُبَّ وادٍ في الصباح منضَّرٍ

غَيْسانَ باكَرَهُ السنا فتأوّدا

لما دهَتْه الحادثات ضُحَيَّةً

وسَرَى دُخَان الموت أقْتَمَ أربدا

نفضتْ خمائلُه شبيَّةَ عمرها

وتَصَاوحتْ فغدت مَحيلاً أجْردا

ما ذنبها؟ ما ذنبُ صَيْدَحِها الذي

قد كان يسجع في الظلائل منشدا

خُنِقتْ مزاهره ومات نشيدُهُ

ونأى عن الوطن الحبيب وأُفْردا

لولا هياجُ الحرِّ ديسَ مِهادُهُ

لثوَى بجنته وظلَّ مغرِّدا

يا يومَ «بلَفُورٍ»[1] وشؤمُكَ خالدٌ

ما ضرّ لو أخلفت هذا الموعدا؟

عاهدْتَ أعزالَ الجسوم، سلاحُهم

ما كان إلا الحقّ صاح مقيّدا

---

(١) إشارة إلى الرسالة التي بعث بها عام ١٩١٧م آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا العظمى إلى اللورد ليونيل ولتردي روتشليد زعيم الطائفة اليهودية في إنجلترا يشير فيها إلى تأييد الحكومة البريطانية لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين؛ وهي الإشارة المعروفة بوعد بلفور.

وتركتَهم رهْنَ المطامع تبْتَغِي
منهم على حرِّ المواطن أعْبدا
ثاروا بأرض الله ثورةَ عاجزٍ
سمع القويُّ شَكاتَه فتوعُّدا
هاجوا على الأصفاد هَيْجةَ ناسكٍ
زحَمَتْه آثامُ الصِّبا فتمرّدا
هجمَتْ على الغار المطهَّر في الدجَى
فأثار عُزلتَه، وهاج المعبدا
ضجوا على «نَابِلُسَ» حتى كاد من
صَخَبِ الأسَى والحزن أن يتنهّدا
عجبًا يكاد الصخر يدمع رحمةً
لَهُمُ وقلبُ الآدميِّ تَصلَّدا
ومعالم الإسلام بين ربوعهم
كادت تُزَمْجر لهفةً وتوجُّدا
بسطَتْ إلى قدم النزيل رحابَها
فبغَى على قسماتها وتهدّدا
وهُوَ الذي لولا نعيم ظلالها
لمضَى على كَنَفِ الوجود مُشَرّدا
والشرقُ؟ وَيْحَ الشرقِ نام أسودُه
عن ثائر في القدس ضجّ وأُرعدا
شَلّتْ عزائمُهم ونامَ جهادهم
وتَصرّعوا في كل مهدٍ هُجّدا

****

محمود أبوالوفا[1]

في باريس[2]

ما في دموعك؟ قلت: قلبٌ ذائبٌ
ما في ضلوعك؟ قلت: حبٌّ صادي
أحمائم الوادي، وفيكنَّ الهوى
هل من يبل صدًى كنار الوادي
ليت التي قد بات يهتف باسمها
ويشيد قالت: ما اسم هذا الشادي؟
صُنتُ الوداد هنا، وما ضَيَّعْتُهُ
أتراهُمُ صانوا هناك ودادي
طُولي ليالي البين لا تتقاصري
لأرِي الزمان عناده وعنادي

---

(١) محمود أبوالوفا (١٣١٨ - ١٤٠٠ هـ = ١٩٠٠ - ١٩٧٩م) شاعر مصري مجدد عاش في مصر وفرنسا وتنقل بين عدد من المهن الصناعات الصغيرة حتى استقر بالانضمام إلى أسرة تحرير مجلة «المقتطف» ثم عمل منيعًا بالإذاعة المصرية. له عدة دواوين أولها «أنفس محترقة» ١٩٣٢م. راجع: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين: ١٩/٤٥٦.

(٢) محمود أبوالوفا، دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧م: ص١٤١ - ١٤٣. قصيدة أجاب بها الأدباء والشعراء الذين ألقوا كلماتهم وأنشدوا قصائدهم ترحيبًا به في باريس.

إنـي اطّـلـبْـتُ المـجـدَ مـن عـمـلي أنـا
لا مـــن يـــد الأقـــــدار والأجــــداد
قـسـمًـا بـــذات المـجـد، إمـــا نـلـتُـهـا
أو نـلـت فـيـهـا، فـخـر الاسـتـشـهـاد
يـا عـتـرة الـضـاد الـكـرام إلـى الـعـلا
هـيـا ، فـإنـكـمُ رجـــاء الـضـــاد
أنـــتـــم ســـواعـــدهـــا إلـــى آمـالـهـا
أنـــتـــم مـــراقـــيـهـــا إلـــى الأمـــجـــاد
وطـنـي هـــي الـفـصـحـى، فـكـل بـلادهـا
فـي مـصـر أو فـي الـشـام.. هـن بـلادي
هـــذا هـــو الـوطـن الـــذي أحـيـا لـه
ولـــه أوالـــي - صـــادقًـــا - وأعـــادي
مـــا نِـمْـــتُ إلا أن تـكـونـي حـرة
فـــي مـصـر فـــي لـبـنـان فـــي بـغـداد
(بـاريـس) جـئـت بـذات جـسـمـي شـاكـيًـا
فـصـدرتُ أشـكـو مـنـك ذات فـؤادي
حـريـة الأرواح، تـلـك هـــي المـنـى
لـلـنـاس، لا حـريـة الأجـســاد
الـنـــاس.. مـــا دامـــوا عـبـيـد مـيـولـهـم
مـــا الـفـــرق بـــين حـــواضـــر وبـــواي
حـــرِّرْ طـبـاع الـنـاس مـن أصـفـادهـا
تـلـقَ الحـيـاة خَـلَـتْ مـن الأصـفـاد

****

يا صاحب البؤساء[1]

يا صاحب البؤساء، جاءك شاعرٌ
يشكو من الزمن اللئيم العاتي

لم يكفه أني على عكازة
أمشي.. فَحَطَّ الصخر في طرقاتي

ثم انثنى، يُزجي عليَّ مصائبًا
سُحُبًا، كقطعان الدجى جهمات

في ليلهن فقدتُ آمالي الألى
صاحبنني مُذْ لاح فجر حياتي

فغدوت في الدنيا ولا أدري: أمن
أحيائها أنا، أم من الأموات؟

☆☆☆☆

خففت يا «هوجو» عليك فلم أطل
وبعثتها فصلين من مأساتي

ولو انني أَعْطيتُ بؤسي حقَّهُ
وصفًا.. لصوَّرَ معرض النكبات

****

(١) محمود ابو الوفا، دواوين شعره ودراسات باقلام معاصريه: ص١٣١ - ١٣٢.





الكويت

2011